C.2.
175933
S
2004

منشورات
جامعة بيرزيت
مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني

من سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة (رقم ١٩)

DS
110
.T62
M8
1995
c.2

قرية طيرة حيفا

تأليف : عبد الرحيم المدور

اشراف : د. صالح عبد الجواد

مكتبة جامعة بيرزيت
37846
BIRZEIT UNIVERSITY LIBRARY

ايلول/ ١٩٩٥

Digitized by Birzeit University Library

* صدر عن مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني

المراسلات: مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني
ص.ب ١٤ بيرزيت
جامعة بيرزيت
فاكس: ٩٥٦٤٢٨
تلفون: ٩٥٧٨٤٢-٢- ٩٧٢

المراسلات من الوطن العربي :

جامعة بيرزيت - مكتب الإرتباط
ص.ب ٩٥٠٦٦٦
فاكس: ٨٢٧٢٠٢
عمان - الأردن

تدقيق لغـــــــــوي : عمر مسلم
مونتاج صور وخرائط ووثائق : عبد الرحيم المدور

صـورة الغلاف: مقام الشيخ خليل في الطيرة (١٩٨٧).

حقوق الطبع محفوظة لجامعة بيرزيت - ١٩٩٥

تم انجاز هذه الدراسة ونشرها
بدعم كريم من
المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة
(الايسيسكو)

Digitized by Birzeit University Library

المحتويات

مقدمة مدير المركز	I
مقدمة المؤلف	١
الفصل الأول :	
– جغرافية القرية	٧
الفصل الثاني :	
– القرية عبر التاريخ	٢٧
– المقاومة والثورة العربية الكبرى " ٣٦ – ١٩٣٩ "	٥٥
الفصل الثالث :	
– الحياة الاقتصادية	٨٥
الفصل الرابع :	
– الحياة الاجتماعية	١٢٣
الفصل الخامس :	
– حرب ١٩٤٨ والرحيل	١٧٧
الخاتمة	٢٤٥
الملاحق	٢٤٩
المصادر والمراجع	٢٦٠
الوثائق والصور والخرائط	٢٦٧

Digitized by Birzeit University Library

تقديم

على السفوح الجنوبية الغربية لجبل الكرمل، ذلك الجبل الشامخ الذي طالما ايقظ قريحة القراء وخيالهم، وأثار حماس وجدل الرحالة والمسافرين، تربعت " الطيرة " التي يمتد تاريخ حياتها منذ آلاف السنين، بل منذ فجر التاريخ فقد كانت كهوف الكرمل موئلاً لأول استيطان بشري معروف في فلسطين (نهاية العهد الحجري القديم الأول) .

والطيرة الحديثة قرية عربية جميلة عرفت بخصب وعطاء أرضها، فكانت اكبر قرى قضاء حيفا سكاناً وثالثها من حيث المساحة. تصدى أهلها للمشروع الصهيوني منذ بداية الانتداب، فكان لهم في الهبّات الشعبية ضد المستعمر ومع القساميين ألف باع وباع .

خلال حرب ١٩٤٨ اصبحت البلـــــدة التي كانت تسيطر على الطريق الرئيسي تل ابيب – حيفا هدفاً رئيساً لقوات الهاغاناة منذ البداية، فبعد أيام من عملية استكشاف قام بها ثلاثة من المستعربين اليهود، الذين تنكروا على هيئة شحاذين يستجدون القرى والمأوى، قاموا بنسف المنزل الذي اشفق عليهم فأطعمهم وآواهم، فقتلوا سبعة عشر من أفراده، ولم يسلم من هذه المجزرة سوى امرأة تنبهت وفرت إلى فناء المنزل، فلم تصب إلا بجروح ورضوض بسيطة، وطفل رضيع كتبت له الحياة ووجد بين الأنقاض .

استثارت هذه الحادثة أهل البلدة الذين بدأوا في تنظيم وتسليح انفسهم، وسرعان ما بدأوا في ازعاج ومهاجمة القوافل وحركة المواصلات اليهودية المارة، وكانت المعارك بينهم وبين القوات الصهيونية سجالاً، ابدى فيها اهل الطيرة شجاعة وجرأة منقطعتي النظير، بل لعلنا لا

Digitized by Birzeit University Library

نبالغ إذ قلنا إنه كان لأهل الطيرة في هذه الاشتباكات القول الفصل. غير أن ذلك لم يعمل إلا على تأجيل نكبة كانت قدراً، ومحصلة لمجموعة من التراكمات والعوامل الموضوعية مثل : الاختلال في موازين القوى لصالح الأعداء، وقيادة فلسطينية اساءت تنظيم مجتمعها وقواتها، ولم تكن بمستوى الاحداث، وحكومات ونظم عربية تأرجحت بين التبعية والاستعمار وانعدام الوحدة، وأخيراً حرب نفسية شاملة مريضة وحاقدة من أجل تفريغ البلاد من أهلها، وكان لحيفا نصيب كبير من هذه الحرب: فسيارات ملغومة في الاسواق والكراجات، وبراميل مملوءة بالمتفجرات، يركب على كل طرف منها عجل، ثم تدفع من الاحياء اليهودية المرتفعة تجاه الاحياء العربية الواقعة على السفوح، ومكبرات صوت تدعو الناس للجلاء والرحيل ... الخ .

في الثلث الأول من نيسان ١٩٤٨، طرأ تحول حاسم في الوضع العسكري لصالح اليهود، تزامن مع الانهيار المؤسساتي والإداري للمجتمع العربي، وقد أدى ذلك بدوره إلى سلسلة من الانهيارات والهزائم، التي اثرت بدورها في الصمود بعيد المدى لأهل الطيرة .

ففي الثامن من نيسان استشهد القائد عبد القادر الحسيني الذي كان لا شك، ابرع القادة الفلسطينيين، وادى استشهاده والمجزرة التي نفذت في دير ياسين إلى رحيل مجموعة كبيرة من القرى الواقعة غربي القدس. وفي منطقة حيفا وفي نفس الفترة، فشل فوزي القاوقجي بعد أن تكبدت قواته خسائر فادحة في احتلال كيبوتس ميشمار هاعيمق الاستراتيجي، وتراجعت قواته تحت ضغط هجوم اسرائيلي مضاد إلى اللجون، الأمر الذي ادى إلى سقوط عدد كبير من القرى العربية ورحيل أو ترحيل أهلها، وأتاح للهاغاناة فرصة إحكام السيطرة على المنطقة وعلى مدينة حيفا نفسها، التي سقطت في الواحد والعشرين من الشهر نفسه بفضل تواطؤ القوات البريطانية، والانهيار السريع للقوات العربية فيها. وخلال اسبوع من الزمان لم يبق من سكان حيفا العرب سوى عدة الاف جمعوا وحشروا في احد احيائها، وكانت طبريا قد سقطت قبل اربعة ايام حيث اجلي سكانها العرب بالكامل .

ادى هذا الانهيار السريع، الى تشديد الضغط على جميع قرى قضاء حيفا مع بعض التركيز على قرى بلدة الشيخ والطيرة، حيث شن هجومان شاملان على الطيرة في الرابع والعشرين والسادس والعشرين من نيسان/ابريل وبحر الاسبوع الأول من أيار/مايو .

على الرغم من هذه الصورة السوداء والتطور الدموي للاحداث واللذين فرضا معادلة " الموت أو الرحيل "، فإن رجال الطيرة، الأشاوس – رغم معرفتهم بما يمكن أن يصيبهم – اتخذوا قرار البقاء : البقاء في منازلهم والدفاع عن ديارهم، عن ملاعب صباهم وبيادرهم، عن مستقبل اطفالهم وحقهم، عن ذكرياتهم وقبور أجدادهم .

ومع ذلك فتحت ضغط القصف العنيف المتوالي والهجمات المتكررة التي ألحقت خسائر فادحة في الأرواح، وخصوصاً في صفوف المدنيين، فقد اجلى المناضلون، اثر مفاوضات مع القوات المُحاصرة وتحت اشراف بريطاني، قوافل من الأطفال والنساء والشيوخ التي رحلت على عدة دفعات تحت حماية بريطانية .

وقد ظل بضع مئات من الرجال في القرية تساندهم عشرات النساء يقاومون ببسالة وبضراوة، حيث احبطوا العديد من الهجمات الخطرة والمميتة، وخلال هذه الفترة العصيبة استطاع المناضلون المتميزون من أبناء الطيرة ان يقوموا بهجمات تكتيكية حتى السادس عشر من شهر يوليو/تموز ١٩٤٨ . حينما قام الرجال المسلحون بالانسحاب من القرية من ثغرة كانت القوات الاسرائيلية قد تركتها مفتوحة من جهة الشرق، لتتيح انسحاب المقاتلين الفلسطينيين ولا تجعلهم في موقف المستميت، الأمر الذي سيلحق بالقوات المهاجمة خسائر لا مبرر لها .

Digitized by Birzeit University Library

إن قـــرية الطيرة هي الحلقة ١٩ في " سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة " التـي تصـدر عن : مشروع توثيق القرى الفلسطينية المدمرة التابع لمركز أبحاث جامعة بيرزيت. وقد ولدت فكرة المشروع الطموحة عام ١٩٧٩ على يد الاستاذين شريف كناعنة وكمال عبد الفتاح، وقد قام الأول من خلال عمله مديراً للمركز بالإشراف على هذا المشروع في الفترة السابقة، ونأتي اليوم لنكمل ما بدأه بعد ادخال تعديلات جذرية على المشروع .

كانت الفكرة و لا تزال، أنه وبعد عدد من السنين، سيكون ذلك الجيل مـن السكان الذي عاش في تلك القرى، والذي يعرف بشكل مباشر حياة القرية، قد رحل، وغابت معه الى الابد المعلومات النادرة والحية عن تلك القرى. ولذلك فمن الضروري والواجب جمع المعلومات من هذا الجيل وتسجيلها، وتدوينها، وتنسيقها، بحيث نحصل على دراسة مفصلة عن كل قرية دمرت وأزيلت، محاولين قدر الامكان إعطاء وصف لحياة الناس، أفراحهم، وأتراحهم، وعاداتهم الإجتماعية، وكيف رحلوا عن قراهم، بحيث يتمكن القارىء – وبخاصة أبناء تلك القرى الذين تركوها صغاراً، أو الأجيال التي ولدت لاحقاً في المنافي والشتات – من الشعور بالارتباط والانتساب إلى قرية ومجتمع وطني حقيقي، وكأنهم عاشوا فيه، وليس مجرد اسم كان يوماً ما على خارطة فلسطين .

من جانب آخر، فنحن اليوم أمام مرحلة سياسية جديدة، لا بد من أن يكون لها انعكاساتها على الجوانب الثقافية والتاريخية، ففي أعقاب الاتفاقية الاسرائيلية الفلسطينية في ١٩٩٣/٩/١٣، وهي اتفاقية يجمع المؤيدون والرافضون على أنها اتفاقية مجحفة، تبرز في الأفق مخاطر من نوع جديد، ونعني بذلك خطر الطمس الثقافي. لقد غرس الفلسطينيون وطنهم السليب وأرضهم في كيانهم نفسه، ومن الضروري اليوم الحفاظ على الوطن وحراسته ثقافياً، واذا لم يكن بوسعنا اسسترداد الوطن سياسياً فيجب ألا نفرط به ثقافياً وتاريخياً .

لشيوخهم وعجزهم ولكن اقتيد المساكين والذين بلغ عددهم حوالي ٣٠ شخصاً، وحُملوا في باص اسرائيلي اتجه بهم صوب قرية اللجون والتي كانت ما تزال بأيدي القوات العربية، حيث قيل لهم ان يذهبوا إلى " الملك عبدالله " .

غير أن احداً لم يرهم بعد ذلك، إذ وجدوا جميعاً محروقين في حالة يرثى لها . وتقول الروايات التي جمعناها : انهم انزلوا من الباص ثم احرقوا احياءً بصورة وحشية .

أما الحادثة / الرواية الثانية فهي تتعلق بشهادة نادرة أدلى بها أحد ابناء الطيرة، والمقيم حالياً في مخيم بلاطة، والتي تتعلق بتجربة اعتقاله، وهي تجربة اعتقال اليمة سيجد القارىء وصفاً تفصيلياً لها ضمن دفات الكتاب، وتضمنت شهادته وصف ظروف الاعتقال، ومحكمة عسكرية اسرائيلية كانت تعقد جلساتها السريعة، وتصدر احكام الاعدام التي كانت تنفذ فوراً في مكان الاعتقال، والمحاكمة (مركز شرطة طبريا) بحق اشخاص " ثبت " تورطهم في قتل يهود (كما في حادثة المصفاة)* .

تشترك الطيرة مع غيرها من بين ٤٥٠ قرية فلسطينية مدمرة عام ١٩٤٨، في قدر ومصير التدمير والإبادة كمجتمع إنساني محلي، كما تشترك في حقيقة أن تدميرها لم يأت بفعل الاحداث التي ترافق الحرب وويلاتها، وإنما نتيجة لمخطط مدروس لم ير في القرى التي دمرها مجتمعا يمر بدورة الحياة، يزرع ويفلح، يحصد ويغني، يزف ابناءه ويندب موتاه، وإنما نقطة على خارطة تضم عرباً يجب اقتلاعهم .

* جرت الحادثة يوم ١٩٤٧/١٢/٣٠ ففي ذلك اليوم قامت مجموعة من منظمة الاتسل الارهابية بقتل ستة عمال عرب وجرح ٤٢ اخرين كانوا يقفون أمام بوابات مصفاة حيفا، فثارت دماء العمال العرب ودخلوا الى المصفاة حيث قاموا بقتل ٤١ عاملا يهودياً، قتل بعضهم في ظل ظروف وحشية. ومن الجدير بالذكر ان قوات الهاغاناة والمنظمات اليهودية الاخرى قامت مساء اليوم التالي رداً على ذلك بارتكاب مجزرة بلد الشيخ، والتي قتل فيها ٦١ عربياً بينهم النساء والاطفال ، كما شنوا العديد من الهجمات داخل مدينة حيفا، والتي اسفرت عن استشهاد بعض المدنيين الفلسطينيين .

Digitized by Birzeit University Library

لقد جاءت النهاية بعد العديد من الهجمات والغارات، والتي كان اخرها غارة جوية اسفرت عن استشهاد عشرة اشخاص وجرح العديدين، الذين لم تتوفر لهم فرصة الحصول حتى على اسعافات اولية. وفي الهجوم الأخير الذي قامت به القوات البرية شاركت قوة بحرية اسرائيلية لأول مرة في قصف القرية التي كانت قد عزلت وتركت تواجه مصيرها وحدها، واستخدمت في معركة السيطرة على الطيرة كل الوسائل، بما في ذلك وسائل الحرب النفسية فمن القصاصات التي القيت من الطائرات تدعو السكان إلى الاستسلام، وأن لا طائل من المقاومة الى محاولات زعماء يهود من حيفا ومن مستوطنات مجاورة اقناع " جيرانهم " بالاستسلام مقابل البقاء بهدف شق الجبهة الداخلية للطيرة .

لقد بقيت الطيرة صامدة ٣ أشهر بعد سقوط حيفا، فكانت اسطورة مقاومة وشجاعة في حياتها، واسطورة عن سقوطها، اشبه باسطورة " عنترة العبسي" الذي هابه الاعداء في حياته، وعند مماته. فكما ينقل لنا الراوي الشعبي لحظات البطل الاخيرة الذي ترجل عن جواده واستند إلى سيفه يلفظ انفاسه الاخيرة، ومن بعيد كان الاعداء ما زالوا يرتعدون منه ويخشونه، ويتساءلون ان كان الامر خدعة، وهكذا الامر مع الطيرة التي لم يدخلها الاعداء الا بعد يومين أو ثلاثة من سقوطها، تحسباً من كمين أو خدعة من مقاتليها، ولعلنا من بين القرى التي درسناها نرى أن الطيرة متميزة عن الكثير من القرى في موقفها الشجاع حتى النهاية، ومن بين القرى العشرين التي غطيناها بالدراسة لم نجد شيئاً يقارب استبسالها وصمودها إلا قرية لوبيا (قضاء طبريا)، والتي سقطت في نفس اليوم الذي احتلت فيه طيرة حيفا .

سيجد القارىء لهذا الكتاب وصفاً مفصلاً لهذه الاحداث، إضافة الى حادثتين نود ان نركز عليهما : الحادثة الاولى وتتعلق بفصل دموي اخر من فصول المجازر والجرائم التي ارتكبت بحق شعبنا الاعزل عام ١٩٤٨، فبعد أيام من احتلال القرية ظل بضع عشرات أو مئات من الاشخاص في القرية سرعان ما هُجروا، وظل في القرية عدد محدود من الشيوخ والمكفوفين والمقعدين وبضعة افراد لخدمتهم، حيث اعتقد هؤلاء ان قلوب اعدائهم سترأف

وهكذا، – وفي ظل غياب، ورحيل معظم المعمرين عن عالمنا، وفي ضوء المخاطر السياسية، والثقافية الجديدة، تصبح – عملية تسجيل شهادات المعاصرين للقرى الفلسطينية قبل تدميرها مهمة وطنية عليا، تقع على عاتق كل فرد مثقف فينا. وعلى كل مثقف أو مقتدر من أبناء هذه القرى أن يساهم – دون تردد – إما بالكتابة عن قريته أو أن يقوم – ولو بجزء يسير – بتمويل هذا المشروع الحيوي، ليبقى لنا على مر السنين .

سيرى القارىء المهتم والمتابع لسلسلة " القرى الفلسطينية المدمرة " كيف طعمت مصادر التاريخ الشفوي المستندة على روايات أبناء القرية بالمصادر المكتوبة والتاريخية، الامر الذين أغنى الدراسة، وخاصة تلك المتعلقة بتاريخ القرية وتراثها، كما أضاف إلى مصادر التاريخ الشفوي بعضاً من الدقة والتفصيل .

أما الأوهام والخرافات، والمعلومات الخاطئة التي يعتقد بها بعض أهالي القرية كالمعمرين مثلاً، فقد قدمت كذلك دون عرضها وكأنها جزء من الحقيقة، كما أننا حرصنا على العودة إلى بعض المصادر الاسرائيلية لإغناء البحث وتنقيحه .

من الضروري أن نوضح بأننا نعمل في ظل " مشروع القرى المدمرة " تحت ظروف صعبة، أهمها تشتت سكان القرية، وعدم إمكانية إجراء مقابلات مع عينات تمثل جميع حمائل وعائلات القرية، ولهذا السبب، ومحاولة منا للتغلب على اشكالية التشتت، فقد ذهب مؤلف الدراسة، مشكوراً، مرتين إلى الاردن حيث زار مواقع ابناء الطيرة في عمان والأردن واربد ومخيماتها، وعلى الرغم من ذلك ونتيجة لجملة من الأسباب التي لا مجال لشرحها هنا، فإننا نعلم أنه توجد في هذه الدراسة بعض الثغرات والأخطاء غير المقصودة، بخاصة ما يتعلق بموضوع العائلات الذي ينظر إليه بحساسية بالغة، وعليه، فإننا نرجو اعتبار هذه الطبعة التي طبع منها ٥٠٠ نسخة فقط بمثابة طبعة أولى قابلة للتصحيح والإضافة، إذا ما تفضل أهالي القرية بامدادنا بأية معلومات إضافية على عنوان المركز في جامعة بيرزيت، أو من خلال

Digitized by Birzeit University Library

مكتب ارتباط الجامعة في الأردن، للمقيمين خارج الوطن، كي ندرجها – كما جرت العادة في المركز – في طبعة ثانية وخصوصاً المعلومات المتعلقة بالرحيل وأماكن اللجوء والإقامة .

وختاماً فما كان لهذا العمل أن يتم لولا الجهد الجماعي الذي بذله طاقم المركز في سبيل إنجازه . إلا أنه لا يسع المركز إلا أن يخص بالشكر مؤلف الكتاب الأستاذ عبد الرحيم المدور الذي لم يدّخر جهداً لانجاز هذا العمل، والى السيد عبد الصمد أبو راشد ابن الطيرة البار، والذي انجز كتاباً عنها استعنا بالعديد من اجزائه وخصوصاً تلك المتعلقة بالجوانب الجغرافية، والسيدين وجيه عبدالله السلمان، والدكتور جميل الحج حسين باكير اللذين قدما مشكورين العديد من الصور والوثائق الهامة، كما نشكر الاستاذ الدكتور أسعد عبد الرحمن المفكر الفلسطيني المعروف، والذي قام مشكوراً بارشادنا لبعض الرواة، والأستاذ حسن البطل ابن الطيرة البار ومدير تحرير " فلسطين الثورة "، والذي ما أن توجهنا اليه عبر البريد حتى كان خير مستجيب، وقام بالاتصال بالعديد من أبناء الطيرة، ليوافونا بشهاداتهم والتي كان من بينها شهادة بطل نعتز به وبعشرات بل ومئات من ابطال الطيرة، ونقصد بذلك شهادة عبد الرحمن مصباح البطل والتي احتلت موقع الصدارة لدى الحديث عن معارك الطيرة . وكذلك الدكتور وليد مصطفى، والذي اغنى عملنا هذا في جوانبه الجغرافية، كما اشكر الاستاذ عمر مسلم لقيامه بعملية التدقيق اللغوي، كما أشكر ربى بربار وصباح عبد الدايم ورنا فرح اللواتي قمن بصف احرف الكتاب .

وفي الختام، فإننا نحيّي أهل الطيرة وخصوصاً اولئك الذين لولا رواياتهم الشفهية ومساعدتهم لما رأى هذا الكتاب النور، حيث يجد القارىء قائمة باسمائهم في نهاية الكتاب عند ذكر المصادر الأولية . فقد اعتمدنا في فصول عديدة على ما حفظته ذاكرتهم، وما نطقت به ألسنتهم، وما فاض به وجدانهم .

مدير المركز

د. صالح عبد الجواد

المقدمة

تعد الطيرة من أمهات قرى قضاء حيفا، حيث كانت تتصدر قرى المنطقة بأهمية موقعها الاستراتيجي الواقع على خط حيفا – يافا وعدت بوابة حيفا الجنوبية في العصور الوسطى والعصر الحديث ؛ كيف لا واراضي حيفا الجنوبية والجنوبية الشرقية كانت تعود ملكيتها بل كانت مسجلة باسم الطيرة، وتميزت الطيرة الحديثة بصلابة وقوة جأش رجالها الذين اشتركوا في مسيرة النضال الفلسطيني منذ بدئه سواء أكان في مقاومة الاحتلال البريطاني او في مقاومة الاحتلال والاستيطان الصهيوني . فهي التي احتضنت وآوت القسام ورجاله عقب عملياتهم البطولية ، ورجال الطيرة هم من اوائل الثوار الفلسطينيين الذين لجأوا في صراعهم مع الصهاينة الى قطع طرق المواصلات امام وسائل النقل المختلفة ، مما ادى الى استنزاف طاقات العدو الصهيوني في هذه الحرب، مما اضطرهم الى ترك الطريق الرئيس حيفا يافا والبحث عن طرق التفافية حتى يتخطوا الطيرة.

وقد حرصت في دراستي هذه على ابراز تاريخ طيرة حيفا على مر العصور ، حيث استعرضت ما ورد عنها في بطون الكتب التاريخية،كما التقيت بعدد من ابناء القرية داخل الوطن وخارجه حيث قمت برحلة عمل الى الاردن، والتقيت بعدد من رجال القرية في كل من عمان واربد الذين زودوني مشكورين بمعلومات عن القرية خلال المقابلات الميدانية التي تم تسجيلهاعلى اشرطة مسجلة. ومن الجدير ذكره أنني وجدت اكبر تجمع لاهالي الطيرة في اربد حيث أصبح لهم شأن كبير وكأنهم في بلدهم، وخلال الدورة النيابية الحالية لمجلس النواب الاردني تم انتخاب النائب صالح شعواطة احد ابناء القرية ممثلا لدائرة اربد الانتخابية، ويدل هذاعلى المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها اهالي الطيرة خارج الوطن. ومن اللافت

Digitized by Birzeit University Library

للنظر أن قليلا من عائلات الطيرة موجودون في داخل الضفة الغربية حيث وجدت بضع عائلات في مخيمات نابلس. وخلال زيارتي للقرية عام ١٩٨٧ بصحبة مدير مركز الابحاث الاسبق الدكتور شريف كناعنة وغازي حجير احد ابناء القرية وجدنا عددا من عائلات القرية قد سكنت وادي النسناس في حيفا، كما وجدنا عائلتين ما زالتا تقيمان في موقع القرية.

تضمن البحث خمسة فصول، تناول الفصل الاول منها موقع القرية من الناحية الجغرافية ومساحتها وعمرها الجيولوجي. كما تضمن تضاريس البلدة ومناخها وأسماء المواقع الجبلية والسهلية فيها. واستترت بكتاب عبد الصمد ابو راشد في هذا الفصل .

اما الفصل الثاني فقد تناولت فيه عرض تاريخ القرية على مر العصور، واستهللته بمناقشة سر تسمية القرية بهذا الاسم، كما عرضت من خلاله تطور الوجود البشرى بالقرب من مرقع القرية، مستعيناً برأي علماء الآثار في هذه المسألة الذين مالوا الى الاعتقاد بأن وجود الانسان على أرض الكرمل هو من أقدم العصور التاريخية في تواجد العنصر البشرى في فلسطين. مستندين في مقولتهم هذه الى الموجودات الاثرية في مغارة الطابون او السخول " الجدي " والوادي الوقعة على اراضي الطيرة، كما ألمحت في هذا الفصل الى الفترات السياسية المتعاقبة على القرية بدءا بالفترة الكنعانية التي لم اجد عنها الكثير، ثم مرورا بالفترة الرومانية والعهد الصليبي، ثم عرضت من خلال العهود التي تلت الفتح العربي الاسلامي التي كان آخرها العهد العثماني. ثم فترة الانتداب البريطاني وما تخلله من حركات سياسية وأعمال عنف التي كان آخرها ثورة القسام والتي توجت بثورة ١٩٣٦.

وتضمن الفصل الثالث الحياة الاقتصادية في القرية من زراعة وتجارة وأصحاب حرف وأيدي عاملة في الطيرة، حيث ترك قسم من أهالي الطيرة العمل

الزراعي لكثرة الضرائب المفروضة على كاهلهم واتجهوا للعمل في ميناء حيفا ومصلحة سكة الحديد والمنشآت الصناعية التي كانت مقامة على ارض حيفا، بالاضافة الى العمل في كامبات الجيش البريطاني المقامة على أراضي القرية.

أما الفصل الرابع فقد ناقشت فيه الحياة الاجتماعية في القرية وتعداد سكانها وسلوكهم والصفات التي تميزوا بها، كما تناولت فيه بالذكر اسماء حمائل وعائلات القرية واهتمامهم بالتعليم، وتشيدهم للمدارس لابنائهم من الجنسين ذكورا واناثا، مما يدل على وعيهم الحضاري ومواكبتهم لعجلة التطور. ثم تناولت العادات والتقاليد الشعبية والدينية في القرية. ولمحت الى الوضع الصحي المتدني والذي كان سائدا في ذلك العهد بسبب قلة الاطباء وندرة الدواء مما اضطر الاهالي الى التداوي بواسطة الطب الشعبي أو الشعوذة، وذيل الفصل بمشاهير اهل القرية من علماء ومخاتير ووجهاء.

وواسطة عقد الكتاب هو الفصل الخامس الذي عرضت فيه مأساة اهالي الطيرة، حيث تطرقت فيه لحرب ال١٩٤٨، وتناولت جذور المؤامرة الصهيونية البريطانية لاقتلاع الشعب الفلسطيني من جذوره وطرده من أرضه ووطنه بغير وجه حق، وحوى هذا الفصل قصصا عن المآسي والمعاناة والارهاب الذي مارسته العصابات الصهيونية ضد اهالي القرية والقرى المجاورة لها. وعن رحلة العذاب والهجرة القسرية لنساء وشيوخ وأطفال الطيرة الذين هجروا من بلدهم في جنح الظلام تحت أزيز الرصاص وقذائف المدافع البرية والبحرية ونيران الطائرات، تاركين وراءهم ارضهم وحلالهم وخيرات بلدهم وكبار سن عجزا. لا يقدرون على السير. ومن خلال المقابلات التي اجريتها مع بعض رجال ونساء القرية رأيت الاسى والحزن في عيونهم التي لا يجف الدمع منها طالما تذكر الأهل الأيام السوداء العصيبة التي مروا بها رغم مرور ما يقارب نصف قرن على رحيلهم عن ارضهم

Digitized by Birzeit University Library

ووطنهم، حيث رووا لي قصصا تقشعر لها الابدان، وكيف تاهت الأم عن ابنها ، والأخ عن اخيه والرجل عن زوجه، وعن حالات الفزع والهلع والخوف حيث لاحقتهم طائرات العدو اينما ذهبوا. ولم يستطع بعضهم دفن فقيده أو اسعاف جريحه، وقد ألم بهم بلاد الجوع والخوف معا، فلم يستطيعوا اخذ قوت يومهم وتركوا كل شيء.

ومن اللافت للنظر خلال هذا الفصل المذبحة النكراء التي اقترفها الصهاينة حيث تميزت هذه المذبحة عن كل المذابح والمجازر التي ارتكبوها بحق الشعب الفلسطيني حيث قام الجيش الاسرائيلي بعد احتلاله للقرية بجمع كبار السن من الشيوخ رجالا ونساء ونقلوهم بحافلات على طريق اللجون-جنين وسكبوا عليهم مادة مشتعلة وتم قتلهم حرقا بدم بارد وقد وقف المجتمع الدولي متفرجا دون أن يحرك ساكنا، واجتهدت أن اورد شهادات الرواة من أهل القرية الذين عاصروا هذا الحدث المفجع والمؤلم. والذين اكدت رواياتهم من بعض المؤرخين بخصوص المذبحة وعدد شهدائها.

وفي نهايتة تناولت مكان تواجد اهل القرية بعد عام ١٩٤٨ داخل الوطن واستنرت في هذا الموضوع برأي الاستاذ عبد الصمد ابو راشد الذي جمع مادة قيمة عند تواجد سكان القرية في الوقت الحاضر.

وفي الختام ارى أنه لا بد من ذكر الصعوبات والعقبات التي مر بها البحث التي كان أهمها تباين آراء الرواة من أهل القرية في الامور التي تتعلق بالنواحي الانسانية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الطيراوي، كما أن تشتت اهل القرية خارج الوطن حال دون الالتقاء بعدد كبير منهم رغم انني كنت ارى لزاما علي ان التقي كبار السن من جميع العائلات ولكن لم يتسنّ لي ذلك بسبب تشتت سكان القرية في اغلب انحاء المعمورة في الوطن العربي وخارجه. وحاولت مكاتبة بعضهم فردوا

بالايجاب مشكورين، وأرسلوا لي مادة غنية عن تاريخ القرية رغم بعدهم وأخصّ بالذكر منهم: السيد عبد الرحمن مصباح البطل.

ان موت الكثير من كبار السن ممن حفظوا تاريخ البلدة وشاركوا في صنع احداثه كان خسارة فادحة، لان كثيرا من الحقائق والوقائع قد دفنت معهم، مما حال دون جمع كثير من المعلومات القيمة عن تاريخ القرية، فكثير من الرواة الذين قابلتهم كانوا يقولون: سمعنا أو قيل لنا، وقليل منهم قال شاهدت أو شاركت، وهذا يضعف الرواية الشفوية فربما ينقص الراوي او يزيد لعدم تواتر الحديث او المقولة واسنادها، وكثير من الروايات كانت متباينة تاريخيا او بدون تاريخ زمني محدد.

ولا يفوتني في الختام أن اشكر الرواة من أهل القرية الذين قابلتهم داخل الوطن وخارجه، وأخص بالذكر منهم القاطنين في عمان واربد على حسن استضافتهم لي، والذين جادوا لي بوقتهم وقدموا كل ما يستطيعون تقديمه من معلومات علموا بها او سمعوا عنها. " اسماؤهم في قائمة المصادر الاولية "

كما اشكر الدكتور صالح عبد الجواد مدير المركز والمشرف على البحث على اقتراحاته القيمة وملاحظاته السديدة. والدكتور وليد مصطفى على تقديمه المشورة فيما يتعلق بالنواحي الجغرافية. وكل الثناء الى امينة المكتبة ريم غزال على توفيرها الكتب والمراجع اللازمة للدراسة والبحث، وشكري الى الزميل عطية جوابرة على ترجمته لبعض الاوراق العبرية التي افادت منها الدراسة. والى الانسة ربى بربار على طباعتها بعض فصول هذا الكتاب، وكل الشكر والثناء الى الاستاذ عمر مسلم على مراجعته اللغوية والنحوية لهذه الدراسة. والى كل هؤلاء اقدم شكري وامتناني الذين لولاهم لما خرج هذا الكتاب بهذه الحلة التي ترون.

عبد الرحيم بدر الدين المدور

آب-١٩٩٥

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الأول

جغرافية القرية

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الأول
جغرافية القـرية

الموقع

على السفوح الدنيا الجنوبية الغربية لجبل الكرمل تربض قرية الطيرة، التي تعد من امهات قرى قضاء حيفا، عرفت الطيرة بأسماء عديدة تميزاً لها عن مسمياتها من القرى الفلسطينية التي تحمل اسم (طيرة) والمنتشرة في مناطق اخرى من أقضية المدن الفلسطينية، فعرفت بطيرة حيفا، والطيـــرة الشمالية، وطيـــرة اللوز ثم طيرة الكرمل، والكرمل كلمة كنعانية تعني الشجر المثمر. [١]

تقع قرية الطيرة على بعد ١٢كم إلى الجنـــوب من مدينة حيفا على خط ٤٧ "، ٤٦ ′، ٣٢ ° عرض، وخط طول ٢٨ "، ٥٨ ′، ٣٤ °، وهو ما يتمثل بالاحداثيات الفلسطينية ٢٤١ شمالاً و ١٤٨ شرقاً. وجاء موقع القريـة بمحاذاة الطريق الرئيسية الساحلية، حيفا – يافا التي ترتبط به القرية بطريق فرعية طولها ٢ كم .

وتعد الطيرة من القرى الفلسطينية الساحلية التي تحف بشواطىء المتوسط ويبلغ ارتفاعها ٧٥م عن سطح البحر . ويأتي موقع القرية عند الكيلو ٣٩٩,٥ من خط سكة الحديد المصرية الفلسطينية السورية الذي يمر من أراضي القرية حيث يوجد في هذه القرية محطة لسكة الحديد. [٢]

تشترك القرية مع عدد من القرى التي تحيط بها من جهات ثلاث بحدود وأراض متشابكة، فتحدها من الشمال مدينة حيفا، ومن الشمال الشرقي بلد الشيخ،

Digitized by Birzeit University Library

وإلى الشرق منها قرية الخريبة، ومن الجنوب الشرقي قرى عسفيا والدامون، ومن الجنوب قرى عين حوض وعتليت، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط .

المساحة

اعتبرت قرية الطيرة من أكبر قرى قضاء حيفا حيث تميزت بأنها الأولى في عدد سكانها والثالثة من حيث مساحة أراضيها بعد قريتي شفا عمرو وإجزم، فبلغت مساحة الأراضي التابعة للطيرة ٤٥,٢٦٢ دونماً، منها ١٠٢٦ دونماً للطرق والوديان والسكك الحديدية، وتأتي ايضا الثالثة بين قرى القضاء من حيث حجم مسطحها بعد قريتي شفا عمرو وبلد الشيخ، حيث بلغت مساحة مسطح القرية المستخدمة للبناء ٢٢٤ دونماً، بينما بلغ مسطحا سابقيتها ٣٣٨ و ٢٤١ دونماً على التوالي [٣] .

العمر الجيولوجي للمنطقة

تعود أراضي جبل الكرمل في الأساس إلى الزمن الجيولوجي الثاني/ العصر الكريناسي الأعلى وإلى الزمن الجيولوجي الثالث / عصر الأيوسين، حيث كان البحر المتوسط (بحر تيتس) يغطي معظم فلسطين والأردن حتى الأيوسين الأوسط، قبل ٤٥ مليون سنة، ثم بدأ ينحسر غرباً. وفي عصر الميوسين الزمن الجيولوجي الثالث قبل ٢٢,٥ مليون سنة بدأت عملية الانفتاح في الغور الانهدامي: الافرو آسيوي الممتد من افريقيا عبر البحر الأحمر وإلى وادي عربة والبحر الميت وغور الأردن، حيث هناك يتفرع الانهدام باتجاه شمال غرب عبر مرج ابن عامر وجبل الكرمل وشمالاً إلى البقاع وحتى جبال الأمانوس في تركيا .

وفي نفس هذه الفترة بدأت تتشكل جبال فلسطين وترتفع عبر الطيات والصدع إلى أن انحسر البحر نهائياً ولم يعد يغطي المنطقة . وقد تمت عملية الرفع

الأولى لجبال فلسطين في أواسط عصر الميوسين قبل ١٢ مليون سنة، وجاءت عملية رفع ثانية أقوى من قبل ٢,٨ مليون سنة في النصف الثاني من عصر البليوسين من الزمن الجيولوجي الثالث، حسرت البحر إلى حدوده الحالية. ولا زالت هذه العملية مستمرة وهي التي اعطت جبال فلسطين ومنها جبل الكرمل شكلها الحديث. كما في صخور جبل الكرمل في جزئه الشمالي، حيث كانت قرية طيرة حيفا مكونة من صخور كلسية والدولوميت الصلبة (رخام) التي تعود إلى العصر الكريناسي الأعلى، مضافاً إليها نتوءات بازلتية شرقي القرية تعود لنفس العصر .

وتؤثر طبيعة الصخور هذه على نوعية التربة، فهي في الأساس تربة حمراء لونها يتراوح بين الأحمر والبني الفاتح، ويتراوح سمكها بين عدة سنتمترات ومتر واحد، وفي الأودية تكون الأرض أكثر سماكة، وهي بشكل عام فقيرة بالمواد العضوية وغنية بالحديد، أما في أراضي القرية الممتدة إلى ساحل البحر، أي في المناطق السهلية فطبيعة تربتها تختلف عن التربة الحمراء، فالتربة هنا رملية وهي غنية وخصبة. [٤]

التضاريس

تتباين أشكال التضاريس على سطح الأرض في منطقة حيفا، نظراً لتعدد العوامل المسؤولة عن بنائها، وهذه العمليات البنائية التي تمثلت في مجموعة حركات الشد التي تعرضت لها التكوينات الصخرية في المنطقة واتجهت هذه الحركات نحو اتجاهين متعاكسين إلى الشمال الشرقي على نهر المقطع، وإلى الجنوب الغربي لتصل إلى وادي المغارة. أو ما يسمى بوادي الطيرة أدى إلى هبوط الأجزاء المحاذية لخط الصدع الشمالي وخط الصدع الجنوبي وبروز الوسط بينهما بشكل عمودي، وهذه الزحزحة العمودية قدرت بحوالي ١٠٠٠م وقد نجم عنها بروز جبل الكرمل وشريط طولي ضيق جاء بين أقدام الكرمل والمتوسط والذي عرف بالسهل، وهو

Digitized by Birzeit University Library

جزء من السهل الساحلي الفلسطيني المحاذي لقضاء حيفا والذي لا يتجاوز عرضه ٢كم قبالة طيرة حيفا، وبلغ أقصى اتساع له ٢ - ٣كم في بعض المناطق .(٥)

وتقسم التضاريس في القرية إلى ثلاثة أقسام :-

١- الجبال

٢- السهول

٣- الأودية

الجبال

تقع الطيرة على السفح الشمالي الغربي لجبل الكرمل على موقع يرتفع ٧٥م عن سطح البحر . والكرمل كما هو معروف يمتد باتجاه جنوب شرق وشمال غرب، وأعلى ارتفاعاته يقع في جزئه الجنوبي الشرقي قرب عسفيا حيث يصل إلى ٥٤٦م فوق سطح البحر، أما أعلى ارتفاعات الكرمل حول الطيرة فيقدّر بحوالي ٢٦٢م .

والكرمل بشكل عام شديد الانحدار في سفوحه الشرقية حيث الصدع الكبير الذي يمثل: امتداد انهدام الغور الكبير في جزئه الفلسطيني الذي يزيد طوله عن ٢٠كم. أما في سفوحه الشمالية الغربية، فهو ذو انحدارات أخف نسبياً خصوصاً في اجزائه الوسطى حيث تقع الطيرة، والتي أقيمت على ثلاث تلال منبسطة تقريباً، وهي " فرش الحلقة في الشمال، و" القف " في الوسط، و " فرش الزلاقة " في طرفها الجنوبي .

السهول

يُعد سهل الطيرة جزءاً من السهل الساحلي الفلسطيني الذي يقسمه جبل الكرمل إلى قسمين شمالي وهو سهل عكا، وجنوبي وهو السهل الساحلي، الذي يمتد على طول الشاطىء منطلقاً من حيفا مائلاً كحد السيف لاعوج فيه ولا نتوء حتى أنه لا يعرف الموانىء، بمعنى الكلمة حتى نهايته والتقائه بالحدود المصرية .

ويبدأ سهل الطيرة من جنوب حيفا، وهي أول أراضي الطيرة في موقع يقال له العزيزية تملكه عائلات طيراوية، ولا يفصله عن البحر سوى خيط رفيع من تلال صخرية مستطيلة خفيضة تظهر مسافات قصيرة بارتفاع بضعة امتار ثم تختفي مسافات اخرى ، وأول هذه التلال : تل السمك من أراضي حيفا، ومنها تل علي الزيدان وتل اخر بس مقابل القرية، وآخرها تل الاقرع في الجنوب، ودون تلك التلال إلى البحر كثبان رملية ناعمة هي الشاطىء الذي يضيق ويتسع، وهي في موقع الكنيسة قبالة الطيرة يتسع إلى مسافة ٢كم .

وسهل الطيرة ذو تربة رملية طينية خصبة، وتنبسط كباطن الكف تخترقها من الشرق إلى الغرب ثمانية أودية شتوية .

ويبلغ طول سهل الطيرة من الشمال إلى الجنوب قرابة ١٣كم، بدءاً من تل السمك شمالاً وحتى مشارف عتليت جنوباً ويتراوح متوسط عرضه ٢كم، وقدرت مساحة السهل التابع للقرية قرابة عشرين الف دونم .* (٦)

* اجمع عدد من سكان القرية على وصف عبد الصمد ابو راشد..

Digitized by Birzeit University Library

سمحت الطبيعة التضاريسية لجبل الكرمل وميله المتدرج إلى الغرب وكذلك طبيعة صخوره الكلسية القاسية أن تقسم الأودية والأخاديد لهذا الجبل عبر جريانها باتجاه البحر بشكل رئيسي .

وتتخلل أراضي الطيرة الجبلية منها والسهلية أخاديد وأودية بلغ عددها ثمانية، وهي من الشمال إلى الجنوب : كفر السامر، ووادي ريشة، وعمرو، وعبدالله، ووادي العين وأبو الجاع، ومسلية، ثم وادي فلاح، وكلها تجري من الشرق إلى الغرب وتتميز أودية الطيرة بقصرها وانقطاع مياهها في أغلب شهور السنة وباستواء مجاريها حيث تلامس الأرض السهلية وكأنها أحواض انهار صغيرة، ووصف مواقع هذه الأودية كالتالي :-

أولاً : وادي كفر السامر : يبدأ من أواسط الكرمل الشمالية على بعد ٦كم من موقع القرية من شرقي الكبابير، ويبلغ طوله نحو ٤كم، ويمر بموقع كفر السامر، ويصب في موقع يقال له باب النهر .

ثانياً : وادي ريشه : يبدأ هذا الوادي من حوامة الكرمل الوسطى ويمر جنوباً بجوار مستوطنة آخوزا، ثم باتجاه الغرب حتى اذا اخترق السفوح الغربية سار بجوار كفر السامر من الجهة الجنوبية حتى يشكل فاصلاً طبيعياً بين الاكتاف الجنوبية للوادي الآخر وخلايل الصعي. ويتغذي هذا الوادي مسافة ٢٠٠٠م من مياه عين وادي ريشة، ويلغ طول هذا الوادي نحو ٥كم.

ثالثاً : وادي عمرو : هو أقصر أودية الطيرة الواصلة إلى البحر وبدايته غير بعيدة عن سفوح الكرمل الغربية وتقع إلى الجنوب من وادي ريشة، ويفصله عن خلايل الصعبة مرتفع صخري يقال له دبة ظاهر، وهذا الوادي شديد الانحدار يخترق

السفوح الغربية للكرمل وفيه هوة سحيقة سماها الطيراويون "هوته" وهي على شكل بئر عميق .

رابعاً : وادي عبدالله : اسمته بعض المصادر وادي الطيرة، ويقع إلى الجنوب من حيفا ويعرف هذا الوادي عند بدايته باسم وادي الكساب وقرب منتهاه بوادي المصرار، ويبلغ طول هذا الوادي نحو ستة آلاف متر، ويبدأ من موقع يقال له رأس المهلل شمال شرق الطيرة، ثم يتجه شمالاً ويسير متعرجاً في شبه نصف دائرة قبل أن يصب في النهر .

خامساً : وادي العين : ذكرت بعض المصادر وادي العين باسم وادي المغارة بين أربعة أودية في الطيرة، ووادي العين أطول أودية الطيرة وأبعدها أثراً في حياة السكان ثم اكبرها اتساعاً في مجراه، إذ يزيد طوله عن ثمانية آلاف متر، ويبدأ تشكله بمجموعة من المتعرجات والشلالات الجبلية قرب خربة الدامون، وينبسط قصر الوادي عند دخوله موقع الخربة من أطرافه الجنوبية إلى أن يخرج منه ثم يسير حتى يصل عين أم القصب فتغذيه بمياهها الضحلة إلى أن يصل عين المغارة التي تستقي منها القرية، وقد جاء اسم وادي المغارة نسبة إلى العين التي تنبع من وسط المغارة ويدخل الوادي القرية من طرفها الشرقي حيث فرش المرقصة ورأس المهلل وعراق الشيخ سليمان، ويلتقي القف من شماله وقبل مغادرته الطيرة بوادي ابي الجاع ليمضي إلى البحر في خط شبه مستقيم .

ويقسم وادي العين الاحياء الجنوبية إلى قسمين : شمالي وجنوبي، وطولياً من الشرق إلى الغرب، ويلتقي وادي العين مع وادي أبي الجاع في الحد الفاصل بين منزلين احدهما لمحمد اسماعيل عمورة، وثانيها لمحمد حسن التاج حيث يتحدان في مجرى واحد .

Digitized by Birzeit University Library

سادساً : وادي أبي الجاع : وادي ابـي الجاع أقصر أودية الطيرة طولاً وأشدها وعورة في اعاليه، ومن العادة أن تتأخر حملة* مياهه عن حملة وادي العين، ويعد هذا الوادي من الأودية الداخلية في الطيرة حيث يعد أحد روافد وادي العين، ويلتقي به ما بين بيادر سلبك والبيادر الشرقية .

سابعاً : وادي مسليه : يخرج من وسط البلد الجنوبي، ويجتاز في طريقه وادي العين وأبي الجاع، ويتشعب في طرق عدة، ومن بينها طريق يسير نحو الجنوب الغربي بمحاذاة بيادر شلبك، وما يلبث أن يلتقي بطريق قادم من الممرات الغربية ماراً بخروبة " أبو عدل" الضخمة العالية ، ثم تتشعب عنه طريق تذهب غرباً إلى خروب قاسم فالسهول الغربية، ويتابع سيره جنوباً عبر أشجار الزيتون من موقع قدح حيث يعرف باسم الدرب التحتا ماراً من غرب مقبرة الحارة القبلية، ثم يتشعب مرة أخرى عند دخول موقع "رأس الزلاقة " وينتهي إلى وادي مسلية عند موقع يقال له مفلح .

ويقدر طول هذا الوادي بحوالي ٥ آلاف متر، يتدافع ببطء وذلك بسبب كثرة الاكواع النهرية وكثرة العوائق الحجرية والحرجية، وتغذي عين ابي حديد هذا الوادي بالمياه فينشط دفعها وتتدفق المياه منها في فصل الشتاء وخصوصاً في الايام الماطرة .

ثامناً : وادي فلاح : في أقصى حدود الطيرة الجبلية المتاخمة لحدود قرية عين حوض يقع وادي عريض مجراه وحوضه الأسفل يفضيان إلى السهل، أما مجراه العلوي فيضيق نسبياً غير أن اكتافه الجبلية والشمالية منها، اكثر اتساعاً وأرحب

* الحملة : تدفق المياه فيه.

انبساطاً ولذا ينساب فيه الماء بطيئاً لفترة أطول ولمسافة تزيد عن سبعة آلاف متر وهي طول الوادي .

يبدأ تكون هذا الوادي بمجموع شعاب من جنوب موقع الشلالة وخربة الدامون، وتتعمق هذه الشعاب وتتلاقى قبل أن تصل موقع وشاح، ويلتقى وادي فلاح بعد موقع وشاح برافد هابط إليه من اكتافه الجنوبية وهو وادي مسكربابه ذو المجرى القصير العريض، ويعتقد أهالي القرية أن سبب تسمية هذا الوادي بهذا الاسم هو أن وادي فلاح يمنعه من الوصول إلى البحر.

يدخل وادي فلاح السهل الساحلي من تحت جسر عال مقام على طريق يافا – حيفا ليلتقي بعده بمسافة قصيرة في موقع "باب العجل" بوادي البساتين القادم من أراضي عين حوض والتقاء الواديين يشكل نقطة حدودية لقرى الطيرة وعتليت وعين حوض والمزار * . ثم يدخل أراضي عتليت من موقع الدستورية تاركاً السجن على شماله، وبعد أن يمر بعين الدستورية التي تشرب منها عتليت، يتابع الوادي سيره عبر طرفها الشمالي ليصب في المتوسط .

تذكر بعض المصادر الفلسطينية هذا الوادي الجميل وتذكر اسم مغارة واحدة فيه حيناً وثلاث مغارات حيناً آخر، ويدعو الاسرائيليون الوادي باسم " ناحال اورن (Nahal Oren)، ومستوطنة الشلالة بيت اورن (Bit Oren) . ومن الجدير ذكره أنه يوجد في هذا الوادي ثلاث مغائر وهي مغارة وشاح ومغارة فلاح ثم مغارة أبو أصبع[٧].

* المزار إلى الجنوب من حيفا على بعد ١٩كم سميت كذلك من كثرة ما دفن فيها من شهداء المسلمين في الحروب الصليبية .

Digitized by Birzeit University Library

المناخ

مناخ القرية معتدل بشكل عام، ماطر في فصل الشتاء، ومعتدل ولطيف صيفاً، مع ارتفاع في نسبة الرطوبة لقربها من البحر. ويعمل نسيم البر والبحر على تلطيف الجو بشكل عام وخاصة تخفيف درجة الحرارة والجفاف الناتجين عن الرياح الخماسينية عندما تهب على المنطقة في أوائل الصيف.

ويتضح من الرسم البياني المرفق معدلات سقوط الأمطار ودرجات الحرارة للأعوام ١٩٢٦ - ١٩٤٢ في محطة رصد جبل الكرمل*. إن الأمطار في هذه المنطقة كما هو الحال في معظم أنحاء فلسطين كثيرة التذبذب، حيث وصل أعلى معدلاتها في عام ١٩٣٧ إلى ٨٠٧ ملم، وبلغ معدلاتها في عام ١٩٤١ - ٣٣٢ ملم، هذا وبلغ معدل سقوط الأمطار للأعوام السالفة ٦٣٥,٤ ملم.

وفيما يتعلق بدرجات الحرارة نلاحظ فروقاً فيها بين فصل وآخر ومن شهر إلى آخر، فهي تتذبذب لتصل إلى أقل ما تكون عليه في مناطق الداخل الفلسطيني، حيث وصل معدل درجات الحرارة العليا في القرية في الفترة الواقعة بين عام ١٩٣٢ - ١٩٤٢، ٢٢,٤° والدنيا ١٥,٥°. والمعدل السنوي ١٩° لكن هذا لا يحول دون أن يسجل لفترات قصيرة درجات حرارة أعلى من معدلها السنوي في فصل الصيف لتصل إلى ٣٥°، وفي فصل الشتاء إلى أدنى معدل لها ١ - ٤°.

* محطة رصد جبل الكرمل يبلغ ارتفاعها ٢٩٧م فوق سطح البحر، وتبعد إلى الشمال من موقع القرية ٦ كم بخط هوائي. وتقع على خط عرض ٣٨ / ٣٢° وطول ٥٩ / ٣٤°.

رسم بياني لسقوط الأمطار في حيفا والمناطق المجاورة لها

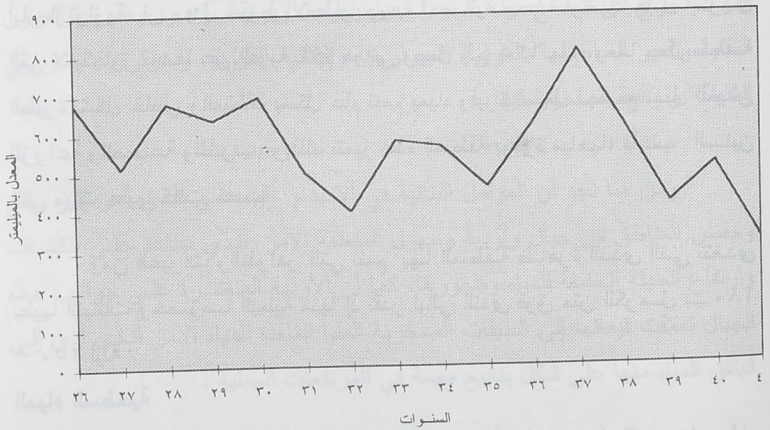

Digitized by Birzeit University Library

كما بلغ معدل الرطوبة النسبية للسنوات ١٩٣٨، ١٩٣٩، ١٩٤٢ على التوالي ٥٩٪، ٦٢٪، ٦٩٪، وسجل الضغط الجوي للسنوات الثلاث السالفة ١٠,٨مم، ١١,٧مم على التوالي. (٨)

مصادر المياه

تعد الامطار المصدر الاساسي للمياه في المنطقة، يضيع جزءٌ منها بفعل التبخر، أما الجزء الاخر وهو الاكبر فيتسرب إلى الطبقات الدنيا عبر منافذ الصخور إلى أن يصل إلى الصخور الصلبة غير المنفذة، وهناك تكون الخزانات الجوفية، والتي يظهر جزء منها على شكل ينابيع او عيون واحيانا أخرى تستغل على شكل آبار ارتوازية، ان معدل سقوط الامطار حسب احصائية محطة أرصاد جبل الكرمل التي لا يتجاوز بعدها عن القرية ٦كم هوائي وصل إلى ٦٣٥ ملم، ومما جعل منطقة الطيرة بشكل خاص والمنطقة بشكل عام تنعم بمياه وفيرة تستغل لجميع سبل العيش للزراعة والصناعة وللشرب، وبذلك تتميز هذه المنطقة بوفرة مياهها، فأغلب السنين التي مرت عليها كانت خصبة.

ومن الخيرات والظواهر التي تنعم بها المنطقة ظاهرة الندى التي تتغذى عليها النباتات وخصوصاً البعلية منها إذ تقدر ليالي الندى فوق متن الكرمل بـ ١٨٠ – ٢٥٠ ليلة .

المياه السطحية

أما الجزء الاخر من مياه الامطار فيتجمع في أحواض مياه التصريف مثل الاودية والجداول والمسالك المائية النافذة إلى البحر والتي سبق وأشرنا إليها سابقاً وغالباً ما تذهب هذه المياه في نهاية المطاف لتصب في البحر.

المياه الجوفية والينابيع

تطفو المياه الجوفية في منطقة حيفا إلى الطبقات العليا لتصل إلى مسافة قريبة من سطح الارض وخصوصاً في المنطقة الواقعة قبالة طيرة حيفا القريبة من شاطىء البحر .

وتشكل الينابيع في الطبيعة حلقة الوصل بين المياه الجوفية التي تغذيها وبين المياه السطحية التي تكون سبباً في استمرارها ودوامها. واذا كانت المياه الجوفية بين الصخور الكلسية الصلبة التي تكون طبقاتها الدنيا غير نافذة فتحافظ عليها، وتعتبر الفجوات التي بين هذه الصخور خزاناً طبيعياً للمياه، وفي اغلب الاحيان تتفجر هذه المياه وتخرج الى السطح، ولذا سميت العين ينبوعاً، ويرتبط وجود وظهور العيون المائية وتفجر المياه منها بالعوامل الجيولوجية والبنائية البنيوية، وبغزارة الامطار في المنطقة ونوعية الصخور فيها .

ومن هنا نجد أن العوامل البنائية في الانهدام الصدعي الذي أدى إلى رفع وخفض المناطق من جبال وأودية وسهول المنطقة الامر الذي ساعد على انكشاف وارتفاع الطبقة الحاملة للمياه وظهورها، كما أن الأودية المنتشرة على جوانب هذه الجبال تعمقت قيعانها إلى الطبقات الصخرية العليا المنفذة للمياه الامر الذي أدى إلى انبثاق المياه منها على شكل ينابيع مهمة في المرتفعات الجبلية .

ومن الجدير ذكره أن فلسطين تحتوي على عدد كبير من الينابيع في مناطقها المختلفة التي تضم اكثر من ١٥٠٠ ينبوع، والتي تعتبر منطقة الكرمل ومنطقة أم الفحم واحدة من عشرة مواقع مهمة غنية بالينابيع التي تحوي على أكثر من ١٥٠ ينبوعاً تزيد غزارتها عن ١٠ لترات في الثانية.(٩)

Digitized by Birzeit University Library

ويتراوح عمقـــها ما بين ٢٠ – ٤٠م وتستغل هذه المياه في الغالب للشـرب والزراعة. (١٠)

ويقول أحد سكان القرية (سليمان عبد العـال): *"في منطقة البحر كنا نملك أرضاً في موقع يقال له العزيزية قرب الطريق المؤدية إلى حيفا، حفرنا بئراً بعمق مترين في الأرض فخرج النبع، كنا نسقي منه الماشية طوال الصيف، ومياهه لا تنضب، وعندما كان يأتي الشتاء كنا نغلق بابه وفي السنة التالية نعيد فتحه مرة أخرى"* .

ويضيف السيد عبد العال: *" جرت محاولات من قبل الانجليز لاستخراج المياه من منطقة الطيرة والسيطرة عليها وأذكر أنني كنت أعمل في كامب تابع للجيش البريطاني اسمه كامب الحديد، ولاحظت أن الانجليز قد بدأوا بحفر بئر ارتوازي بالقرب من تين (أبو عودة) عند وادي ريشه فوق كامب الحديد، وعينت حارساً على موقع البئر بواسطة مسؤول كان يعمل مع الانجليز اسمه غرستن Gresten ، وهو يهودي، وبعد حفر دام اكثر من اسبوعين خرج النبع وتفجر الماء من البئر حتى وصل إلى السطح، وركب الانجليز مضخة ميكانيكية على البئر من أجل تجربته، واخذوا يضخون المياه ويسكبونها في الوادي مدة اربع وعشرين ساعة حتى وصلت مياهه إلى البحر، ثم اغلقوه باحكام بواسطة ازميل حديدي"* .

وجرت محاولات لاستخراج المياه من قبل الأهالي من وادي "أبو الجاع" ومن وادي كساب ولكن المحاولات كانت فاشلة . ونجح آل (أبو راشد) بحفر بئر ارتوازي بوادي فلاح، وخرجت منه مياه قوية، لكن بريطانيا جاءت ووضعت يدها عليه ومنعت اهالي القرية من استغلاله أو الاستفادة منه، وسمح فقط لدار (أبو راشد) بأن يسقوا مواشيهم ولمسافة ١كم فقط يروون أرضهم الزراعية بواسطة انبوب نصف انش فقط . (١١)

وفي القرية عدد من الآبار تتغذى من مياه الينابيع، ومنها ما يقال انها آبار كفرية، وهذه الآبار هي بئر بثينة، والبدوية، ورشميا، وعودة ، وفضل، وفلاح، ثم بئر الكنيسة.

وفي القرية ينابيع سطحية ظهرت على شكل عيون مياه استفاد منها أهالي القرية، عرفت بعين السريس في الجنوب الغربي، وعين أم القصب في الشرق، والعين الشرقية والمعروفة بعين المغارة. (١٢)

حاول الانجليز قبل قيام الدولة العبرية توظيف بعض أموالهم وطاقاتهم بغرض السيطرة على المياه من أجل تزويد معسكراتهم بها وامداد المستعمرات الاسرائيلية بالمياه .

وجدير بالذكر أن إسرائيل قد قامت بعد احتلالها للطيرة بعدة مشاريع مائية أهمها مشروع وادي الطيرة بطاقة انتاجية تقدر بـ ٢٢ مليون م٣ من الماء سنوياً. ولا غرابة في ذلك، فالعيون والينابيع في الطيرة متوفرة، والعيون المعروفة في الطيرة عديدة، وهي عين أبو حديد، وأم الفرج، وتل الاقرع، والسريس، والصوانة، وعبدالله، وأم القصب، عين المغارة وجميعها نزازة ما عدا عين المغارة.(١٣)

أسماء المواقع السهلية والجبلية في القرية :

لكل موقع من اراضينا اسم وعنوان، وتاريخ وحضارة وأراضي الطيرة كغيرها من أراضي فلسطين ايضا لها اسم وعنوان سواء كانت سهلية او جبلية، ومن الاسماء التي تم حصرها ما يلي:-

Digitized by Birzeit University Library

أ- المواقع السهلية :

أبو طرومة، ارض الزاوية، أرض الكرم، باب الجرف، باب العجل، تل الاقرع، تل خريس، تل علي الزيدان* ، بثينة البستان، الحلبيات، خروب قاسم، الخوانيق ، درب البحر، رأس الزقاق، الربعان، الزمر، شلول الخصيب، العديل، العزيزية، العليقة، العوج الشرقي والغربي، قدح، القطعة، مسحب النمل، مسلية، المصرارة الملاحة، وادي فلاح، والمقصود هنا الاراضي السهلية التي تحف بالوادي، سهل الالمانية، خلة السريس، مصبنة الاراضي، باب النهر . قديس، القرانيف.

ب- المواقع الجبلية :

ابو مدور، ابو الندى ارض البحيرى، الدويري، ارض محمود الدهود، تل الزعرور، جورة الريان، الخريبة، الخزرقة، دبة ظاهر، السياح، الشلالة، شلول القيقبة، الصفحة، عقدة العكرش، فرش الحلقة، فرش دار زيدان، فرش الزلاقة، فرش القف، فرش محمود العيسى، القود، الكبابير، لحف المغر، لوبية، المغراقة، المفلح، وشاح اليعقوبية* .

وهناك عدد من المواقع وهي عبارة عن تلال صخرية ظاهرة من الكرمل يقال لها العرقان "جمع عراق" وهي عراق ابو حمد، وعراق الاحمر، وعراق البارود، ثم عراق الشيخ .(١٤)

* يطلق عليها تلال ولكنها أرض منبسطة ضمن سهول الطيرة.

* اجمع عدد من أهالي القرية ممن اجريت معهم مقابلات ميدانية، على صحة هذه المعلومات .

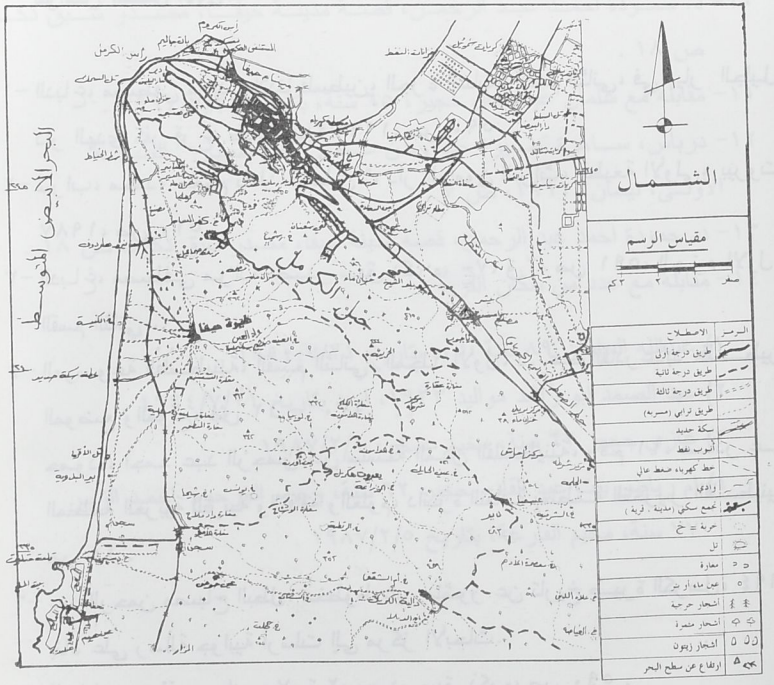

عن سلسلة الخرائط الطبوغرافية لفلسطين مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠
لوحة رقم ٢ لعام ١٩٤٢ ولوحة رقم ٤ لعام ١٩٤٧
دائرة مساحة فلسطين

أعاد رسمها وتكبيرها إبراهيم إقطيط / جامعة بيرزيت

المناطق الطبيعية والمواصلات في محيط طيرة حيفا

Digitized by Birzeit University Library

هوامش الفصل الأول

١- الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، الجزء السابع، القسم الثاني، في ديار الجليل، دار الهدى كفر قرع، طبعة جيدة ١٩٩١، ص ٥٩٠ .

٢- شراب، محمد، "معجم بلدان فلسطين "، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٧، ص ٥١٠ .

٣- الدباغ، مصطفى مراد، مصدر سبق ذكره، ج٧، ق٢، ص ٥٩١، الجزء الاول ، القسم الثاني .

٤- الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الأول، د. عبد القادر عابد ،فلسطين، الموضع والموقع، ص ١٢ - ١٣٠.

حمودة، احمد عبد الرحمن من سلسلة المدن الفلسطينية، رقم ٢١، صادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، ص ١٤ .

٦- عبد الرحمن مصباح البطل، مخطوط غير منشور عن تاريخ طيرة الكرمل، ١٩٩٤ بناء على رسالة جوابية أرسلت إلى مركز الأبحاث.

٧- الدباغ، مصطفى مراد، ج٧، ق٢، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩٠ .

د.حمودة، احمد عبد الرحمن، قصة مدينة حيفا، مصدر سبق ذكره ص ١٥- ١٦ .

٨- Statistical Abstract of palestine, 1943, compiled in the government, Department of Statistic, Seventh Edition, Jerusalem, 1994. P.P. 66-69.

٩- الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الأول، د. عادل عبد السلام، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٠، ص ٢٠٥ - ٢٠٨ .

١٠- د. حمودة احمد عبد الرحمن، قصة مدينة حيفا، مصدر سبق ذكره، ص ١٨ .

١١- مقابلة مع سلمان عبد العال حجير، ٦٥ سنة، بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢٢ .

١٢- درباس، ساهرة "طيرة حيفا وطن عصيّ على النسيان " الطبعة الأولى، نيسان، ١٩٩١، ص ٧ .

١٣- د. حمودة احمد عبد الرحمن، قصة مدينة حيفا، مصدر سبق ذكره، ص ١٨ .

١٤- مقابلة مع عدد من سكان القرية :

١) عبدالله السلمان ٨٩ سنة اربد بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢١ .

٢) عبد الصمد ابو راشد مواليد ١٩٣٣، اربد بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢١ .

٣) غازي حجير ٦٢ سنة، مخيم عسكر، ١٩٨٧/٢/١ .

٤) ام رياض بنت عبد القادر حجير ٦٢ سنة، وحرم المرحوم احمد الزير ٧٧ سنة، مخيم الفارعة، بتاريخ ١٩٨٧/٢/٥ .

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الثاني

القرية عبر التاريخ

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الثاني

القرية عبر التاريخ

اللغة والتسمية:

الطيرة، بكسر الطاء وسكون الياء وتعرف بطيرة حيفا وطيرة الكرمل، كما عرفت في الماضي بطيرة اللوز، والطيرة الشمالية. وكل اسم من الاسماء السالفة الذكر له دلالته المرتبطة بتطوره خلال الحقب الزمنية والتاريخية المختلفة.(١)

والاسم التاريخي المعروف لدينا الطيرة، نسبت الى الكرمل وعرفت باسم طيرة الكرمل، واللفظ الأول آرامي وتعني السياج أو المكان المسيج أو مضارب سكنية وتأتي بمعنى الحصن.(٢) وكرمل تعني كرم إيل أوإلاله، وهذه الكلمة تعود الى أصول كنعانية، وجبل الكرمل يمتد من خليج عكا شمالاً إلى وادي ياقون جنوباً بمسافة ٢٢ كم، ووادي ياقون الحد الفاصل بين سلسلة جبال نابلس والكرمل.

وتطلق كلمة طيرة على عدة قرى أخرى متباعدة مكاناً في فلسطين. وهي طيرة بيسان، وطيرة دندن قرب الرملة، وطيرة بني صعب، وطيرة رام الله. ونسبت قريتنا هذه إلى الكرمل وحيفا، والشمالية نسبة إلى موقعها في فلسطين، وللوز لكثرة ما كان يزرع فيها من شجر اللوز، وذلك تميزاً عن باقي القرى والمواقع التي تحمل اسم الطيرة نفسه *.

ووردت كلمة طيرة وربما هي تحريف لكلمة "طيارة" السريانية الآرامية والتي تعني حظائر (٣). ولم يتغير اسم القرية أيام الصليبيين الفرنجةوأبقوه كما هو

Digitized by Birzeit University Library

عليه اذ ذكر في مصادرهم أن القديس يوحنا من الطيرة (St John Tira) [٤] ، وجاء معنى كلمة طيرة في القاموس (Terra) بمعنى الارض، وقسمت الى قسمين: (Terra Cotta) بمعنى الأرض أو الطين النضيج، و (Terra Firma) بمعنى الأرض الصلبة أو اليابسة، (Terraih) بمعنى منطقة أو أرض أو تضاريس، [٥] والطيرة في اللغة العربية تعني التشاؤم.[٦]

وردت في العهد المملوكي باسم طيرة اللوز:

تأكد ذكرها بهذا الاسم في الدفاتر العثمانية الرسمية عام ١٥٣٨ باسم طيرة اللوز، وكذلك بالطيرة الشمالية، حيث ورد كلا الاسمين في المصدر نفسه.[٧] أما عن سبب تسميتها بطيرة اللوز فيبدو أن ذلك يعود في الأرجح لكثرة ما كان يزرع فيها من أشجار اللوز. وذكرت بالطيرة الشمالية على أساس أنهاآخر بلدة يطلق عليها اسم طيرة وتقع في الشمال في كل فلسطين، ولتميزها عن الطيرة القبلية والمقصود بها طيرة بني صعب.[٨]

وعندما أصبحت حيفا متحررة من قضاء عكا وأصبحت مركزاً للقضاء في عام ١٨٨٦ أخذوا يطلقون عليها اسم طيرة حيفا نسبة الى حيفا التي اصبحت القرية تدور في فلكها، وأخيراً وفي العهد البريطاني شاع اسمان للقرية فأصبحت تعرف بطيرة الكرمل وطيرة حيفا.[٩]

أما التعليل الشعبي لسبب التسمية، فقد أجمع سكان القرية على أن اسم قريتهم قد تطور وتحول على مر السنين، وهذا يعني أن القرية كانت تسمى بأسماء غير ما تسمى به الآن، فقد كان اسمها في الماضي طيرة اللوز، وجاءت هذه التسمية نسبةالى أشجار اللوز التي كانت تغطي جبل الكرمل، فكان هذا الاسم السائد في القديم. يروي سكان القرية عندما أخذت اشجار اللوز بالانقراض من تلك المنطقة وأصبحت نادرة ولا سيما أنها شجرة غير معمرة يقال، أن القرية أخذت تنسب الى

جبل الكرمل المشهور، فأصبح اسمها طيرة الكرمل، ولكن هذا الاسم لم يدم كثيراً بسبب اشتهار مدينة حيفا واتصال القرية بهذه المدينة الشهيرة التي لا تكاد تبعد عنها عدة كيلو مترات، كذلك مشاركة قرية الطيرة التي كانت من أكبر قرى فلسطين في أغلب الفعاليات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لمدينة حيفا، فارتبط اسم القرية أخيراً بالمدينة حتى أضحى في وقتنا الحاضر اسمها طيرة حيفا.

ويعتقد بعضهم خطأ أن أساس تسمية البلد جاء بسبب رحيل عدد من أفراد حمولة الباش الذين جاءوا مع صلاح الدين، وسكنوا في نعلين قضاء رام الله، وبسبب خلاف حصل بين أفراد العائلة الواحدة رحل عدد منهم الى الطيرة، فقيل إنهم طاروا بدل أن يقال إنهم رحلوا أو شردوا، وأخذ يشار اليهم من قبل سكان منطقة الكرمل أن هؤلاء الناس طيروا، ثم حددت الكلمة ونعتوا بالطيارنة، ثم أخذوا يطلقون عليهم اسم أهل الطيرة.[١٠]

ويقول غازي حجير إن سبب التسمية جاء من التطير والتي تعني التشاؤم.[١١]

القرية على مر العصور

دلت الحفريات الأثرية على أن جبل الكرمل كان من أوائل المواقع الفسطينية التي استوطن بها الانسان في العهد الحجري، وبالتحديد منذ نهاية العصر الحجري القديم وبداية العصر الحجري الحديث، حيث بدأ الانسان حياته بالصيد والقنص وجمع بعض النباتات البرية، وظل متنقلاً من منطقة إلى أخرى جامعاً قوت يومه الضروري حتى يسد رمقه كي يبقى على قيد الحياة. ولجأ كثير من الأحيان الى الكهوف ليجعل منها مأوى له اتقاء البرد أو الحر أوالحيوانات المفترسة، فوجد في هذه الكهوف في كثير من الأحيان ملاذاً آمناً مما جعل بداية استقراره فيها، وخير مثال على ذلك كهوف الكرمل التي تقع بجوار القرية وضمن ملكياتها. وأشهر هذه الكهوف الطابون وكهف السخول أو الجدي، ومغارة الواد. وكشفت لنا الحفريات

Digitized by Birzeit University Library

الأثرية التي أجريت في المنطقة عن وجود استيطان بشري في هذه الكهوف في نهاية العهد الحجري القديم الأول حيث وجد في مغارة الطابون مخلفات أثرية من هذه الحقبة الزمنية. وسمي حديثاً الانسان في ذلك العصر بإنسان نياندرتال.*

ويقول العلماء بأنه قد طرأ تغير على هذا الإنسان قبل حوالي (١٠٠٠٠٠) سنةمن حيث طريقة صيده أو جمعه لمعاشه أو استعماله لأدواته، حيث يستعمل رؤوس الرماح الحجرية أو السكاكين والمكاشط، وأطلق على هذه الفترة اسم العصر الحجري القديم الثاني، أي قبل ما يقارب ١٠٠-١٤٠ ألف سنة. ودلت الحفرية على وجود بعض الحيوانات الثدييّة مثل الإيل الأسمر في موقع كهف الطابون الذي كان يأوي إليه الإنسان.

ويذكر علماء الآثار وجود شبه كبير بين الانسان الذي عاش في تلك الفترة والانسان المعاصر، وهذا ما دلت عليه الموجودات والهياكل العظمية في مقبرتي كهفي السخول والطابون.

ويبدو أن ظاهرة دفن الموتى قد بدأت في العصر الحجري القديم الثاني والتي سميت بالفترة الموستيرية، حيث تم العثور على مدافن وقبور آدمية في كهوف عديدة منها كهف السخول والطابون.(١٢)

ونجد أن مغارة السخول أو الجدي كانت غنية بالهياكل العظمية أكثر من غيرها وتعود هذه الهياكل الى الفترة الموستيرية، ويتضح أن تلك المغارة كانت قد استعملت في عصور ما قبل التاريخ، حيث تم اكتشاف عشرة هياكل عظمية منها ثلاثة هياكل كاملة، اثنان منها لرجلين.(١٣)

* نياندرتال: نسبة إلى منطقة نياندرتال بألمانيا الاتحادية حيث كشف لأول مرة عن هياكل عظمية تعود لهذا الانسان في تلك الفترة.

تطور مراحل الوجود البشري في أراضي القرية

بينت لنا المسوحات والحفريات أن عدداً من المواقع التي تواجد بها الانسان في العصر الحجري القديم والقديم الثاني، انتقل الى مرحلة أكثر تطوراً وهي المرحلة من الجمع إلى الإنتاج وقدرت هذه الفترة ما بين ١٩,٠٠٠- ٨٠٠٠ ق.م. حيث كشفت المسوحات الأثرية في مغارة وادي فلاح بأرض الطيرة على مدافن محفورة بأرض البيوت وبها هياكل عظمية بدأ الانسان مرحلة الجمع والإنتاج في هذه الفترة تم اكتشاف حبوب القمح في وادي فلاح الخصيب بالقرب من مغارة الواد على سفوح الكرمل، ويستدل من هذه الفترة على بأنها مرحلة أكثر تطوراً وهي مرحلة الزراعة أو تدجين المزروعات ومنها القمح.(١٤)

وتم الكشف خلال الحفريات في مغارة الواد عن وجود دلائل حضارية سميت بالناطوفية، نسبة الى وادي الناطوف الذي يقع عليه كهف شقبة إلى الشمال الغربي من مدينة رام الله، وتعتبر الفترة الناطوفية مرحلة انتقالية ما بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث، كما أنها بداية حياة الانسان الزراعية حيث انتقل الانسان في هذه المرحلة من حياة الترحال إلى حياة الاستقرار، فكانت بداية المجتمعات الزراعية. ودلت الحفريات التي تمت في موقع وادي فلاح وكهف المغارة بجوار الطيرة إلى وجود أدوات صغيرة تنسب الى الفترة الناطوفية. (١٥)

تميزت الفترة الناطوفية بانتقال الانسان من السكن في الكهوف الى السكن في أكواخ دائرية يتراوح قطرها ما بين ٤-٩. مبنيّة من الحجر كما هو الحال في وادي فلاح.

كما اثبتت الحفريات الأثرية أن المواقع الناطوفية في مغارة الواد، ووادي فلاح قد أصبحت تجمعات سكنية، وأصبح أهل هذه التجمعات مستقرين، وعرفوا في ما بعد باسم القرى الزراعية.(١٦)

Digitized by Birzeit University Library

الفترة الرومانية

شيد الرومان عدداً من المدن الكبيرة والمهمة في منطقة الكرمل، وأوجدوا حولها أو بالقرب منها مواقع سكنية أو قرى كانت تقوم بمهام دفاعية أو أمنية، ونجد على أرض الطيرة عدداً من المواقع الرومانية كان يستعمل قسم منها للعبادة، ومن هذه المواقع خربة الكنيسة التي تقع غربي القرية، ويقال إن المسيح عليه السلام جلس ليستريح في هذا المكان خلال رحلته من مصر الى الناصرة، وبنيت مكان جلوسه كنيسة للعبادة سميت كنيّسة: ويحتوي هذا الموقع على انقاض وآثار جدران ونحت في الصخور، كما انها تحتوي على صهاريج معقودة ومحفورة في الصخور ومعاصر للعنب من أجل اعداد النبيذ، ومن المواقع الرومانية المهمة على أرض القرية عين أم الفرج إلى الشمال من موقع القرية فيها غرف وحوض وبركة مبنية من الحجارة، ويبدو أن هذا الموقع كان يستعمل للاستحمام أو هو عبارة عن حمام ومسبح.(١٧)

وإلى الجنوب من موقع القرية يوجد موقع روماني مهم وهو رأس ميثيليا وخان ميثيليا وكانت قرية (Magdiel) الرومانية تقوم على هذا الموقع وتحتوي هذه الخربة على أساسات مبان وبئر وصهاريج ومدافن رومانيةومعاصر نبيذ، ويسمي أهل الكرمل بشكل عام وأهالي الطيرة بشكل خاص هذا الموقع "مسلية" والاعتقاد السائد أن هذا الاسم هو تحريف للاسم الروماني القديم، وكذلك تسمى "عراق البارود". ويقال إن أحد رجال القرية نقل بعض الحجارة المبعثرة في هذا الموقع وبني بها بيتاً له في شرقي القرية في موقع الزلاقة، ويروي سكان القرية أنهم شاهدوا الفسيفساء متناثرة في المكان دون عناية.

وإلى الشمال من موقع الطيرة يوجد موقع خربة كفر سمير الى الجنوب من موقع الكبابير وهذا الموقع توجد فيه مدافن وصهاريج ومغر وأساسات حجارة منحوتة.

وتقع خربة الدير إلى الشرق من مسابح الخياط، إلى الشمال الغربي من موقع القرية بجوار بقعة الكبابير التي كانت تتبع الطيرة، وهذا الموقع يحتوي على دير القديس بروكاردوس ومغائر ونفق مقوس السقف.(١٨)

ومن المدن والقرى المهمة في المنطقة أيام حكم الرومان عكا التي كانت الطيرة تابعة لقضائهما، وقد ورد اسم عكا أو عكو في القرن الرابع قبل الميلاد، على أنها كانت ميناء، ومن الجدير ذكره أن عكا كانت المرفأ الذي من خلاله يتم تصدير منتوجات مرج ابن عامر بواسطة السفن، وقرية جبع إلى الجنوب من الطيرة من المواقع الرومنية المهمة حيث كانت الممر الواصل ما بين مرج ابن عامر وسهل عكا، وكانت جبع مدينة صغيرة قبيل السلوقيين لكنها في عهدهم وفي ظل الحكم الروماني بشكل عام أصبحت مدينة كبيرة ذات شأن. وفي أغلب الظن فإن القرى والخرب آنفة الذكر التي كانت تقع بالقرب من مسطح القرية كانت تابعة لمدينة جبع الرومانية، بل كانت تشكل خط الدفاع الأول لها، ويعود بناء مدينة جبع إلى هيدورس ٣٧- ٤ ق.م.(١٩)

الفتح العربي الإسلامي

بدأ الفتح العربي الاسلامي لفلسطين في بداية عام ٦٣٤م، وتذكر المصادر التاريخية كما في الموسوعة الفلسطينية ان مدينة قيسارية القريبة من القرية كانت آخر المدن في فلسطين التي سقطت بيد المسلمين، حيث تعثرت محاولة فتحها بسبب حصانة ومنعة أسوارها، ولم يفتح المسلمون المدينة إلا في عام ٦٤٠م، ويعتقد أن طيرة حيفا التي كانت في ذلك الوقت من أعمال قيسارية قد دخلت تحت لواء

Digitized by Birzeit University Library

المسلمين قبيل سقوط قيسارية، وأصبحت الطيرة ضمن التقسيمات الادارية التي مر بها عمر بن الخطاب ضمن جند الأردن. وفي زمن الحكم الأموي عم الاستقرار والازدهار ونشطت حركة الإعمار والبناء وخصوصاً زمن معاوية. وخلال ولاية عبد الملك بن مروان هاجم الروم بعض مدن فلسطين وخصوصاً الساحلية ومنها عكا وقيسارية جنوب الطيرة، حيث عاثوا بها فساداً وهدموا مسجدها، وكذلك فعلوا بعكا، لكن عبد الملك استعاد جميع المدن التي هاجمها الروم وأصلح ما أفسدوا وخصوصاً قيسارية وعكا. (٢٠)

العهد الصليبي وحروب الفرنجة

وبعد استيلاء الفرنجة على حيفا وجميع مدن ساحل فلسطين (ما عدا عسقلان) عام ١٠٩٩ دخلت الطيرة مرحلة جديدة، فبعد استقرار بناء الحصون والأديرة والكنائس وتغيير أسماء المواقع بأسماء لاتينية فأطلقوا على الطيرة St John je Tira.(٢١) وبنوا بها كنيسة، والأغلب أنها كانت في موقع مسجدها القديم، وكذلك شيدوا فيها حصناً وديراً وحتى ١٩٤٨ كانت بقايا آثار الموقع الصليبي ماثلة للعيان. وبعد استقرارهم في فلسطين تمركز العرب والمسلمون غالباً في الأرياف، لما لحق بهم من أذىً وظلم وقهر من قبل الفرنجة، واكتفى الفرنجة بجني ثمار هذا النصر باستعباد عدد من السكان المحليين وجباية الضرائب منهم.(٢٢)

يقول سلمان عبد العال حجير، أحد سكان القرية: "*يوجد في القرية حارة تسمى حارة الدير، كذلك منذ وعينا على الدنيا ونحن نشاهد عدداً من البيوت التي سماها أجدادنا بالكفرية. وتسمى هذه البيت والآثار كفرية نسبة إلى الصليبيين، أو الكفار الذين بنوها، ومن آثارهم الكنسية الموجودة في القرية التي حولها المسلمون الى مسجد بعد تحريرها. والدلائل على انها كنيسة وجود الصيوان والمذبح في فنائها، وكذلك نمط العمارة الذي كان سائداً في ذلك العصر، وكانت الكنيسة وما*

زالت في حارة المنزول. ويعتقد أن هذه الكنيسة كانت على زمن المسلمين مسجداً، وحولها الصليبيون الى كنيسة. ومن آثار العهد الصليبي في الطيرة حارة الدير، وتحتوي هذه الحارة على بيوت قديمة، ولها بوابتان شمالية وجنوبية، أما الشمالية فهدمها عمي أبو حسين حجير وبنى مكانها بيتاً له، والبوابة الجنوبية خرجنا من القرية وهي قائمة، وعلى ظهرها برج من مترين، كان يدخل الجمل من خلالها. وباب هذه البوابة مصنوع من الحجر المنقوش، وكان داخل هاتين البوابتين دير وحصن، وسكنت في هذه الحارة عائلتنا دار حجير.

ونجد أن كثيراً من البيوت الكفرية قديمة جداً تعود إلى أيام الصليبيين، وتعود ملكية كثير من هذه البيوت الى دار سلمان، والحمولة، والشايب، والعبد العسل، وأن أغلب حارة المنزول بيوت قديمة منذ العهد الصليبي، والمسافة بين حارة المنزول وحارة الدير حوالي ٥٠٠م. واذكر عدداً من أصحاب البيوت القديمة، والتي كانت قائمة قبل خروجنا من البلدة منهم بيت أحمد عيسى، وزامل حجير، وأسعد البردان، وأبو الدش، وآخرون.

وكانت بوابة الدير منقورة في الصخر السفلي والعلوي "حجر القمط"، وعندما كانت تغلق بوابتها الصخرية لا يستطيع أحد أن يفتحها إلا من الداخل".(٢٣)

ويقول مختار القريةعبد الله السلمان: " كانت أغلب بيوت القرية كفرية صليبية قديمة، وكان كل قسم منها مكوناً من طابقين، وتعود ملكية أغلب بيوت حارة المنزول للحمولة وورثوا هذه البيوت أباً عن جد".(٢٤)

العهد الأيوبي

حاول الأيوبيون توطيد الجبهة الاسلامية وبذل جهود الأمة من أجل محاربة الصليبيين قبل البدء بعملية التحرير نفسها، ويعزى فضل توحيد البلاد إلى نور الدين

Digitized by Birzeit University Library

وصلاح الدين . وبعد انتصار صلاح الدين في معركة حطين في تموز ١١٨٧م التي سجلت انهيار مملكة الفرنجة واندحارهم. شرع صلاح الدين بتطهير الحصون والمدن والقلاع فبدأ بتحرير ديار الجليل واللجون وعكا والناصرة وحيفا وقيسارية حتى أضحت جميعها تحت قبضته بعد الرابع من تموز عام ١١٨٧م.(٢٥)

لكن فرصة النصر الذي أحرزه صلاح الدين لم يدم طويلاً حيث استطاع الصليبيون أثر الحملة الصليبية الثالثة استرجاع عكا بعد عدم صمود الجالية الاسلامية التي وضعها فيها، فتم سقوط المدينة مرة أخرى بيد الصليبيين. وحاول المسلمون ايقافهم عند هذا الحد لكنهم فشلوا وكان ذلك عام ١١٩١م.

"وفكر ريتشارد في استرداد الساحل الفلسطيني الذي كان يزخر بالموانيء التجارية التي يرغب فيها البيازنة والبنادقة والجنويون، وزحف على الساحل أواخر آب سنة ١١٩١ والعساكر الاسلامية تناوشه والأسطول الفرنجي يواكبه في البحر، فاحتل حيفا ثم قيسارية".(٢٦)

ويروى أن جد حمولة الباش إحدى عائلات الطيرة الرئيسية كان أحد قواد جيش صلاح الدين الأيوبي الذي رافق الجيش الأيوبي في معظم حملاته ضد الصليبيين حتى يقال انه أسكن حمولة الباش في نعلين قضاء رام الله ثم ارتحل قسم منهم الى الطيرة.(٢٧)

ويقول طه قزق : "*إن أجدادنا جاءوا من قزقستان مع صلاح الدين واستقروا في الطيرة في بادىء الأمربعد تحريرها من يد الصليبيين*".(٢٨)

ويقول عبد الصمد أبو راشد أحد سكان القرية: "*وقعت معارك ضارية بين المسلمين والصليبيين عند قرية يقال لها المزار الى الجنوب من الطيرة، وسميت منذ ذلك الوقت بهذا الاسم من كثرة ما دفن فيها من شهداء المسلمين إبان الحروب الصليبية*".(٢٩)

الفترة المملوكية

مع أفول الاسرة الأيوبية وبداية العهد المملوكي في مصر وبلاد الشام بقيادة الملك الظاهر بيبرس شرعت عملية تطهير فلسطين من الوجود الصليبي، فاحتل قيسارية سنة١٢٦٥، وهدم قلعتها ثم سار نحو حيفا واحتل قلعتها، وطهرها من الغزاة ولجأ إلى احتلال المدن والقلاع وأمر بهدم بعضها وخصوصاً الساحلية منها حتى لا تستخدم كرأس جسر لغزو صليبي جديد.وبالمقابل شهد العهد المملوكي حركة اعمار وإصلاح واسعة لم تعرفها فلسطين منذ قرون عديدة، فقد انتعشت البلاد وشيدت القلاع والحصون والاسواق والمساجد والخانات عنواناً لحركة تجارية نشطة وكان لطيرة حيفا نصيب في ذلك لأنها من القرى الساحلية المهمة.(٣٠) وورد ذكر الطيرة في عهد الملك الظاهر بيبرس سنة ١٢٧٢م بأنه سير خطاً للحمام الزاجل ما بين الطيرة واربد وعجلون، كما ذكر اللفتنت كولونيل فردرك بكتابه تاريخ شرق الأردن وقبائلها الصادر عام ١٩٣٥.

يقول عبد الله السلمان مختار القرية:"*فبدل هدم كنيستها حولها إلى مسجد ، ويعتقد أنها كانت قبيل الصليبيين مسجداً حول إلى كنيسة. وقد سجل تاريخ المسجد على جداره منقوشاً على حجر من المرمر منذ ذلك العهد كتب عليه :-*

" بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا المكان المبارك الأمير عساف ابن تمرماي سنة ٦٨٧ هجري ".(٣١)

ويقول عبد الصمد أبو راشد: "*ومن الآثار المملوكية الباقية في القرية زاوية قديمة مهجورة سقط سقفها، وهي آيلة للسقوط، وفي طرفها الشمالي ضريح يعتقد أنه لمؤسسها، كما يوجد خربة مملوكية باسم القائد المملوكي، وفي رواية أخرى اسمها خربة شيحا جمال الدين، وتقع في السهول الغربية للطيرة.*"(٣٢)

مكتبة جامعة بيرزيت الرئيسية
Digitized by Birzeit University Library

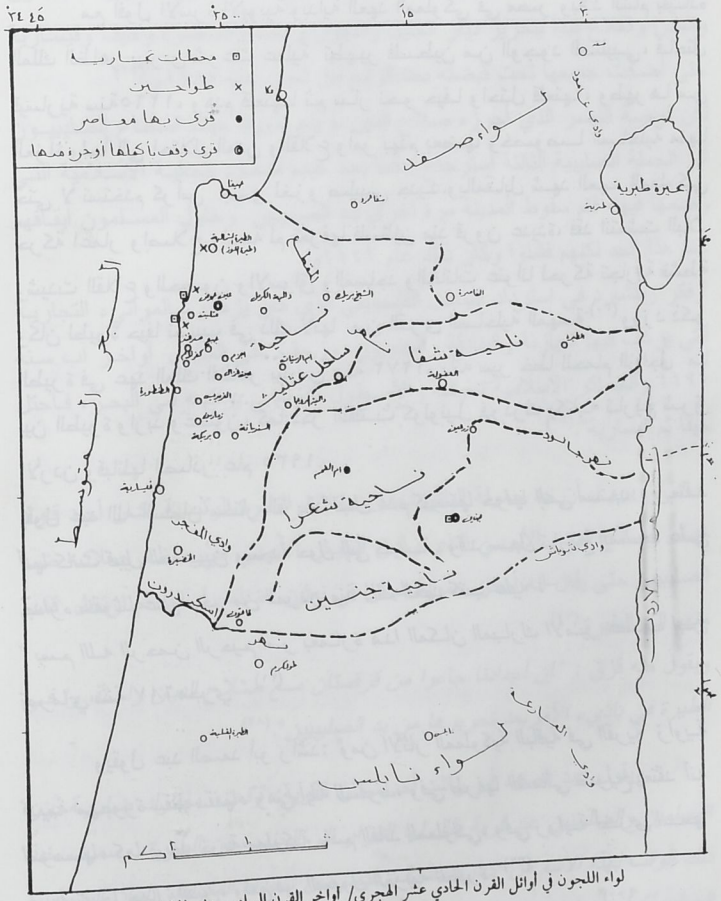

لواء اللجون في أوائل القرن الحادي عشر الهجري/ أواخر القرن السادس عشر الميلادي

العهد العثماني

بعد انتصار العثمانيين على المماليك بقيادة السلطان سليم الأول في معركة مرج دابق في الثالث عشر من آب ١٥١٦، استقر الحكم في بلاد الشام ولم يلق العثمانيون بعد انتصارهم في معركة مرج دابق أي مقاومة من سكان المدن أو القرى الشامية، وذلك بسبب ظلم حكام المماليك وجورهم في نهاية عهدهم وانصرف العثمانيون الى فرض النظام في البلاد وترتيب وتنظيم أمورها الإدارية. وقسموا بلاد الشام الى ولايات، وقسموا الولايات الى سناجق.* وخلال هذه الفترة أصبحت حيفا والقرى المحيطة تابعة لسنجق لواء اللجون، أحد ألوية ولاية دمشق.(٣٣)

أخذ العثمانيون يعمرون البلاد، وكان هناك نصيب للسهل الساحلي الفلسطيني في هذا الاعمار، وضمت عدداً من قرى الساحل بما في ذلك الطيرة وحيفا وعدد آخر من القرى ضمن اقطاع آل طرباي. والذين عرفوا فيما بعد باسم اسرة الحارثية.(٣٤)

واشتمل لواء اللجون على خمس وخمسين قرية، ومائة وأربع وسبعين مزرعة وخوفاً على نفوذ الحكومة في هذه المزارع أقدمت الحكومة العثمانية على خطوات عملية من اجل الحد من نفوذ أسرة طرباي فجلبت عدداً من أصحاب التيمارات من خارج المنطقة للحد من نفوذ الاسرة الاقطاعية باستثناء أحمد بن علي وابراهيم بن علي التابعين لأسرة طرباي في نفوذهم الاقطاعي كزعامة محلية.

وكانت طيرة اللوز في ذلك الوقت من القرى الكبيرة والمهمة بحيث بلغ عدد سكانها زهاء ٢٤٠ نسمة، حيث كانت تحتل المرتبة الثالثة في عدد سكانها بين قرى اللواء بعد قريتي بنين وبيرة ، أما من ناحية تبعيتها الادارية والمالية فكانت تتبع

* سنجق كلمة تركية تعني بالعربية لواء.

Digitized by Birzeit University Library

زعامة أحمد وعلي ولدي الاميرطيرة باي وداور وكتخذا. واقتطع ١٢ قراطاً من أراضي القرية الزراعية لمسجد جوهر عبدالله اتسفي الامام.(٣٥)

ويروي سكان القرية أنه ما زالت هناك قطعة من الارض موقوفة تسمى القطعة وهي أراضي وقف اسلامي. وعملت الحكومة العثمانية على تنظيم البلاد وجباية الضرائب وفرض القانون مما جعل الانتماء لهذه الدولة من قبل السكان المحليين ممكناً. وبعد منتصف القرن الثامن عشر أخذت هناك زعامات محلية تظهر وأخذت هذه الزعامات طابع التمرد على سلطة الباب العالي.

حكم ظاهر العمر

بعد تسلم ظاهر العمر زمام الحكم في شمال فلسطين، شرع في توسيع منطقة نفوذه الذي استمر أربعين عاماً، فضم بعض قرى الجليل عام ١٧١٠ من والي حيفا، وجعل طبريا عاصمته الأولى عام ١٧٣٠، ثم تطلع الى الناصرة ومرج ابن عامر، وفي عام ١٧٤٣ قرر نقل عاصمته إلى عكا التي أصلح سورها وحصنها عام ١٧٥٠ حتى تكون عاصمته المنيعة، وبعد أن آل اليه الأمر في عكا تطلع إلى ضم حيفا تحت سلطانه وكان ذلك بعيد عام ١٧٥٢، وضم مع حيفا قراها وبعض قرى ناحية سهل عتليت، ومن بين هذه القرى كانت الطيرة التي ذهب زعماؤها لتقديم الولاء والطاعة مع دفعهم الضرائب لفرسانه. وأدخل ظاهر العمر تعديلات جذرية على حيفا، فأمر بهدم منازل وأسواق حيفا القديمة وإنشاء ضاحية بجوارها تسمى حيفا الجديدة، كما هدم ميناءها الصغير وشيد ميناء آخر جديداً قبالة الكرمل، ثم بنى الحصون والقلاع حتى تكون خط دفاعه الأول الحصين المنيع في وجه الطامعين.(٣٦)

حقبة أحمد باشا الجزار و الحملة الفرنسية

بعد اغتيال ظاهر العمر على يد بعض جنوده الذين تآمروا عليه بأمر من القيادة العثمانية، استولى الجيش العثماني على عكا وحيفا ومناطق الكرمل والجليل، وتم تعيين أحمد باشا الجزار حاكما على عكا عام ١٧٧٥ حيث نقل عاصمته من ولاية صيدا الى عكا واستمر حكم الجزار للمنطقة زهاء ثلاثة عقود ، (١٧٧٥-١٨٠٤) .

وفي عام ١٧٩٩ وبعد حملته على مصر بدأ نابليون بونابرت حملته على بلاد الشام ، وصل الخبر الى الجزار الذي حاول إعاقة الجنود الفرنسيين فأرسل طلائع جيشه وحشد الأهالي لملاقاته في غزة ويافا لكنه فشل في اعاقتهم .(٣٧)

فدخلت جيوش نابليون الساحل الفلسطيني وأخمدت المقاومة التي قامت بها قرى الساحل وخصوصا في منطقة جبل نابلس وقاقون وزيتا ، وصبّارين ثم قرى ناحية عتليت ، والطنطوره والطيرة ، وعندما رأى أهالي حيفا هذا الزحف السريع لكليبر قائد الجيش الفرنسي ، أيقنوا أنهم لا حول لهم ولا قوة أمامهم وخصوصا بعد هرب جنود الجزار وانسحابهم الى عكا حيث الحصن المنيع . ولما دخلت طلائع الفرنسيين الى حيفا والتي لم تكن سوى بلدة صغيرة لم تلق أية مقاومة بل خرج الاهالي يتقدمهم زعماء حيفا رافعي الرايات البيضاء وقدموا لهم مفاتيح البلدة وقلعتها .(٣٨)

وبعد احتلال الطيرة وحيفا في السابع عشر من آذار ١٧٩٩ أقام نابليون مقر قيادته على جبل الكرمل، وخلال إقامة نابليون على الكرمل حدثت معركة بين

Digitized by Birzeit University Library

اسطوله والاسطول الانجليزي قبالة الكرمل وخسر نابليون ستاً من سفنه حيث تم الاستيلاء عليها من قبل الاسطول الانجليزي.

وبعد فشل حملة نابليون على فلسطين بشكل عام وفشله في احتلال عكا بشكل خاص عاد الجيش الفرنسي من حيث أتى يجر ذيول الخيبة والهزيمة، وبعد ذلك عاد الجزار فبسط حكمه كما كان.[٣٩]

الاحتلال المصري ١٨٣١-١٨٤٠

بعد الجلاء الفرنسي عن مصر واستيلاء محمد على على السلطة في مصر الذي نجح بمبادرة الاهالي في هزيمة حملة البريطانيين على رشيد وتطهير البلاد من جور المماليك، ظهر محمد على كقوة صاعدة في المنطقة وبدأ يطمح إلى احتلال بلاد الشام فأرسل جيشه لاحتلالها بقيادة ابنه ابراهيم باشا، سلكت الحملة طريقين بري وبحري، ونزل ابراهيم باشا وعدد من جنوده قدروا ببضع مئات شاطئ حيفا وتمكنوا بعد معركة صغيرة من اخضاع حيفا والقرى المجاورة والمحيطة بها، وبعد استكمال جميع القوات في حيفا بدأ ابراهيم يعد العدة من أجل احتلال عكا، حيث جعل قيادته ومؤونة وعتاد وعدة جيشه في حيفا، ثم بدأ الهجوم على عكا ومحاصرتها. فأخذ رؤوساء القبائل البدوية والعشائر ومشايخ القرى المحلية يأتون إلى حيفا ليقدموا الولاء والطاعة إلى ابراهيم، بعد أن شاهدوا ولمسوا بطشه وجبروته. ومن الجدير ذكره أن تطور حيفا وتحسن الأوضاع المعيشية والاقتصادية فيها أضحت ملموسة بعد احتلال ابراهيم باشا لها إذا ما قورنت بعهدي الظاهر عمر والجزار[٤٠] . وذلك لعدة أسباب منها جعل ابراهيم باشا مركز قيادته في حيفا، حيث أقام المستشفيات العسكرية والمدنية، والسبب الثاني، تواجد عدد لا بأس به من الطائفة المسيحية في المدينة جعل اهتمام الدول الاوروبية بحيفا أكثر من غيرها من المدن الساحلية، كما كان لتوسيع الميناء وتعميقه إثر تطور المدينة بعد دخول

الملاحة من شراعية إلى بخارية، فقد قررت شركتا الملاحة النمساوية لويد والفرنساوية مسجرى مرتيم أن تقيما في حيفا محطة لهما لنقل الركاب بسفنها البخارية من أوروبا إلى الشرق، وكانت هذه السفن سريعة وآمنة إذا ما قورنت بالسفن الشراعية، ولم يقتصر ميناء حيفا الجديد على نقل الركاب فقط بل تطور الوضع حيث ازدهرت التجارة من الاستيراد والتصدير من هذا الميناء مما أدى إلى تطور المدينة بشكل متسارع.[٤١]

جلب ابراهيم باشا معه خلال حملته إلى فلسطين عدداً من المزارعين المصريين وأسكنهم قرى الساحل ليعمروا الأرض الزراعية، ومن بين هذه القرى التي كان لها نصيب في ذلك الطيرة وما زال عدد من العائلات في الطبرة والعديد من القرى والمدن الفلسطينية تدعى بالمصاورة.

الاستيطان الألماني على أرض الطيرة وحيفا :

على سهول الطيرة الشمالية وبالقرب من أرض الكنيسة إلى الجنوب من حيفا على شاطئ البحر أقيمت أول مستعمرة ألمانية سنة ١٨٦٩، حيث وصلت في الثلاثين من تشرين الأول عام ١٨٦٨ إلى حيفا عائلتان من ولاية فرنتبرغ على متن سفينة تابعة (لشركة لويد النمساوية)، وهما عائلة كرستوف هوفمان، وعائلة جورج دافيد هردغ، وهما زعماء طائفة مسيحية تضم بضعة آلاف، وكانوا من اتباع طائفة الهيكل وقرروا العيش في الأرض المقدسة كمبشرين لمعتقداتهم، وقد أقاموا أول وأكبر مستوطنة زراعية غربية في فلسطين على أراضي القرية. والحقيقة أن صلتهم كانت بحيفا أكثر منها بالطيرة، لكن الطيارنة استفادوا من هذه المستوطنة حيث فتحت لهم آفاقاً ومجالات جديدة للعمل، أما حيفا فقد استفادت من خبرتهم الاقتصادية سواء في تطورهم الصناعي أو تجارتهم الزراعية ومن طراز ابنيتهم الهندسية التي تحيط بها الحدائق الجميلة، والحق يقال أنهم أطفوا لمسة من الجمال على مدينة حيفا،

Digitized by Birzeit University Library

وأثروا في السكان عادات تقاليد وممارسات جيدة، ومن الجدير ذكره أن **(هوفمان)** تقدم بطلب من الباب العالي لشراء أراضي لاقامة المستوطنة عليها. لكن طلبه رفض فاشترى أرضاً باسم عربي، لكن اللعبة كشفت وبطل البيع والشراء لكنه كرر محاولته مرة أخرى في شراء أرض غرب مدينة حيفا. وفي أيلول سنة ١٨٦٩ وضع حجر الأساس على جادة الكرمل ودشن المستعمرة سنة ١٨٧٠ حيث استغل المستعمرة في البداية كمدرسة ومكان للعبادة، ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن الذي شيد المستعمرة هم عمال عرب وفنيون من القرى المجاورة لها، أمثال الطيرة واجزم وعين غزال، وسميت هذه المستعمرة بالالمانية من قبل السكان المحليين(٤٢) .

وفي حادثة فريدة حصلت بين الالمان وأهل الطيرة، فيقول د. جميل الحاج حسين باكير:

"ان أحد الالمان قتل حسين محمود الأمنة من الطيرة وحاول الالمان دفع الدية فرفض أهل الطيرة أخذ الدية وقالوا دية ما نقبل دية إلا راس فردرس اونر نلعب به الكورية. وهجم أهل الطيرة على الالمان وقتل فردرس اونر على يد أهل الطير".

ومن الملاحظ أن الدولة العثمانية حاولت جاهدة في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر إحكام سيطرتها على فلسطين عن طريق إصدار تنظيمات وتجنيد اجباري وقوات عسكرية مرابطة من أجل اضعاف الزعامات والقوى المحلية التي حاولت التمرد بزعاماتها على سلطة الباب العالي، وكذلك للحد من هجرة اليهود إلى فلسطين والتملك فيها.

ونجد أن قضية تخطيط هجرة اليهود وشرائهم للأراضي في فلسطين بدأت من النصف الثاني للقرن التاسع عشر بواسطة التلاعب والالتفاف على القوانين العثمانية. حيث كان يتم غالباً عن طريق أناس من غير رعايا الدولة العثمانية، وبهذا الصدد صدرت أوامر صارمة الى السلطات المحلية والموظفين الإداريين على أن

يتأكدوا من هوية المشتري قبل البدء في تنفيذ معاملة البيع والشراء، ونجد أن معاملات الشراء من قبل اليهود قد سجلت تصاعداً ملحوظاً في دوائر وسجلات المحكمة الشرعية بحيفا على الرغم من انعدام معاملات البيع من قبلهم للمسلمين مما أعطى الحكومة العثمانية مؤشراً على سوء نوايا الرعايا اليهود والتفافهم على القوانيين والنظم المرعية. وتوجد لدينا أمثلة حية وشواهد عينية قام بها اليهود من أجل تحقيق الحلم الذي يصبون اليه وهو تنفيذ مخططات الحركة الصهيونية العالمية وتطلعاتها في فلسطين، ومن هذه الأمثلة قصة شراء قام بها يهودي الملة من سكان **حيفا** لأرض تابعة لملكية الطيرة يحمل اسمين لشخص واحد من أجل التحايل على القانون.(٤٣)

تقول القصة التي يذكرها المؤرخ المعروف الاستاذ عبد الكريم رافق:

"سجلت في المحكمة الشرعية بحيفا قضية شراء أرض بتاريخ ٤ جمادي الثانية ١٢٩٠هـ الموافق ٣٠ تموز ١٨٧٣م شراء الحخام ابراهيم كوهين الحزان يهودي الملة ومن تبعية الدولة العثمانية العلية ومن سكان حيفا بماله من عبد القادر من الحاج عبد القادر بن الحاج عمر بن مسلم من تبعية الدولة العثمانية ومن سكان قرية الطيري (الطيرة) ستة قراريط مشاعة بكامل كرم الزيتون الكاين بقرية الطيري بطريق الكنيسة بثمن قدر بـ ٨٥٠ غرشاً معاملة يومئذ" والطريف في الأمر أن القضية التي تلي هذه القضية في الصفحة ذاتها والتاريخ ذاته تتعلق بشراء" ابراهيم كوهين الحزان يهودي الملة ومن تبعية دولة فرنسا الفخيمة ومن سكان حيفا بماله لنفسه من المرأة صالحة بنت محمد عويس مسلمة ومن تبعية الدولة العلية ومن سكان الطيرى خمسة قراريط وربع مشاعة بكامل الحكورة بقرية الطيرى بثمن قدره ٥٥١ غرشاً وربع غرش معاملة يومئذ".

Digitized by Birzeit University Library

ولا يعقل أن اسم ابراهيم كوهين الحزان في قضيتين متعاقبتين يمثل شخصين مختلفين، والأرجح أن ابراهيم هذا قد استخدم في إحدى القضيتين صفته كحاخام ومن تبعية الدولة العثمانية وفي الثانية تبعيته لفرنسا بدون لقبه الديني ليستفيد من الامتيازات التي يتيحها له نسبه لفرنسا.(٤٤)

ومن الاهمية بمكان أن نذكر أن سجلات المحكمة الشرعية تؤكد حرص اليهود على تملك الارض والابنية والمحلات التجارية والاسواق وليس بيعها، مما يؤكد حرصهم على التملك وسوء نواياهم المبيتة.

"قصص عن تجنيد أبناء القرية في العهد العثماني":

ويتحدث الرواة عن ذكرياتهم خلال أيام سفربيرلك وجدب الأرض وجدب الحرب، وأصبح الناس في ضيق، في ذلك الوقت كانت الدولة العثمانية تهاجم من كل صوب، ويعتدي على ثغورها من كل جانب حتى كادت تؤول الى السقوط، لكنها بقيت مثابرة على المقاومة وصامدة أمام المؤامرة، فحشدت جل طاقتها وأعلنت النفير العام بواسطة التجنيد الاجباري الذي سمي في ذلك الوقت بسفربرلك*. ودخل أهالي الطيرة في هذا الجيش فكان منهم المتطوع والمكره، حيث كانت الاوضاع الاقتصادية الصعبة والاحوال السياسية المتردية، التي أصبح بسببها أكثر الناس في ضائقة ما بعدها ضائقة، فعمّ الفقر وتفشت الامراض، وخصوصاً القمل الذي كان يملأ رؤوس الرجال قبل الأطفال.

وجدير بالذكر أنّ الخدمة العسكرية أبان الحكم العثماني كانت إلزامية يطلب إليها كل من بلغ العشرين من العمر، وكانت مدتها سنتين ونصف، ثم خدمة احتياط التي كان يطلب إليها حتى أبناء الأربعين والخمسين في الحالات الطارئة،

* سفربيرلك: لفظ تركي معناه الجيش الاتحادي، أو التعبئة العامة، أو التجنيد الاجباري.

وفي الثلث الأخير من القرن المنصرم " القرن التاسع عشر" أخذت قوة الدولة العثمانية بالتراجع والتردي من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية، وكثرت فيها الثورات الداخلية حتى سميت بالرجل المريض، وبقي سكان فلسطين يحاربون في صفوف الدولة العثمانية حتى نهايتها في آخر معركة لها مع الانجليز على أبواب حيفا حيث شارك أبناء الطيرة والقرى المجاورة في محاولتهم لصد وعرقلة الجيش البريطاني دفاعاً عن الدولة العثمانية والوطن.

وكان رجال الطيرة في ذلك الوقت ذوي بأس شديد، ويروي لورنس أوليفانت الذي زار البلاد سنة ١٨٨٢ والذي مر بالطيرة وحيفا فقال " إن أحداً من سكان حيفا لم يكن يجرؤ على الخروج خارج البلدة القديمة بعد غروب الشمس مخافة أن يلقاه أحد من أهل الطيرة. وظلت الطيرة مرهوبة الجانب أثناء الحكم العثماني وحتى الحكم البريطاني".(٤٥)

ويروي بعض سكان القرية عن القوانين العسكرية التي سنتها الحكومة العثمانية والتي يمكن بموجبها أن يعفى الرجال من الخدمة العسكرية التي أخذ الناس يتهربون منها بعد سنة ١٩١٠ فتقول أم رياض بنت عبد القادر حجير نقلاً عن والدها:-

"كان يستثنى من الخدمة العسكرية البدوي، والمتزوج من امرأة من خارج بلده ودافع الفدية العسكرية، وتتابع حديثها قائلة" "عندما جاء الأتراك ليجندوا الناس ويسوقوهم الى العسكرية، عمل والدي نفسه بدوياً من أجل أن يتهرب من الخدمة العسكرية وعندما أمسك به الأتراك أخذوه إلى السرايا، وقال لهم أنا بدوي، وكانت بدوية تسكن بجوار القرية مع زوجها وأولادها اتفق معها والدي على أن تخبر الأتراك إن سئلت بأني أخوها. وبالفعل عند استجوابه بالسرايا أشار والدي عليها، فذهب الأتراك وسألوها فقالت لهم نعم هو أخي وهكذا تم اعفاؤه من الخدمة

Digitized by Birzeit University Library

العسكرية. وتزوج عمي قاسم عبد الله حجير من امرأة من وادي معلول من خارج البلدة حتى يعفى من الخدمة العسكرية، لكنه دفع بدل ذلك نقوداً".(٤٦)

وحدث أن تسلم عدد من رجالات الطيرة مراكز مهمة في الجيش التركي وأصبح لهم شأن كبير. فتقول الحاجة منوة محمود عيسى عبد الوهاب من سكان الطيرة"*كان عم لي يقال له العتر عبد الوهاب رئيساً في الجيش البلتركي وكان يشكل حلقة الوصل بين أهالي القرية والحكومة العثمانية، وحدثني زوجي أن أهالي القرية اشتركوا في العسكرية مع تركيا فكان يأتي الجيش التركي ويجمع الشباب، ويأخذهم الى العسكرية لكن الغني كان يدفع بدل الخدمة في الجيش ما كان يسمى بالفدية، وكان زوجي حسن محمود أحمد غنام وقتها ضابطاً كبيراً في الجيش التركي، وله خاتم خاص حيث كان مسؤولاً عن مخازن الذخيرة والتموين في الجيش العثماني. وبعد انتهاء الحرب رجع عدد من أبناء القرية واستشهد عدد آخر وفقد البعض، وكان من بين المفقودين عبد الفتاح أبو عيسى حيث حسبه أهله من بين الشهداء، لكن الله أعاد الفرحة إلى قلوبهم وعمت السعادة بيتهم عندما رجع مع زوجة وثلاثة ابناء وأم زوجته التي لم تعرف العربية لأنها من بلاد المسكوب وسارعت نساء القرية ايعلمنها العربية، وأذكر أن العديد من شباب القرية دخلوا الجيش العثماني من دار الأبطح ودباس وأبو عيسى ودار غنام* (٤٢). ويروي جميل الحاج حسين باكير أن جده الأول حسين باكير كان قائد فرقة في معركة تل الدم في "رومانيا" في القرن التاسع عشر ويضف عن والدة الحاج حسين باكير أنه كان قائد حرس "الابيّة للسلطان عبد الحميد.

ويروي جمعة غنام أحد أبناء القرية: " أن والده الشيخ أحمد غنام ذهب الى العسكرية ولكن بسبب المعاناة من العسكرية التركية فر وستة من صحبه من الجيش

وتوجهوا الى الموصل فراراً من العسكرية، ومكثوا هناك مدة تزيد عن ستة أشهر ثم رجعوا بعد ذلك إلى البلدة".

وهناك روايات عديدة عن أيام سفربرلك تتحدث عن مشاركة أهالي القرية في معارك مع الجيش العثماني، وأن عدداً منهم اعتبر في عداد المفقودين، ولكن بعد أن وضعت الحرب أوزارها تبين أن عدداً من المفقودين استقر وتزوج في أنحاء شتى من العالم العربي. والقسم الآخر عاد كهلاً بعد أن كان شاباً ومعه زوجة وأولاد، وما زال البعض في الشتات. وإحدى هذه الروايات تقول: إن أحد الجنود من عائلة دار أبي راشد الطيراوية كان يؤدي الخدمة العسكرية في لبنان، وتزوج هناك من فتاة مارونية برضا أهلها. لكنه اغتيل على يد المتعصبين الموارنة في لبنان الذين حرموا هذا الزواج، والتجأت الزوجة إلى السلطات العثمانية في بيروت خوفاً على جنينها من بطش المتعصبين بعد أن تلقت تهديداً منهم، وبعد أن وضعت وليدها الذكر أبقوا على حياته وقتلت الام وتولت الكنيسة تربية الطفل وغيرت اسمه ولحق اسم عائلة أبي راشد بالطفل، وعندما بلغ أشده وتزوج وأصبح له عائلة وأصبحت ذريته من بعده تتبع النصرانية".(٤٨)

وفي رواية ثانية في عقد الستينيات من القرن العشرين تلقت عائلة منصور الطيراوية في إربد رسالة تحمل توقيع عيسى عبد الله منصور المواطن في جيزان حيث يعمل بدائرة المالية هناك، ويطلب منهم تبادل الرسائل والزيارات لأنه في وضع نفسي صعب، ويتمنى أن يتعرف على أعمامه وأقاربه ليفتخر بهم أمام من ينادونه ويشيرون اليه بابن العسكري وينكرون عليه أصله الكريم .(٤٩) وفي السبعينيات فوجئت العائلة المذكورة، بذلك الرجل ينزل ضيفاً على كبير العائلة الحاج فهد المنصور ثم يروي ما سمعه من والده العسكري عبد الله المنصور، حيث كان بين القوة التركية التي وجهت الي اليمن أثناء الحرب العالمية الأولى بهدف التصدي

Digitized by Birzeit University Library

للقوات البريطانية المهاجمة من جهة المحيط الهندي والبحر الأحمر. وبعد خسارة تركيا تلك الحرب كان عبد الله المنصور من بين الجنود الذين خافوا على أنفسهم من الوقوع بأيدي الحلفاء أو أعوانهم من رجال القبائل أثناء العودة فحاول الاتصال بأهله وأخواله حتى يرسلوا له المال من أجل أن يتمكن من العيش إلى حين تهدأ الأحوال وتتضح الأمور، لكنه لم يتلق جواباً فقرر البقاء في اليمن وتزوج من فتاة يمانية أنجبت منه ولداً ذكراً اسمه عيسى وبنتين اثنتين تزوجتا في حيزان، وهنا التم الشمل بعد فراق.

أما الرواية الثالثة في هذا الباب فتقول أن أحمد محمد الابطح أحد أبناء الطيرة خرج للقتال في صفوف الأتراك أثناء الحرب العالمية الأولى، وانتهت الحرب ولم يرجع إلى الطيرة، وانقطعت أخباره، فترك حسرة في قلوب أهله وعائلته حيث احتسبوه من جملة الشهداء، وبعد مضي أكثر من خمسة عشر عاماً عمت الفرحة قلوب أهالي القرية، فبعد وقوعه في الأسر في سجون روسيا بضع سنوات عاد فجأة مع زوجته وأربعة أبناء بينهم طفلة وكان ذلك عام ١٩٣١، وعندما أفرج عنه، وجد نفسه وسط العاصمة الروسية موسكو، وفيها أخذ يلتمس سبل العيش حتى أصبح ميسوراً، وتزوج من فتاة روسية مسلمة، وكون أسرة وأخذ يجد من اجل توفير الأموال من اجل الرجوع إلى مسقط رأسه، وتحقق له ما تمنى ورجع الى الطيرة وفرح به الأهل، وكيف لا بعد أن ذهب شاباً ورجع كهلاً وشجرته تفرعت وأنتجت.

ومن الذين وردت أسماؤهم في الاشتراك في الجيش التركي من أهالي القرية والكبابير إحدى ضواحيها عبد الحي عودة، ويوسف عبد القادر وكان ذلك في عهد السلطان عبد العزيز، وحدث أن تأخروا ثلاث سنين دون ان يحضروا لزيارة الأهل الذين فقدوا الأمل بعودتهم، ومن الشهداء من هذه العائلة عودة عبد الحي الذي

استشهد في ادنة من بلاد السلانيك، وأخوه ابراهيم عبد الحي ثم محمود عبد الله ومحمد موسى.(٥٠)

الحرب العالمية الأولى:

بدأت قوات الحلفاء تهاجم ثغور الدولة العثمانية من كل جانب، ودخلت القوات البريطانية سيناء التي أخذت تطارد القوات العثمانية هناك، واستطاعت بريطانيا في أواخر سنة ١٩١٧ أن تحتل الأجزاء الجنوبية من فلسطين بما في ذلك القدس الشريف، ثم توقف الزحف البريطاني وصمد العثمانيون على خط السلط – نابلس الناصرة بضعة أشهر، وفي أيلول سنة ١٩١٨، استطاعت القوات البريطانية وحليفتها من اكتساح بقية فلسطين، فدخلت القوات البريطانية منطقة الساحل الفلسطيني الشمالي واحتلت الطنطورة، وعتليت والطيرة ويذكر أهالي القرية أن أهالي الطيرة تعاطفوا مع الجيش التركي وتمركز الشباب على شكل مليشيات من أجل مقاومة القوات البريطانية البرية ومن أجل مساعدة الجيش التركي. فقامت القوات البريطانية على أثر هذه المبادرة بقصف بحري مركز على الطيرة وإجزام وعين الغزال.

يقول أحد سكان القرية غازي حجير: *لما حصلت الحرب العالمية الأولى انهزم الجيش العثماني امام القوات البريطانية وعلى أثر ذلك، قام سكان قرى إجزم وجبع والطيرة بمساعدة الجيش العثماني من أجل وقف زحف القوات البريطانية البرية، وعندما قام الاسطول البريطاني بقصف هذه القرى التي كانت الطيرة من بينها، ونتج عن القصف هدم واتلاف عدد من منازل القرية واستشهاد عدد من المواطنين*".(٥١)

Digitized by Birzeit University Library

وبعد أن حسمت المعركة لصالح الانجليز عاملوا أهالي البلاد بالرفق والحسنى من أجل أن يشعروهم بالأمان والاطمئنان لكسب ودهم وضمان حيادهم خوفاً من نشوء ثورات وقلاقل ومقاومة ريثما يتمكنوا من السيطرة على البلاد. فلجأوا الى تحسين أوضاع الناس الاقتصادية فأوجدوا فرص عمل للعمال، وإنعاش الأوضاع الاقتصادية بعد حال من الضيق التي مروا بها خلال العقد الآول من القرن العشرين. تقول الحاجة منوة محمود عيسى عبد الوهاب أحدى سيدات القرية: "*جاءت بريطانيا ووضعت رجالها على أطراف القرية وأقامت المعسكرات في غرب البلد قرب البحر في الشمال الشرقي من القرية، لكنهم في البداية أخذوا يعاملون الناس بالحسنى، فكانوا يقدمون السكاكر والمربيات والحلوى والبسكويت للأطفال الذين يصادفونهم في الطرقات أو الحقول قرب المعسكرات، ولم نشعر بوجودهم في البداية حيث لم نجد أي مضايقة منهم، وكنا نذهب لقطف ثمار الزيتون ونمر من جوارهم فيشعروننا بالأمان، لكنهم بعد أن ثبتوا أقدامهم في البلد كشروا عن أنيابهم*"[٥٢]. *وبعد استقرار الانجليز في البلاد كشفوا عن نواياهم الاستعمارية وانحيازهم الكامل لصالح اليهود بواسطة مساعدتهم وتشجيعهم على الهجرة الصهيونية وإعطائهم تطبيعاً لقرارهم المشؤوم وعد بلفور. والأهم من ذلك مساعدة اليهود بالسيطرة على الأراضي العربية الفلسطينية، وإقامة مستعمرات بجوار معسكرات الجيش البريطاني لحمايتهم*".

ويقول عبد الله السلمان مختار القرية عن الانتداب: "*لقد أقام الانجليز بعد وصولهم الى أرض الطيرة معسكرات على أرض القرية ، لكنهم لم يتعرضوا لنا بشيء، ومن الأراضي التي وضعوا أيديهم عليها أرض تابعة لدار السلمان جنوب مدينة حيفا، وسموا معسكراتهم بالكامبات مثل كامب العزيزية، وكان اسمه السابق برج الهزار في أول دخول حيفا، وفي منطقة يقال لها باب النهر صادرها الانجليز*

وعملوا عليها معسكراً، ويملكها عدد من أبناء الطيرة، كذلك استولى الانجليز على أرض قرب بير بثينة على شاطىء البحر وأقاموا عليها معسكراً، وتعود الأراضي التي اقيم عليها المعسكر لدار السلمان والابطح ونجاة الامين ورمضان الامين، وجمال مسعود وأحمد الابطح وسليمان الفار، وأسعد الفار، وبمساعدة الانجليز استولى اليهود وقتها على أرض بأعالي الكرمل، وأقاموا عليها مستعمرة يهودية سميت اخوزا سنة ١٩٢١".[٥٣]

وتمت مصادرة أراضي مستعمرة اخوزا بواسطة هربرت صموئيل أول مندوب سامي الذي كان متعاطفاً مع اليهود بشكل كبير، وتمت بأمره السيطرة على أربعة مواقع من خيرة أراضي الطيرة، وأقام عليها معسكرات للجيش البريطاني وقدم موقعاً مستعمرة أخوزا إلى عشيقته اليهودية التي كان اسمها أخوزا والتي سميت المستعمرة باسمها، والحق يقال أن تقدم هذه الأرض لليهود ليس من باب المصادفة أو العشق للفتاة وإنما يأتي تعبيراً عن مدى اخلاص وولاء الانجليز للمهاجرين اليهود الذين وعدوا بفلسطين وطناً قومياً لهم.

ولغياب التنظيم السياسي والاداري والجماهيري في فلسطين بشكل عام لم يستطيع الطيراويون فعل شيء عدا اصابتهم بالذهول لما يجري حولهم من مصادرة أرض وإقامة مستعمرات لليهود ومعسكرات للجيش الريطاني على أرضهم التي هي باب رزقهم. لكنهم عبروا عن غضبهم أول ما سنحت لهم الفرصة في أول ثورة لشعب فلسطين ضد الاستعمار البريطاني سنة ١٩٢٢، حيث جرت مصادمات بين أهالي فلسطين والجيش البريطاني في موسم النبي موسى عليه السلام، فشارك أبناء الطيرة أبناء شعبهم برفضهم للانجليز وسياستهم، وجرت المصادمات في عدد من المدن الفلسطينية أمثال حيفا وطبريا والقدس ويافا ...الخ.

Digitized by Birzeit University Library

ولم تكن هذه المصادمات الأولى أو الأخيرة التي عبر فيها أبناء الطيرة عن غضبهم ورفضهم للانتداب وسياسته، فحدثت سنة ١٩٢٩ ثورة عارمة في ربوع فلسطين سميت بثورة البراق، كان أهالي الطيرة السباقين في مشاركة أبناء شعبهم للمظاهرات والمصادمات التي حصلت بين العرب من جهة، واليهود والانجليز من جهة أخرى، فسقط عدد من الشهداء والجرحى من أبناء الطيرة في ذلك الوقت عرف منهم: خالد محمد سمير، ومحمود أحمد تيم، وأسعد رشيد الدعاس وابراهيم الصرفندي.(٥٤)

كما القي القبض على ٢٨ شخصاً قدموا للمحاكم العسكرية البريطانية التي حكمت عليهم بأحكام جائرة وصلت أحياناً إلى عشرة أعوام سجناً لكنهم استأنفوا الحكم، وأرادت بريطانيا تهدئة الوضع فأفرجت المحكمة في جلسة الاستئناف عنهم واكتفت في المدة التي خلت من سجنهم. وعرف من بين الذين القي القبض عليهم : نمر أحمد قبيعة، ومحمد عبد السلام التوفيق كما يروى سكان القرية.

القسام يعد العدة:

كان القسام يراقب الأوضاع السياسية المحلية وممارسات الانتداب القمعية ضد العرب، وفتح باب الهجرة أمام الصهاينة وتسهيل مصادرة الأراضي لصالح اليهود، وأكثر شيء أحزنه اختلاف آراء الأحزاب الوطنية وعدم تنظيمها ووضوح برامجها، مما جعله أكثر تصميماً على إنشاء حركة مستقلة في شمال فلسطين حيث دأب على تكوينها وصياغة مبادئها وشحنها بحب الجهاد والاستشهاد منذ عام ١٩٣٠، والذي سهل مهمة القسام في التفاف الشباب حوله وتأليف قلوبهم على حب الوطن وحب الشيخ نفسه سيرته النضالية ضد الاستعمار الفرنسي في سوريا التي قدم منها عام ١٩٢٢ مع ستة من رجاله، إن مثابرة الرجال والشباب على حضور دروسه وخطبه منذ توليه الإمامة في جامع الاستقلال ثم ترؤسه عام ١٩٢٧ جمعية الشباب المسلمين في حيفا التي كان منها عدد لا بأس به من شباب الطيرة، قد جعل منه شخصية معروفة. وفي عام ١٩٢١ عين مأذوناً شرعياً، مما أتاح له الدخول إلى بيوت الناس وإلى قلوبهم.(٥٥)

اعتمد القسام على خيرة الرجال والشباب من رواد المساجد من القرى والمدن الشمالية، وكان يمر الشباب المنتمي إلى هذه الحركة السرية في اختبارات ومحن حتى يفوز بالعضوية، ومنذ اللحظة الأولى التف عدد من خيرة شباب الطيرة حول القسام، وفازوا في الاختبار، فأصبح عدد منهم من كبار ضباطه ومستشاريه، مجاهدين بأنفسهم وأموالهم، فهناك خالد نجم قبيعة وهو شاب طيراوي في ربيع عمره كان يساعد في نقل السلاح في الشاحنة التي كان يقودها وينقله من شاطئ البحر إلى مخازن الحركة.

Digitized by Birzeit University Library

كانت دروس القسام مؤثرة في نفوس أهالي الطيرة بشكل خاص والمنطقة بشكل عام، فنجد أن الفلاح الطيراوي أول من استجاب للعصيان المدني بعدم دفعه الضرائب للانتداب البريطاني عام ١٩٣٣، وتضامن العامل الطيراوي الذي يعمل في مرفأ حيفا لنداء الإضراب عام ١٩٣٤. ففي عام ١٩٣٣ بدأ الإنجليز بتدريب الصهاينة على القتال وحمل السلاح واستخدامه ضد العرب مما اضطر القسام إلى البدء في عملياته الجهادية، حيث اعتمدت خلاياه المسلحة على نظام حرب العصابات التي تكون في أغلب الأحيان خاطفة وسريعة، فكانت تقوم بمهاجمة الجيش البريطاني في عتليت والمستوطنات اليهودية في أماكن متعددة في شمال فلسطين حيث كانت الطيرة وجبالها مأوى لهم، بعد عملية الكر والفر التي كانوا يقومون بها .(٥٦)

اتسع نطاق العمل وكبرت المقاومة وكثرت فرأى القسام ضرورة الإعلان عن الحركة وأهدافها وكان للإعلان صداه في قلوب الجماهير في آذار من عام ١٩٣٥، ويروي أهالي الطيرة أن القسام كان يرى في الطيرة ملاذاً آمناً له ولرجاله في أغلب عملياتهم حيث كان يشاهد وهو يقصد عدداً من بيوتها هو ورجاله ويبيت فيها بعد كل عملية.

ومن أعوان الشيخ القسام في الطيرة الشيخ ذيب الذي كان من رجال الشيخ عطية عوض، والذي أبدى بطولة نادرة في الثورة، وكانت آخر معركة خاضها مع رفاقه معركة وادي الطبل في الكرمل الشرقي قرب بلد الشيخ، بعد أن كبد العدو خسارة فادحة وبعدها نال الشهادة في هذا الوادي. والرجل الثاني هو الشيخ رشيد عبد الشيخ الخراساني الذي اعتمد عليه القسام في قيادة فصيل الكرمل، خاض الشيخ رشيد معارك عديدة ضد الإنجليز والصهاينة هو ورجاله، وكان آخرها معركة الكرمل التي وردت في المصادر الفلسطينية، حيث استشهد فيها .(٥٧)

ومن رجال الشيخ القسام وصحبه الشيخ أحمد محمود غنام الذي انتقل من الطيرة وسكن حيفا من أجل العمل في سكة الحديد. ويقول نجله جمعة أحمد غنام: *"كان والدي مساعداً وضابطاً عند الشيخ عز الدين الذي كان يسكن إلى جوارنا، حيث قامت علاقة وطيدة بينه وبين والدي ومحمد أبي شحرر من الطيرة. كان والدي متديناً ويفقه في الدين، وانضم إلى صحبتهم الشيخ عطية من بلد الشيخ أسعد والشيخ محمود شقور والشيخ عبد المجيد حماد من طولكرم، دأب القسام على إجراء اجتماعاته السرية والتنظيمية بعد صلاة العشاء في مسجد الاستقلال أو في بيت من بيوت أصحابه، وكان عمري حينئذٍ تسع سنوات، لكنهم لم يعفوني من مهمة مساعدة المجاهدين، فكانوا يكلفونني في بعض المهام خارج الطيرة، حيث كان يرسل القسام معي رسائل إلى المجاهدين في القرى والمدن التي كانت بعيدة عن حيفا، وكانت ترافقني في هذه المهمة سيدة اسمها أم محمد زوجة حسن المصري من حيفا، كان زوجها أحد الثوار ثم استشهد فأقسمت أن تبقى وفية لزوجها وللثورة. فكنت أنقل الرسائل في الكلسات ثم أعود بالرسائل والخطابات إليهم. أخذ يقوم والدي والقسام بجمع الأموال وتوزيعها على أسر الشهداء. وكنت أتعلم أثناء العطل الصيفية وبعد انتهاء دوامي في المدرسة على يد السيدة ميمنة بنت الشيخ القسام حيث كان للشيخ المجاهد أربع بنات ميمنة، وخديجة، وعائشة وزينب، وكان له ولد وحيد أسمه محمد، وبعد استشهاد الشيخ القسام كاتب والدي الجامعة الإسلامية طالباً منها أن تتكفل بتعليم نجل الشيخ في الجامع الأزهر، وتم ذلك بالفعل حيث أرسل إلى مصر وأكمل تعليمه هناك"* .(٥٨)

ولم يخف على عقلية الاستعمار البريطاني ودهائه نشاط القسام والتفاف الشباب حوله وتحركاته المكوكية من هذه المدينة إلى تلك القرية، فأخذت تجمع كل ما يتعلق بحياته في الماضي والحاضر فأرسلت المخابرات سيرته الذاتية وملفه

Digitized by Birzeit University Library

النضالي الذي يحوي على نشاطه السياسي والعسكري في سوريا ضد الاستعمار الفرنسي حيث كانت مشاركته في ثورة ١٩١٩، إنه محكوم عليه بالإعدام وذيل التقرير المرسل عن القسام بأنه إنسان خطر. مما جعل السلطات البريطانية توظف له اثنين من أكبر عملائها وهما: حليم بسطة الذي قدم مع اللورد اللنبي إلى فلسطين من مصر، والثاني أحمد نايف وهو فلسطيني من قرية قبلان إلى الجنوب الشرقي من نابلس، حيث عمل الاثنان ضابطين سريين للإنجليز تحت إمرة الضابط البريطاني (كلايتمان)، واستطاعا الكشف عن بعض أفراد جماعة القسام الذين نفذوا بعض العمليات، حيث قام حليم باعتقال أحدهم ووجه إليه تهمة التآمر لقتل اليهود، لكن أحمد نايف قام برصد خطوات الشيخ وتحركاته، فسكن بجوار منزل القسام من أجل تسهيل مهمته ومتابعة الأمر عن كثب، لكن خلايا القسام لا تنام عن الخونة ولم تغفل عيونهم عنهم، بل لاحقتهم وقتلتهم شر قتلة حتى منعت دفنهم في مقابر المسلمين وكان ذلك في ٣٦/٨/٧. (٥٩)

يقول غازي حجير أحد أبناء الطيرة: "*كان حليم بسطة يكره أهالي الطيرة لأنه كان يشعر أنهم يخططون لقتله، وكان يقول سوف أدعس على أهالي الطيرة بالجزمة، وكان يقولها باللهجة المصرية. لكن الثوار لم يمهلوه طويلاً، فاغتالوه، وحالوا دون أن يدفن في حيفا، فأرسلت جثته إلى مصر، فقالت زوجته وهي تودعه الوداع الأخير، كنت تقول سوف أعبي أهل الطيرة بالجزمة حتى عبوك في تابوت وأرسلوك بالقطار السريع إلى مصر.*" (٦٠)

وفي تشرين الثاني من عام ١٩٣٥ تفجرت الثورة وعم العنف في فلسطين بعد المعركة الفاصلة التي قادها القسام وصحبه التي كان عنوانها إما الجهاد والاستشهاد أو النصر، وظهرت أول علامات الثورة الشاملة في معركة منظمة مع الجنود البريطانيين في التاسع عشر من تشرين الثاني١٩٣٥، وكانت نتيجة المعركة

استشهاد القسام وأدت جنازته التي شارك فيها أغلب زعماء فلسطين من كل مدينة وقرية، ووصل إليها كل من استطاع الوصول إلى حيفا راكباً أو سائراً على الأقدام إلى موجة قوية من الشعور الوطني والى صدامات ومظاهرات عارمة ضد البوليس البريطاني. (٦١)

ثورة ١٩٣٦

لم تنته ثورة القسام باستشهاده، بل يمكن لنا أن نقول إنها ربت وكبرت، وأتت أكلها فبقي جنود القسام على العهد، ومن القادة القساميين الطيراوية الذين كتبت لهم الحياة ولم ينالوا الشهادة في أحراش يعبد ولكنهم نالوها في مكان آخر، الشيخ رشيد عبد الشيخ، الذي أخذ يجمع الرجال حوله من الطيرة والقرى المجاورة من أجل استمرار الثورة، وأخذ الشيخ رشيد بعد استشهاد القسام يتبع إلى قيادة الشيخ يوسف أبو درة الذي أصبح أحد قادة الثورة في شمال فلسطين.

وكان فصيل الشيخ رشيد مكوناً من نخبة من شباب الطيرة عرف منهم: حسن الرافع، ومحمد مصطفى حجير، وحسن حجير، ومحمد الشحرور، ومصباح العباس محمد الحمولة، وصالح أبو طربوش، وحافظ نجم قبيعة، وراجح الفهد، وإبراهيم الزهرة، وخضر السيد، علي محمد النجمة باكير الذي كان يصنع القنابل والمفرقعات للشيخ القسام، وقد استشهد في احدى التجارب التي كان يقوم بها من أجل صناعة المتفجرات عام ١٩٣٨، ومن رجال القسام أيضاً فايز صافي درباس الذي شارك في قتل حاكم اللواء اندروز في الناصرة، وشاكر فريد درباس، ومحمود فريد درباس، ومحمد فريد درباس وهم ثلاثة أخوة، وحسن الدعاس عمورة والمعروف بحسن العدلة، وحسن محمود السعدي، وقاسم شواهين، ومحمد نمر

Digitized by Birzeit University Library

درباس، وأحمد البدر، وحسن سعد الدين، ومن الذين برزوا في قيادة الثورة **عيسى عبد الرحمن البطل** * حفيد مختار الطيرة محمد البطل عام ١٩٣٦.(٦٢)

لقد عثرت في أرشيف الهاجاناة / قسم الاستخبارات على ملف حول عيسى البطل ورد فيه "عيسى البطل مخرب ورئيس عصابة، تركز عمله بشكل خاص بمدينة حيفا وضواحيها، حيث فرض هيبته على المدينة، وهو مسؤول عن شراء الأسلحة للثوار، يظهر أنه (في شهر حزيران / يونيو ١٩٤١) شغل منصبا مرموقا في منظمة سرية عسكرية حيث يظهر كثيرا مع محمد شبلاق. وتفيد المعلومات الواردة فيه في شهر ١٩٤١/٩ أنه المسؤول عن اللجنة السرية للأسلحة والمعلومات العسكرية في الطيرة. في شهر ١٩٤٤/٨ اشترك في اجتماع الحزب الحسيني في حيفا من أجل تأسيس فرع له في المدينة، وفي نفس الشهر كان أحد الشخصيات المقترحة للإشراف على فرع الحزب ورشحه لهذا المنصب عبد الرحمن الحاج** . اشترك في اجتماع ناقش فيه مسألة إيجاد ترتيبات لتزويد سكان حيفا العرب بالمواد الغذائية في حالة نشوب حوادث خطرة. وختم التقرير الاستخباري أن عيسى البطل كان على رأس مجموعة القسام العسكرية***

فعاليات الثورة:

يقول عبد الصمد أبو رشيد: "*كان استمرار الثورة مخيباً لآمال حكومة الانتداب لأنها ظنت أنه باستشهاد القسام قد انتهت الثورة، لكن استمرارها بل*

* بقي مطارداً مدة تزيد عن أربع سنوات من قبل البوليس التابع لحكومة الانتداب، فقد لجأ إلى دمشق وأقام فيها، وكان على اتصال مع الحركة الوطنية السورية، ومع شكري القوتلي، حسب ما رواه عبد الرحمن مصباح البطل.

** من المناضلين الشرفاء وعضو في حزب الاستقلال ابن احدى العائلات الحيفاوية المعروفة .

*** أرشيف الهاجاناة رقم (١٠٥/٢٧٢ ابتداء من شهر ١٩٤١/٦.

وتوسيعها وإنشاء منظمة الكف الأسود جاء عكس ما توقع الإنجليز. وهذه المنظمة الفتية التي كان لشباب الطيرة اليد الطولى في تأسيسها، وسجلت هذه المنظمة عمليات جريئة، وافتتح الطيراويون باكورة عملياتهم في أول هجوم لهم على معسكر عتليت لاخراج السجناء منه، وكانت نتيجة الهجوم استشهاد محمد قاسم شواهين، وفي هجوم آخر على أهداف يهودية استشهد حسن موسى السعدي. وفي معركة أخرى جرت في أواخر أيلول سنة ١٩٣٦ قدم الطيراويون عدداً من الشهداء والجرحى عرف منهم، أحمد موسى الباش، ومحمود أبو حسان، وجرح أحمد عبد الحليم عندما كان الطيراويون يحاولون كسر طوق عسكري كانت قد فرضته بريطانيا عليهم وهم في طريقهم لاطلاق سراح القائد يوسف حمدان من سجن جنين، وكانت هذه المجموعة بقيادة الشيخ طه من الطنطورة".

كان اليهود يقومون بهجمات انتقامية وعدائية، وخلال إحدى هجماتهم استشهدت ظريفة محمد سعيد قرب مستعمرة اخوزا بتاريخ ٣٦/٨/١٩ . (٦٣)

أما المصادر الإسرائيلية فتقول حول هذه الحادثة: " جرت في حيفا عمليات انتقامية رداً على مقتل أربعة يهود على طريق يعاروت هكرمل، وكان القصد إلحاق الأذى بعرب قرية الطيرة،/ التي جاء القتلة منها وأطلقت النار بالقرب من مزرعة هربرت صموئيل قرب الطيرة، كانوا متجهين إلى حيفا عبر طريق مجاورة للمكان، فقتلت امرأة وجرح رجلان، وفرضت السلطات البريطانية على المنطقة غرامة مالية تقدر ب ٢٥٠ جنيهاً فلسطينياً بعد أن تأكدت أن المهاجمين جاؤوا منها". (٦٤)

إضراب الستة أشهر:

أثبت خداع الإنجليز للحركات السياسية صحة رأي القسام في أن العمل السياسي لا يجدي نفعاً، فقرر العرب الإضراب الذي استمر زهاء ١٧٦ يوماً، من

Digitized by Birzeit University Library

٣٦/٤/١٧ إلى ١٩٣٦/١١/١٣، وانضم القساميون إلى اللجنة العربية العليا الموحدة. ظل الطيراويون على عهدهم في الجهاد والالتزام بقرارات اللجنة وفعاليات الإضراب اليومية، فلم ينقل فلاحهم من غلاله شيئا خارج القرية، ولم يدفع من الضرائب قرشاً واحداً مستجيباً لنداء العصيان المدني، كذلك لم يتوجه من عمال القرية أحد إلى حيفا حيث توقف العمل في الميناء والمصانع والشركات في منطقة حيفا. كما شارك تلاميذ مدرسة الطيرة كغيرهم من الطلبة في سائر مدن وقرى فلسطين في المظاهرات والهتافات وفي تعبئة الجماهير وحشدهم ضد الإنجليز واليهود على حد سواء.

يقول مختار القرية عبدالله السلمان: "*في عام ١٩٣٦ وصلني من سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني رسالة يدعو فيها إلى الإضراب العام وكلفني أن أعمم الدعوة إلى الإضراب في بعض قرى قضاء حيفا، فقمت بتوزيع هذه الدعوة على القرى التالية: عين حوض، وعين غزال، واجزم، والفراديس، والطنطورة والبرة، وقيسارية. وبعد اكتشاف الإنجليز لهذه الفعلة اعتبروني في قائمة المعادين لهم وقد أعلنت الحكومة عن مكافأة مالية قدرها ٥٠٠ جنيه لمن يأتي بي ميتاً و ٢٥٠ جنيهاً لكل من يأتي بي أسيرا.*"(٦٥)

معركة وادي الدرج:

يقول عبد الصمد أبو راشد أحد أبناء القرية: "*كثرت غارات الثوار على المعسكرات والمستوطنات فوق الكرمل وجبال الجليل، فأخذ الانتداب يعد الخطط وينفذ المشاريع لشق الطرق الجبلية وتعبيدها لتلبية نداءات الاستغاثة سواء أكانت من جنده أو من اليهود، كما سخروا الطائرات المقاتلة من أجل استكشاف الثوار في الروابي والجبال والغابات من أجل رصد مكامنهم. وفي أحد الاستطلاعات وبالتحديد في الأسبوع الثاني من شهر أيار عام ١٩٣٨ شاهدت الطائرات عددا من*

المجاهدين يغادرون الطيرة ويصعدون وادي الدرج باتجاه معسكر تل الزعرور ومستوطنة الشلالة، إذ كانت النية مهاجمتها عندما يحل الظلام. ووادي الدرج هذا أجرد مكشوف وصخوره ملساء لا يستطيع المقاتل السير عليه بسلاحه وذخيرته وعتاده. وبدأت الطائرات بالقصف من الجو، وساندتها على الفور طائرات أخرى، وتحركت قوات من معسكرات عتليت وتل الزعرور وأحكموا الطوق ودارت معركة شرسة استمرت زهاء ثماني ساعات حسمتها الطائرات لصالح العدو حيث أسفرت عن استشهاد قائد الفصيل أحمد معطي من أجزم وجميع من معه، ومن بينهم ثلاثة من الطيرة هم : أسعد السيد أبو راشد، وعبد الله يوسف أبو راشد، ومحمود نمر درباس، ودفن أسعد وعبد الله وأحمد في مقبرة إجزم ليلا لئلا ينتقم العدو من عائلاتهم – أما من عثر على جثته في أرض المعركة فدفن في أعالي الكرمل ومن بينهم محمود درباس. لم تعرف خسارة العدو التي تكتم عليها، أما خسارة المجاهدين فكانت كبيرة، إذ بلغ المنظور فيها ثمانية عشر شهيداً، وقدرها آخرون بأنها أكثر من ذلك، وذكر أن من بين الشهداء قائد فصيل من الفريديس اسمه طالب بدوي وكان ذلك في الأسبوع الثاني من شهر أيار عام ١٩٣٨" ويروي جميل الحاج حسين باكير عن هذه المعركة بقوله "*ان قائد الفصيل سليم الصعبة من عين غزال استشهد في هذه المعركة مع عدد من أبناء الطيرة*"

ومن بعض أعمال الثوار التي وردت في كتاب وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية في منطقة الكرمل مرابطة فصيل من المجاهدين في يوم ١٩٣٨/٨/١٦ على طريق حيفا عسفيا، وبينما كان المجاهدون في مواقعهم وإذا بقافلة من الجنود الإنجليز (ثماني عشرة سيارة) يمرون، ففاجأهم الثوار بإطلاق وابل من الرصاص والقنابل اليدوية، مما أدى إلى إرباكهم. وكانت النتيجة قتل ثمانية عشر جنديا

Digitized by Birzeit University Library

بريطانيا والاستيلاء على ست بنادق ومسدسين، وقد جرح من المجاهدين اثنان، وتم اعتقالهما من قبل الجنود ومصادرة بنادقهم ومسدس واحد.

وفي ١٩٣٨/١١/٢٨ وقعت جنوبي حيفا معركة أم الزينات، حيث كانت فرقة من المجاهدين تتحرك بقيادة الشيخ يوسف أبو درة، فرصدتها عيون الإنجليز، وفي الصباح أرسل الإنجليز ثماني طائرات استكشاف رصدت موقعهم، فقامت قوة مؤلفة من ثلاثة آلاف جندي بمحاصرة المنطقة حيث حصر المجاهدون بين دالية الكرمل وإجزم وعين غزال وأم الزينات، ودارت رحى المعركة بين الطرفين على مساحة بلغت عشرة كيلومترات، فاستبسل المجاهدون واسقطوا طائرة واستشهد بضعة أفراد من الثوار. ونجحت معظم القوة في الانسحاب تحت جنح الظلام بعد أن كبدت القوات البريطانية ٣٥ قتيلاً. وفي اليوم التالي قام الإنجليز كعادتهم بفرض نظام منع التجول على القرى المحيطة بساحة المعركة مثل إجزم، وعين غزال، والطيرة وعين حوض وإم الزينات، وجمعوا الرجال وأساءوا معاملة النساء والأطفال وعاثوا بالبيوت فساداً وتخريباً.

وفي ١٩٣٩/١١/١٧ ذهب المجاهدون غربي مدينة حيفا بالقرب من دير مار الياس ورابطوا على الطريق المؤدية من حيفا إلى مستعمرة اخوزا، وإذا بحافلة ركاب يهود تمرّ بالمكان من سكان المستعمرة، فأمطروها بوابل من الرصاص مما أدى إلى مقتل سبعة أشخاص من ركاب الباص، وفي الليلة الثانية قاموا بالمرابطة على طريق مستعمرة أخرى اسمها مستعمرة فرش الحلقة تقع إلى الشرق من حيفا على بعد ٣ كم، وأثناء تواجدهم هناك مرت سيارة يهودية أطلقوا عليها النار مما أدى إلى مقتل أربعة يهود وامرأتين.

وفي الليلة الثالثة هاجم الثوار المستعمرة وأحاطوها من كل جانب وأخذوا يطلقون النار على حراسها واستمر القصف مدة تزيد عن ٣ ساعات قتل خلالها عشرة من الخفراء وجرح ستة.(٦٦)

أما ردود فعل اليهود على هذه الثورة في مصادرهم، فقد ذكروا أنهم أحسوا أن موطن المقاومة العنيفة قد أصبح بعد استشهاد القسام في حيفا وقضائها، فجاء في مصادرهم و مذكرات قادتهم ذكر بعض أعمال الثوار بطريقة مشوهة "نجد أنه في حيفا وحدها وهي موطن الإرهاب العربي منذ أيام الشيخ القسام أبرز نشاط زمرة إرهابية خاضت صراعاً مريراً لا ضد اليهود فحسب وانما أيضاً ضد العرب، وتمثل نشاط هؤلاء الإرهابيين أساساً في إطلاق الرصاص على الباصات ومهاجمة المارة والمستعمرات القريبة من المدن ومحاولة عرقلة المواصلات إلى حيفا من الجنوب ومن السهل، كما نشطت في إحدى الفترات عصابة صغيرة بقيادة قاطع الطريق أبو عليق الذي فرّ من السجن ومارس سرقة العرب وقتل اليهود. وكان له ضلع في مقتل ابراهام غولد شلاغر، وفي ١٩ شباط ١٩٣٨ أخطأ أبو عليق حين قتل مصادفة طبيباً عسكرياً بريطانياً أثناء سفره إلى حيفا قرب الطيرة وقد تم إلقاء القبض عليه وشنقه بعد شهرين.(٦٧)

ويقصد هنا الكاتب في روايته الاعتداءات ضد اليهود والإنجليز والعرب، ويقصد بالعرب هنا العملاء والمتعاونين وبائعي الأراضي الذين حاربتهم الثورة، وهذا ما أغاظ اليهود والإنجليز على حد سواء.

وتذكر المصادر الإسرائيلية أيضاً أن نشاط الثوار، قد سجل ارتفاعاً ملحوظاً في ١٧ نيسان من عام ١٩٣٨، حيث كان أغلب الثوار يأتون من القرى المجاورة كحيفا فقالوا: "*كان الإرهابيون بصورة عامة عنصراً غريباً في المدينة، جاءوا من القرى والمدن المجاورة مثل الطيرة وبلد الشيخ وياجور وجبال الناصرة وجنين*

Digitized by Birzeit University Library

ونابلس".[٦٨] *فبدأ اليهود في صيف ١٩٣٨ في استخدام وحدات خاصة من أجل الانتقام من العرب، وبتشجيع بريطاني. وكانت أول عملية لهذه الوحدات الخاصة التعرض للفلاحين الذين كانوا يذهبون فجراً إلى حيفا من أجل بيع منتوجاتهم الزراعية، وكان ذلك في صيف ١٩٣٨ حيث نصبت الهاجاناة كميناً لهم واطلقت النار عليهم مما أدى إلى مقتل وجرح عدة أشخاص بينهم نساء. وقد أثارت عصابات الهاجاناة والعصابات الصهيونية الأخرى الذعر بين السكان العرب بواسطة أعمال التفجيرات التي حدثت في حيفا وإطلاقهم النيران على أهالي القرى المجاورة لحيفا.*[٦٩]

أما ردود فعل الإنجليز على الثوار فكانت تقوم أحياناً بعقوبات جماعية ضد السكان الذين كانوا يدعمون الثورة رغم أنهم لا ذنب لهم ولا حول ولا قوة، عدا أنهم عرب. تقول السيدة منوة محمود عبد الوهاب: *"بعد كل معركة مع الثوار كان الانجليز يأتون وينتقمون من البلد بحجة أن بينهم ثواراً وأن الجيش الإنجليزي يبحث عنهم أو عن أسلحة فكانوا يفرضون طوقاً على البلد، وكل رجل على رأسه حطة حمراء أو موشحة بما كانوا يحسبونه ثائراً ومن ثم يخضع للاستجواب، فكانوا يجمعون الرجال عند ساحة الجامع، وأذكر أول طوق فرضوه في البلد منعوا التجول وأخذوا الرجال، فأخذت النساء في الصراخ والبكاء، لكن أهل البلد نبهوا عليهن ومنعوهن من تكرار هذه الفعلة مرة أخرى، وبعد أن كانوا يجمعون الرجال كانوا يمررونهم من أمام أحد العملاء وهو مغطى الوجه، كما نسميه (أبو شوال) فالذي كان يشير عليه يأخذونه للاستجواب، ولم تسلم النساء والأطفال من بطشهم، بل كانوا يجمعون النساء والأطفال على بيادر القرية ويبدأون بتفتيش البيوت حيث كانوا يعيثون فيها فساداً، فيلقون الفراش أرضاً ويخلطون المواد التموينية بعضها ببعض. وفي أحد الأيام قام الثوار من أهل الطيرة، بالإغارة على معسكرات الجيش*

البريطاني وسرقوا عشر بنادق من الإنجليز، فجاء الإنجليز وطوقوا البلدة وأخذوا يصيحون بأعلى صوت أن يا أهل الطيرة إذا لم ترجعوا البنادق فسوف نهدم بيوتكم، لكن أهل الطيرة لم يأبهوا لصراخهم ففرضوا غرامات مالية على القرية، فقام أرباب العائلات بجمعها من ذويهم.[٧٠]

ويقول أهالي القرية لم تجد العقوبات الجماعية ولا الغرامات المالية نفعاً، فلم تثن أهالي الطيرة ولم تردعهم عن مكافحتهم للإنجليز واليهود، فقامت بريطانيا باتباع سياسة الأبعاد وخصوصاً بعدما أيقنت أن عطاء الطيرة ودعمها للجهاد والمجاهدين وتموينهم بالأسلحة والفداء مستمرٌ حيث تأكدوا من ذلك بعد استشهاد عيسى مفلح أبو راشد ومحمود أحمد إبراهيم السلمان وجرح خليل قبيعة في معركة المنسي في مرج ابن عامر، فلجأ حاكم لواء الجبل "اندروز" إلى سياسة الإبعاد فقام بحملة اعتقالات عدد من رجال القرية ونفى آخرين إلى دمشق عرف منهم : الحاج يوسف الراشد وحافظ قبيعة في أيلول من عام ١٩٣٨، إلا أن ذلك لم يثن أهالي الطيرة عن الجهاد والعطاء للوطن، فنفي بعدهم عبد الله السلمان مدة تزيد عن خمسة شهور ولم يكن هؤلاء هم الذين شردوا من ديارهم فقط بل سبقهم مختار القرية الفهد الحسن العباس عندما رفض شجب مظاهرات عام ١٩٢١، فتم نفيه إلى طبريا. وفي بداية الاحتلال البريطاني للطيرة تم إبعاد كل من الحاج محمود حسين باكير وولديه الحاج حسين وحمادة باكير مدة تزيد عن ثلاث سنوات إلى مصر.

ثم رجع الحاج يوسف الراشد وحافظ النجم قبيعة بعفوٍ عام في بداية الأربيعينيات ولم يهمله الأعداء طويلاً فاعتقلوه مرة أخرى.

لم يقف كيد الإنجليز عند هذا الحد بل استعملوا أساليب عديدة من أجل التنكيل بالناس وإرهابهم، من هذه الأساليب إنشاء فرقة خاصة مستعربة من أجل مباغتة الناس وقمعهم، وحدث أن دخلت هذه الفرقة الإنجليزية الطيرة بلباس عربي

Digitized by Birzeit University Library

وهم يلبسون العبي ويضعون أسلحتهم تحتها، بعدما رصد عملاؤهم عدداً من الثوار دخلوا القرية صبيحة يوم الجمعة في أواخر شتاء عام ١٩٣٨، حيث جاء رشيد عبد الشيخ قائد الفصيل هو وعدد من الثوار إلى البلد لزيارة ذويهم وظن العملاء أن الثوار يبغون المكوث حتى صلاة الجمعة في المسجد كعادتهم، فأخبروا الإنجليز الذين جاءوا متخفين بزي الثوار العرب راكبين على عرباتٍ تجرها الخيول تاركين سياراتهم خارج البلدة، وعندما شاهدهم النساء والأطفال أخذت النساء يزغردن ظناً منهن أنهم ثوار، ولحق الأطفال بهم ينشدون الأناشيد الوطنية وكانت الشوارع قد خلت من المارة والإمام يقف على المنبر يلقي خطبة الجمعة لكن من حسن الحظ فقد كان قسم من الثوار قد غادر القرية قبل دخول الإنجليز ويقال أن بضعة رجال منهم مكثوا من أجل الصلاة. وكان الإنجليز يأكلهم الحقد وهم يسمعون الهتافات الوطنية، لكنهم لم يفعلوا شيئاً مع الأطفال خوف أن ينكشف أمرهم، ولما وصلت عرباتهم قرب المسجد من الجهة الشرقية، ألقى الجنود العباءات عنهم وقفزوا إلى الأرض وأحاطوا بالمسجد وراحوا يطلقون الرصاص من النوافذ فوق رؤوس المصلين ويطلبون منهم الخروج الفوري، لكن لسوء حظهم فر من بقي من الثوار قبل وصولهم إلى المسجد، عندما سمعوا زغاريد النساء ونشيد الأطفال لأنهم أيقنوا أنها خدعة من الإنجليز. ورجع الإنجليز خائبين ومعهم عدد ضئيل من المعتقلين الأبرياء.* (٧١)

اخفاق الثورة:

فشلت الثورة لأسباب موضوعية وذاتية. أما الموضوعية فتتعلق بقوة أعدائهم (بريطانيا والحركة الصهيونية)، وأما الأخطاء الذاتية، فكان من بينها تصفية الحسابات الشخصية وأخذ الثارات العائلية تحت غطاء الثورة، بما في ذلك إزهاق

* أجمع الرواة الذين قابلتهم على صحة هذه الرواية بما في ذلك الأستاذ عبد الصمد أبو رشيد.

أرواح الناس دون التحقيق في الوشاية التي قدمت بحقهم. وكذلك إضراب الستة أشهر الذي أدى إلى ضعضعة اقتصاد البلاد، بينما كان اليهود يطورون أوضاعهم ويبنون مؤسساتهم الاقتصادية، وشلت الحركة التجارية العربية وجمدت لصالح تجارة اليهود، فلم يدعوا شركة أو مؤسسة اقتصادية إلا وقد سيطروا عليها وخصوصاً في منطقة حيفا، فسيطر اليهود على مصفاة النفط، وعلى مصلحة سكة الحديد، وعلى مرفأ حيفا، وعلى أسواقها التجارية. لقد اعتقد البعض خطأً أن الإضراب سوف يؤدي إلى وقف الهجرة الصهيونية أو استعادة الأرض المغتصبة. فتلفت المحاصيل الزراعية والمزارع العربية وأصبحت أماكن العمال العرب شاغرة في الشركات والمؤسسات الاقتصادية وتم تعبئتها من قبل اليهود، والأدهى والأمر أن بعض العرب كانوا يسيرون بضعة كيلومترات سيراً من أجل الحصول على حاجياتهم الاستهلاكية من متاجر اليهود لان متاجرهم مغلقة.

يقول في هذا المجال طه محمد قزق: "*إضراب ٣٦ ضرب بيوت العرب، كنا عندما نريد شراء كيلو بندورة نسير خمسة كيلومترات خارج حيفا من أجل نيل مرادنا، ستة شهور ونحن في إضراب شامل دمر الاقتصاد الفلسطيني خلالها، واليهود كانوا يعملون ليل نهار ويطورون مصالحهم التجارية. كما أن الثوار كانوا يقومون بقتل أناس أبرياء عن طريق الخطأ وفي اليوم الثاني كان ينزل بيان موقع باسم الثورة يعبر عن، أسفها واعتذارها عما حصل من التباس، ويعتبر القتيل أو المغدور شهيدا. كما أن جباة الضرائب أو الأموال لحساب الثورة كانوا يستغلون الناس أحياناً لأمور شخصية، فأذكر قصة مع ابن عم لي يدعى علي القزق باع بيتاً فحضر شخص يدعي أنه مرسل من قبل أبي درة، وطلب من الشخص العودة في اليوم التالي وأخبر عمي أقرباءه بما حصل فاستنكروا هذه الفعلة، وفي اليوم التالي حضر الرجل على موعده، لكن أقرباء عمي كانوا له بالمرصاد فأمسكوا به وأخذوه*

Digitized by Birzeit University Library

مقيداً عند يوسف أبي درة وأخبروه بما حصل، فأنكر أبو درة أنه أرسل أحداً لعمي فقال : أنا فقط أجبي أموالاً للثورة من أصحاب رؤوس الأموال والتجار وليس من عامة الناس" .(٧٢)

ومن الحوادث التي وقعت في عهد الثورة وأربكت أهالي الطيرة مقتل المختار محمد عسقول من أعيان القرية في أواخر العهد التركي، وعين مختاراً آنذاك واستمر يشغل هذا المنصب في عهد الانتداب. ومن المعروف أنه بعد استشهاد القسام شكلت محكمه أمن الثورة برآسه الشيخ يوسف أبو درة، وكان من أهداف هذه المحكمة معاقبة العملاء وسماسرة الأراضي فبلغ مسامع الثورة أن عسقول قد باع أرضاً لليهود، فاستدعي عسقول إلى جنين للمثول أمام المحكمة وكان ذلك عام ١٩٣٨ فاستجاب لطلب الثورة وذهب ومعه عدد من وجهاء الطيرة وهم : توفيق الزبن ونايف العبد الحمود، وعقل العتر، وزامل ادريس، وحملوا معهم الهدايا، وذهبوا إلى أبي درة الذي استقبلهم ورحب بهم ويقال إنهم طلبوا منه أن يكون عادلاً مع عسقول، فعاهدهم على ذلك، وبعد تقديم عسقول للمحكمة تقول الروايات إن المحكمة قد برأته من التهم المنسوبة إليه واطلق سراحه، وأثناء عودته إلى البلدة التقى بمجموعة من الثوار كانت مهمتها ملاحقة العملاء والسماسرة فظنوا أن عسقولاً قد أدين وفر من المحكمة فقتلوه ووضعوا جثته في مغارة وبعد حين عثر عليه أهله ونقلوا رفاته إلى القرية .(٧٣)

وقد زرعت بريطانيا عيوناً في داخل الثورة فأخذ الشك يراود الناس، كما عملت على سياسة فرق تسد، فاختلف زعماء الثورة وانقسمت فصائلها إلى مذاهب وشيع وبرزت العائلية والقبلية، وانقسم الناس بين مجلسي ومعارض. ومن المآخذ التي قد تسجل على هذه الثورة أنها قبلت في صفوفها أشخاصاً لم يكونوا على مستوى المسؤولية، ولفقر الناس وسوء أوضاعهم الاقتصادية، أخذ بعض زعماء

البلاد بأموالهم بعض ضعاف النفوس من الثوار وتسخيرهم لخدمة أهدافهم الشخصية. لا نستطيع أن نعمم في هذا المجال ولكن حصلت حالات فردية من هذه القبيل في قرى شمال فلسطين.

وكان للمؤسسة العسكرية البريطانية دور في إبراز بعض الزعامات المحلية وزرع الشك وتفتيت اللحمة الوطنية بين الزعامات الوطنية الأخرى، فكان حاكم اللواء مثلاً يطلب شخصية مهمة للمقابلة في ساعة معينة، ويستدعى شخصية أخرى في نفس الموعد أو بعده وعادةً كان يستدعي المتخاصمين من أبناء البلدة الواحدة فيشاهد كل منها الآخر فيظن بأنه وشى به إلى الحاكم ومن هنا يدخل الشك في النفوس مما يجعل الخلافات تتفاقم وتتسع.

يقول عبد الله السلمان مختار القرية: "*استدعاني حليم بسطة أحد ضباط الاستخبارات في الجيش الإنجليزي إلي مكتبه في حيفا، على أن أحضر الساعة الثامنة صباحاً، ذهبت في الموعد المقرر، وبدأ الشك يراودني فسألت نفسي لماذا في هذا الوقت العصيب ؟ ماذا يريد مني؟ . وعندما وصلت إلى مكتبه وجدت على بابه مساعد شاويش الشرطة واسمه حنا، فقلت له: البيك موجود فقال نعم، لكنه مشغول استرح هنا حتى يفرغ من اجتماعه، فجلست في رواق المقر بجوار الباب وأحضر لي الشاويش حنا فنجاناً من القهوة، لكن طال الانتظار وأشرفت الساعة على التاسعة، وتجاوزتها والباب مغلق، فقلت للشاويش الساعة الآن تجاوزت التاسعة* وأريد أن أذهب لتناول طعام الإفطار وبعدها سوف أعود. فذهبت إلى مطعم قريب، وحصلت على وجبتي ورجعت إلى من استدعاني فقابلني الشاويش حنا على الباب فقلت له هل فرغ البيك وقال لا. فضجرت وما كان مني إلا أن اقتحمت مكتبه بعصبية، فوجدت عنده أحد زعماء حيفا وأسمه رشيد الحاج إبراهيم رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في حيفا وأصله من الطيرة رحل سكن حيفا فوقف حليم وودعه

Digitized by Birzeit University Library

واعتذر عن التأخير. فقلت له مبتسماً أن كل ما فعلته يا حليم أنك استدعيتني وإياه في نفس الوقت ليشك كل منا في الآخر ثم أخرتني وأجلستني على بابك من أجل أن يشاهدني الناس ويبدأ الوسواس يوسوس في صدورهم حتى يأكلهم الشك. فحملق بي وانفعل وشتم ... وقال لي: "والله سألت عنك كثير وقالوا لي جميعهم إنك....".(٧٤)

هذه إحدى الطرق التي عمل بها الإنجليز وعملاؤهم من أجل إنجاح سياسية التفرقة بين الناس.

كما أن الإنجليز وجدوا أرضاً خصبة لزرع بذور الفرقة ما بين مجلسي ومعارضي .

ومن الواضح أن سوء الأوضاع الاقتصادية قد أسهم في فشل الثورة وعدم تمكنها من القيام ببعض التزاماتها الوطنية ومن هذه الالتزامات عدم استطاعتها السير بموازاة أو بمنافسة الوكالة اليهودية في عملية شراء الأراضي، ما أدى إلى تسرب الكثير من الأراضي. ويقول طه قزق أحد سكان القرية: *كان لوالدي وعمي أرض في هدار الكرمل وكانا متدينين، فضاقت بهم السبل بعد أن تكاثر اليهود في المنطقة فباعوا أرضهم، باعوها لزعماء العرب والزعماء بدورهم باعوها لليهود رغم أن عمي كان شديداً على اليهود حتى أنه في إحدى الأيام ضرب عمي مختار اليهود كفاً وكان يريد أن يقوسه رغم وجود ٣٠٠ يهودي في المنطقة آنذاك. لكن لي عمّ آخر رفض البيع في البداية لكن اليهود تكاثروا في المنطقة وأخذوا يتعرضون له ويعتدون عليه فضاقت به سبل العيش بينهم وخاف على أولاده منهم، فأعلن عن بيع أرضه للعرب رغم أن العرب كانوا قد شكلوا لجنة لشراء الأراضي التي قد يضطر أهلها لبيعها. إلا أنهم لم يحركوا ساكناً واسم عمي هذا حسن القزمي فخفض السعر بأقل مما يشتري اليهود بـ ٣٠٠ جنيه*، فأعطي مهلة زمنية تقدر بشهر إذا لم يأت العرب

ويشتروا هذه الأرض فإنه سوف يبيعها لليهود وبالفعل لم يأت أحد من العرب لشرائها.(٧٥)

وقد لجأ الغيورون على الأرض إلى اغتيال السماسرة ومن بين الذين عرفوا بكل صلابة أمام السماسرة عيسى البطل الذي شارك في تأسيس جمعية الكف الأسود في منطقة حيفا من أجل ملاحقة العملاء والسماسرة من أجل إبقاء أراضي وجبال القرية خالية من اليهود.(٧٦)

الحرب العالمية الثانية:

استأثرت الحرب العالمية الثانية على اهتمام الناس في الطيرة وكانت قلوب السكان تميل إلى المحور ليس لانهم يحبونهم أو يعتنقون أفكارهم أو يقرونها، بل لأنهم يعادون أعداءهم (عدو عدوي صديقي)، ووسط أجواء الحرب كثر في الطيرة قارئوا الصحف اليومية وغصت القهاوي بالرواد من أجل سماع أخبار الحرب من خلال المذياع الذي كان غير موجود إلا عند المختار وفي المقاهي، ومن الطرائف التي كانت تحصل في مقاهي الطيرة أنه إذا قال المذيع هنا لندن أوسعوه عند فراغه من النشرة الإخبارية شتماً ولعناً وتكذيباً، فإذا استمعوا إلى إذاعة من إذاعات دول المحور وقال المذيع هنا برلين حي العرب تهللت الوجوه بشراً ودعوا لها بالنصر.

وخلال فترة الحرب بدأت القوات تتدفق على المعسكرات البريطانية الموجودة على أرض القرية فشاهد أهالي الطيرة أقواماً وألواناً مختلفة من جنسيات شتى من الهند وفرنسا ويوغسلافيا وشرق إفريقيا وكثرت اليد العاملة الطيراوية في المعسكرات وفتحت لهم آفاق عمل جديدة.

وكان من الواضح أن بريطانيا تريد توفير الهدوء بين السكان العرب المحليين خلال الحرب رغم أنها فشلت في كسب العرب إلى جانبها في الحرب كما

Digitized by Birzeit University Library

فعلت في الحرب العالمية الأولى. وهكذا أصدرت بطاقات تموينية غذائية حيث هزل الاقتصاد المحلى وكان الهدف من البطاقات من اجل تقنين المواد الاستهلاكية مثل الطحين كما حاولت بريطانيا إغراء المجتمع الفلسطيني بالدخول في صفوف قواتها العسكرية كمتطوعين أو احتياطيين لكنها فشلت ولم يدخل من قرية الطيرة في هذا النوع من الشرطة عدا اثنين لم يمكثا طويلاً في الخدمة وعادا أدراجهما إلى بلدهما.

يقول عبد الله السلمان مختار القرية: "*جاء كولونيل اسمه جان روس وهو قائد إنجليزي وحط دبابته وعتاده في أرض مسلية، وكان معه كامب بوي / أي رتل من السيارات في تلك الليلة سرقت عجلات ٢٩ سيارة فككهن أهل الطيرة وأخذوهن، وفي الصباح جاء الكولونيل والتقى بالطريق مع ابن حمادة بكير فسأل عن مختار هذه القرية فأحضره إلى ديواني، وبعد أن جلس قال يا مختار قدمت من طبرق وجميع قادة الإنجليز أوصوني وحذروني من أهل الطيرة. وها أنا وقعت في الشباك. وضعت مساء أمس ٢٩ حارساً على السيارات التي في عهدتي داخل المعسكر، قمت في الصباح فوجت ٢٩ سيارة بدون عجلات. فقلت له: أعطني أجرة ستة حراس وإذا راح عجل بعد اليوم أنا المسئول. فوافق، فوضعت ستة من شباب البلد واخترتهم من الذين كانوا يتفننون في سرقة كامبات الجيش البريطاني، وهكذا عن طريقهم استطاع أهالي القرية اغتنام كل ما تصل إليه أيديهم من مواد غذائية وذخائر وقطع أسلحة خفيفة*" .(٧٧)

بدأت بريطانيا بتهذيب لهجتها السياسية مع العرب عشية الحرب، فقد أصدرت عفواً عاماً عن المبعدين والمعتقلين. وبواسطة هذا العفو عاد عدد من المبعدين والمعتقلين. وبواسطة هذا العفو عاد عدد من المبعدين من أهالي الطيرة عرف منهم عبد الله السلمان مختار القرية والذي قضى فترة خمسة أشهر في الشام، وحافظ نجم قبيعة والحاج يوسف أبو راشد بعد أن أمضى ما يقارب ثلاث سنوات

ونصف بعيداً عن أهله ووطنه. كما وبدأت بريطانيا برفع بعض القيود والحواجز العسكرية المفروضة على الشعب الفلسطيني وفتحت لهم أبواب العمل في المعسكرات الإنجليزية ودائرة الأشغال العامة، وبهذا تيسر لعدد من أبناء الطيرة والقرى المحيطة بها بالعمل في المرافق والمعسكرات الإنجليزية مما جعل الاقتصاد والحركة التجارية تنتعش في البلد.

وحصلت ردات فعل على تصرفات الإنجليز بحيث أخذ أهالي الطيرة يغتنمون كل ما يستطيعون اغتنامه من المعسكرات البريطانية وخصوصاً الأسلحة والآليات وقطع الغيار، وكثيراً ما كان أهالي الطيرة يقتحمون القطارات من أجل اغتنام ما فيها من الإنجليز وحصلت طرفة في إحدى هجماتهم على قطار ليلي مر بجوار الطيرة، وعند السيطرة على أحد القطارات شاهدوا أكياساً بعضها بجوار بعض فأخذوا يقذفون بها على الأرض، وعندما فرغوا من عملهم اكتشفوا أن هذه الأكياس هي عبارة عن جثث لعدد من القتلى الانجليز، وعندما اكتشف حراس القطار الأمر حضرت قوة عسكرية وأخذت الجثث. ومن أجل تخفيف التوتر واستمالة قلوب الناس صرفت الحكومة البريطانية مؤناً إلى سكان منطقة حيفا وشكلت لجنة تخمين من أجل تقدير مزروعات وإنتاج القرى، فعين عبد الله السلمان مسؤولاً عن ٢١ قرية وهي كفر لام، صرفند إجزم، الفراديس، قيسارية، بئر الفراديس، عرب النيعات، عرب الضامية، الطنطورة، عين حوض .. الخ. وتم تعين توفيق الحاج حسين في المنطقة الوسطى، وعلي سلامة في المنطقة الشرقية من منطقة قضاء حيفا. وعين في الطيرة كامل أحمد عبد السلام مسؤولاً عن إحصاء مراكز التموين في الطيرة.

ورغم أن الحرب العالمية كانت مدمرة إلا أنها كانت متنفساً للمستعربين كي يتنفسوا الصعداء من بطش الاستعمار، وهنا نجد أهالي الطيرة عشية الحرب وخلالها

Digitized by Birzeit University Library

أصبحت لهم حركة ايجابية ورفعت معنوياتهم، وقاموا بخطوات جريئة انتقاماً من الإنجليز، وروى لي عدد من أهالي القرية ومنهم مختار القرية وعبد الصمد أبو راشد عن عمليات اقتحام لمخازن الأسلحة والذخائر وسرقتها. ومن الحوادث الطريفة، التي حصلت كما رواها لي عبد الله السلمان فقال : "*قبيل الحرب كان أهالي الطيرة ينهبون الأسلحة من كامبات الجيش البريطاني ويعطونها للثوار وجاء يوم عندي الشيشكلي على البلد ومعه كتاب من الحاج أمين الحسيني وتحت إمرته ٢٠٠ رجل وكان يحاول مهاجمة كامب الحديد، لكنه لم يتمكن من ذلك. وحصل أنه كان يعمل في هذا الكامب عدد من أبناء الطيرة كمراسلين فجاءت شحنة من بنادق القناصة وكان هذا النوع من البنادق أحدث ما توصل إليه البريطانيون من صناعة. وبدأ العمال الطيراويون عملهم في المعسكر كالمعتاد وفي المساء اختبأوا في الكامب وظن حراس الكامب أنهم قد عادوا إلى بيوتهم وسكروا باب المعسكر، وفي الليل ذهبوا إلى مخزن الأسلحة وسرقوا البنادق وكان عليها نواطير وتم إخراجها من المعسكر حيث كان رجال في الداخل ورجال في الخارج خارج الشيك أو سياج المعسكر تلتقط ما يرميه إخوانهم في الداخل، وتم نهب عدد كبير من البنادق. وأبطال الطيرة الذين قاموا بهذه المهمة وأمدونا بالسلاح الذي كان عزيزاً ونادراً وصعب المنال هم: سالم أبو ليل، وحاتم السلمان، وأبو زهير، وخالد الخفشة، وفي الصباح جاء قائد المعسكر على البلد وأراد استرجاع البنادق لكننا أعلمناه أنه ليس لدينا علم بهذا الأمر. فقال قائد المعسكر: "الله أكبر والله ما استعمله الجيش الإنجليزي إلى هذا الوقت، وأنا متأكد أن أهل الطيرة استعملوهن قبله".* (٧٨)

وأخيراً نستطيع القول انه كان للحرب العالمية آثار على مدينة حيفا وقراها منها آثار اجتماعية واقتصادية حيث شهدت المدينة تدنياً في نشاطها الاقتصادي

وخصوصاً بعد إغلاق مرفئها. مما أدى إلى زيادة العمال العرب الباحثين عن فرص عمل في معسكرات الجيش البريطاني.

ومن المعروف أن حيفا قصفت من الطائرات عدة مرات وخصوصاً الميناء وأماكن تجمع المعسكرات البريطانية وحلفائها من قبل الطائرات الألمانية . وهذا القصف تسبب في تفشي الخوف عند سكانها مما جعلهم يفرون من المدينة خوفاً من أخطار القصف قاصدين القرى المحيطة بالمدينة والنائية عنها على حد سواء، فنجد أنه لجأ أكثر من ٢٥٠ نسمة من أهالي حيفا إلى طيرة حيفا لأنهم اعتبروها أكثر أماناً والأقرب إلى مسقط رأسهم.(٧٩)

ونقلت بعض المراجع عن صحيفة فلسطين في تقرير لها بأنه في شهر تموز عام ١٩٤١ رجع آلاف المواطنين من أهالي حيفا إليها بعد أن شعروا بالأمان والاستقرار، ونقل عن الصحيفة نفسها أنها أوردت أسماء الأماكن وتعداد العائدين منها إلى حيفا.

من طيرة حيفا	عاد	٢٥٠٠ نسمة
من نابلس	عاد	٢٤٠٠ نسمة
من عكا	عاد	١٧٠٠ نسمة
من عسفيا	عاد	١٥٠٠ نسمة
من شفا عمرو	عاد	١٠٠٠ نسمة
من الطنطورة	عاد	٩١٣ نسمة
من الناصرة	عاد	٦٠٠ نسمة
من الدالية	عاد	٤٦٠ نسمة
من إجزم	عاد	٤٠٠ نسمة
من طبريا	عاد	٣٠٠ نسمة

Digitized by Birzeit University Library

من بلد الشيخ عاد ٢٥٠ نسمة

من جنين عاد ٢٠٠ نسمة

هذا وبلغ عدد العائدين إلى حيفا ١٢٧٢٣ نسمة، ونجد أنه قد أثر هدوء النشاطات العسكرية والبحرية والمدنية بعد الحرب على الميناء مما أدى إلى زيادة الحركة التجارية والعمالية وإلى تنامي الاقتصاد المحلي.(٨٠)

حواشي الفصل الثاني

١) شراب، محمد محمد، معجم بلدان فلسطين، الطبعة الأولى دار المأمون للتراث والنشر ١٩٨٧، ص ٥١.

٢) Sokoloff, Michael. Adictionary of the Byzantine Period Ramat Gan, 1990. P 224.

٣) الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، ص ١٣١.

٤) الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء السابع القسم الثاني في ديار الجليل دار الهدى كفر قرع ١٩٩١. ص ٥٩.

٥) البعلبكي، منير، المورد قاموس عربي، إنجليزي، طبعة جديدة، دار القلم للملايين، بيروت ١٩٩٧١ ص ٩٥٩.

٦) المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦، ص ٤٧٧.

٧) البخيت، محمد عدنان، الحمود رجا، دفتر مفصل ناحية مرج ابن عامر ولواحقها، الجامعة الأردنية عمان ١٩٨٩، ص ١٥-١٨.

٨) المصدر السابق، ص ١٥-٢٢.

٩) د. حمودة، أحمد عبد الرحمن، قصة مدينة حيفا، مصدر سبق ذكره ص ٣٣.

١٠) مقابلة مع محمد خضر الشامي بتاريخ ١٩٨٧/١/١٥ من مواليد ١٩١٤ مخيم نور شمس.

١١) مقابلة مع غازي حجير بتاريخ ١٩٨٧/٢/٤، ٥٩ سنة مخيم عسكر.

١٢) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني في الدراسات التاريخية الطبعة الأولى، بيرزيت. ١٩٩٠ ص ٢٢-٢٦.

١٣) Encyclopedia of Arclacological Excavations In the Holy and Volom.1 P290.

Digitized by Birzeit University Library

١٤)الموسوعة الفلسطينية المجلد الثاني القسم الثاني مصدر سبق ذكره ص ٢٨ .

١٥) المصدر السابق، ص ٢٨-٣٣.

١٦) المصدر السابق ص ٢٨-٣٤.

١٧) الدباغ الجزء السابع القسم الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩٢.

١٨) المصدر السابق ص ٥٩٢.

١٩) الموسوعة الفلسطينية القسم الثاني المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ١١٤، ٢٠٥

٢٠) المصدر السابق، ص ٢٦٠-٢٧٦.

٢١) بلادنا فلسطين، ج ٧ ق٢ مصدر سبق ذكره ص ٥٩.

٢٢) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٩.

٢٣) مقابلة مع سلمان عبد العال حجير بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢٢، ٦٥ سنة، اربد .

٢٤) مقابلة مع عبد السلمان بتاريخ ٩٤/٧/٢٠، من مواليد الطيرة عام ١٩٠٥، اربد

٢٥) الموسوعة الفلسطينية القسم الثاني المجلد الثاني ، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٨-٤١٠.

٢٦) المصدر السابق ص ٤١٣.

٢٧) عودة، عبد الله أسعد، الكبابير بلدي، إصدار دار المشرق للترجمة ١٩٨٠ ص ٨.

٢٨) مقابلة مع طه قزق بتاريخ ٩٤/٧/١٦، ٧٠ سنة عمان.

٢٩) مقابلة مع عبد الصمد أبو راشد بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢١، اربد.

٣٠) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني المجلد الثاني ص ٥٤٥- ٥٤٨.

٣١) مقابلة مع عبد الله السلمان مصدر سبق ذكره.

٣٢) الموسوعة الفلسطينية القسم الثاني المجلد الثاني ص ٦٩٧- ٦٩٩.

٣٣) د. حمودة أحمد عبد الرحمن، قصة مدينة حيفا مصدر سبق ذكره، ص ٣١.

٣٤) المصدر السابق ص ٣١.

٣٥) د. البخيت محمد عدنان، الحمود، رجا. دفتر مفصل، لوزاء اللجون دفتر طابو "٨١" سنة ١٥٩٦، مطبعة الجامعة الأردنية ١٩٨٩ ص ١٠-١٦-٢١.

٣٦) كرمل، الكس، تاريخ حيفا في عهد الأتراك العثمانيين، معهد دراسات الشرق الأوسط، حيفا ١٩٨٩، ص ٧٧-٧٨.

٣٧) المصدر السابق ص ص ٨٧-٩٥.

٣٨) الكرد، محمد علي، الشام، الجزء الثالث، دمشق ١٩٥٢ ص ١٢-١٣.

٣٩) الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين الجزء السابع القسم الثاني مصدر سبق ذكره ص ٢٥٠.

٤٠) د.كرمل إلكس مصدر سبق ذكره ص ١٢١-١٣٠

٤١) المصدر السابق ص ١٣٧..

٤٢) المصدر السابق ص ١٧٠-١٧٧.

٤٣) الموسوعة الفلسطينية المجلد الثاني إلقسم الثاني ص ٨٦٧-٨٦٨.

٤٤) المصدر السابق ص ٨٦٧-٨٦٨.

٤٥) عودة، عبد الله سعد، الكبابير بلدي مصدر سبق ذكره، ص ٦١-٦٢-٧٦.

٤٦) مقابلة مع أم رياض بنت عبد القادر حجير في شباط ١٩٨٧، ٦٠ سنة مخيم الفارعة.

٤٧) مقابلة مع منوة محمود عيسى عبد القادر حجير في شباط ١٩٨٧، ٦٠سنة مخيم الفارعة.

٤٨) مقابلة مع عبد الصمد أبو راشد، مصدر سبق ذكره.

٤٩) المصدر السابق.

٥٠) عودة عبد الله الأسعد الكبابير، بلدي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٢-٦٥.

Digitized by Birzeit University Library

٥١) مقابلة مع غازي حجير ٦٢ سنة، مخيم عسكر، بتاريخ ١٩٨٧/٢/١.

٥٢) مقابلة مع منوة محمود عيسى عبد الوهاب، مصدر سبق ذكره.

٥٣) مقابلة مع عبد الله السلمان، مصدر سبق ذكره.

٥٤) الحوت، بيان نويهض وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٣٩، من أوراق أكرم زعيتر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩. ص ٢٣٠-٢٣١.

٥٥) عبد الصمد أبو راشد، مصدر سبق ذكره.

٥٦) المصدر السابق.

٥٧) الحوت، بيان نويهض، وثائق الحركة الوطنية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٤.

٥٨) مقابلة مع جمعة أحمد محمود غنام ٦٤ سنة، مخيم بلاطة ١٩٩٤/١/٢٩.

٥٩) حمودة، سميح، الوعي والثورة، الطبعة الأولى، القدس ١٩٨٥ ص ١١٧-١١٩.

٦٠) مقابلة مع غازي حجير، مصدر سبق ذكره.

٦١) عبوشي، واصف، فلسطين قبل الضياع، لندن ١٩٨٥ ص ١٥٣.

٦٢) مقابلة مع غازي حجير وآخرين من أبناء القرية.

٦٣) الحوت، بيان نويهض، وثائق الحركة الوطنية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٥.

٦٤) الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦-١٩٣٩ الرواية الرسمية الإسرائيلية، ترجمة أحمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان - بيروت ١٩٨٩ ص ٤٩.

٦٥) مقابلة مع عبد الله السلمان، مصدر سبق ذكره.

٦٦) الحوت، بيان نويهض، أوراق الحركة الوطنية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩٢، ٥٢٠، ٥٧٠.

٦٧) الثورة العربية الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩، الرواية الرسمية الإسرائيلية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٧.

٦٨) المصدر السابق ص ٢٠٨.

٦٩) المصدر السابق ص ٢٣٣.

٧٠) مقابلة مع منوة عيسى عبد الوهاب ٧٤ سنة، مصدر سبق ذكره.

٧١) مقابلة مع عبد الصمد أبو راشد وعدد من أهالي القرية.

٧٢) مقابلة مع طه قزق، مصدر سبق ذكره.

٧٣) مقابلة مع التالية أسماؤهم والذين سبق ذكرهم:

١) عبد الله السلمان.

٢) عبد الصمد أبو راشد.

٣) سلمان عبد العال.

٧٤) مقابلة مع عبد الله السلمان، مصدر سبق ذكره.

٧٥) مقابلة مع طه قزق، مصدر سبق ذكره.

٧٦) البطل، عبد الرحمن مصباح، مقال غير منشور عن تاريخ قرية الطيرة، مصدر سبق ذكره.

٧٧) مقابلة مع عبد الله السلمان، مصدر سبق ذكره.

٧٨) مقابلة مع عبد الله السلمان، المصدر السابق.

٧٩) يزبك، محمود، الهجرة العربية إلى حيفا في زمن الانتداب، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ ص ٤٠.

٨٠) المصدر السابق.

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية

الزراعة :

تعتبر قرية الطيرة من القرى الزراعية المهمة في قضاء حيفا، ويعتمد معظم سكان القرية في حياتهم على الزراعة، وكما أسلفنا في فصل سابق فإن قرية الطيرة تعتبر من أكبر ثلاث قرى في القضاء من حيث ملكيتها للأراضي الزراعية، وهذه الميزة أكسبتها أيضاً مركزاً اقتصادياً مرموقاً بين قرى القضاء.

وتتميز أراضي الطيرة التي هي جزء من السهل الساحلي، بالخصوبة، حيث تربتها الحمراء الداكنة الممزوجة بالمواد العضوية، وهذا الميزات إذا اجتمعت مع المياه تحقق أسباب نجاح الزراعة وتربية الحيوانات على حد سواء، ويعتبر أهالي القرية أرض بلدهم لجودتها كنزاً لا يفنى.

وتفيد شهادات الرواة الذين قابلتهم ومنهم (سليمان عبد العال وعبد الله السلمان) بتمييز أهل الطيرة في الزراعة من حيث الجودة والإنتاج حيث نال عدد منهم جوائز في معارض المنتوجات الزراعية التي كانت تقوم بها دائرة الزراعة في حيفا.

الحبوب :

تعتبر زراعة الحبوب الزراعة الرئيسة في القرية، فقد بلغت مساحة الأراضي المزروعة بالحبوب عام ١٩٤٥ حسب السجلات البريطانية حوالي ١٦,٢١٩ دونماً. وكان القمح يحتل مساحة كبيرة من الأراضي المخصصة لزراعة

Digitized by Birzeit University Library

الحبوب، ثم يليه الشعير، ثم الكرسنة، وحبة البركة السوداء، والحلبة، والذرة الصفراء والبيضاء التي كانت في سنين الجدب تحل محل القمح كغذاء للناس حيث كانوا يعملون منها الكراديش التي احتلت مكان رغيف الخبز السائد في نهاية العهد التركي وبداية العهد البريطاني. وعليه فإن الطيرة كانت مشهورة زراعياً منذ مئات السنين، وقد بلغت حصيلة الضرائب التي جبتها الحكومة العثمانية ووجدت في سجلاتها في دفتر مفصل ناحية مرج ابن عامر لعام ٩٤٥هـ / الموافق ١٥٣٨م التالية وهي حاصل قسم الربع.

قمح	٦٥ غرارة	بقيمة	٧٢٠٠	أقجة
شعير	٥٠ غرارة	بقيمة	٣٦٠٠	أقجة
سمسم	٥ غرارة	بقيمة	١٢٠٠	أقجة
آذرن (ذرة)	٥ غرارة	بقيمة	٢٤٠	أقجة
ينبه (القطن)	١٠٠غرارة	بقيمة	٢٠٠	أقجة

وبلغ خراج الزيتون ٢٥٠٠ أقجة

وخراج التين والخروب ٣٤٠ أقجة

وقدرت حصيلة وقف مقداره (١٢) قراطاً بقيمة ٨٦٤٠ أقجة، وهي أرض خاصة لمسجد الجوهري، كما بلغت حصة شاهي سلطاني "الأمير السلطاني" من أرضه التي كانت تبلغ ما يقارب (١٢) قيراطاً ٨٦٤٠ أقجة.

وبلغت رسوم معادية (عربة)	٧٢٠	أقجة
ورسوم المعزه	٦٠٠	أقجة
ورسوم مزارع النحل (العسل)	١٠٠	أقجة
ورسوم بادهو (زواج + طابوه + غرامات + دخان)	٧١٠	أقجة

وهكذا تكون حصة الحكومة من الرسوم ١٠٩٦٠ أقجة وحق المقاطعي ٢٠٠٠ أقجة.(١)

وإذا أجرينا عملية حسابية بسيطة فإننا نستنتج أن الحبوب المنتجة من الطيرة بالكليوغرام كانت كما يلي:-

قمح ٥٣١٧٠ كغم.

شعير ٤٠٩٠٠ كغم.

سمسم ٤٠٩٠ كغم.

ذرة ٤٠٩٠ كغم.

كما بلغت الضرائب المفروضة على المنتوجات والمحاصيل الزراعية لعام ١٥٩٦م ٢٦٠٠٠ أقجة مقسمة على النحو التالي، مع العلم أن مقدار الضريبة كان $\frac{1}{4}$ الإنتاج.

وعليه يكون :-

حنطة	١٤٠٠٠	أقجة
شعير	٥٦٠٠	أقجة
محصول صيفي	١٢٠٠	أقجة
عنب، وزيتون	١٢٠٠	أقجة
رسوم، ذرة + غرامات	٢٠٠٠	اقجة
ماعز ونحل	٢٠٠٠	أقجة

وبلغ مجموع ما تدفعه حيفا من ضرائب مبلغ ١٠,٠٠٠ أقجة، وعين حوض ٢٦٥٠ أقجة واجزم ١٢,٠٠٠ أقجة، وبناء على ما تقدم فإننا نلاحظ أن طيرة حيفا

Digitized by Birzeit University Library

قد احتلت المرتبة الأولى في مجموع ما تدفعه من ضرائب، ونستطيع القول إن طيرة حيفا كانت ذات أهمية اقتصادية مميزة في لواء اللجون.[٢]

الأشجار المثمرة :

الزيتون:

بلغت مساحة الأراضي المشجرة في الطيرة ما يقارب ٥٨٠٠ دونم أي ما يعادل (١٣٪) من المساحة الإجمالية للبلدة، ويحتل الزيتون المرتبة الأولى من بين الأشجار من حيث أهميته الزراعية، وكذلك تحتل القرية المرتبة الأولى بين قرى القضاء في زراعة الزيتون، فبلغت المساحة المزروعة بالزيتون ٤٦٠٠ دونم أي ما يعادل (٨٠٪) من مساحة الأراضي المشجرة في القرية، كما ذكر عبد الصمد أبو راشد أحد أبناء القرية. وقال نصوح الطاهر صاحب كتاب شجرة الزيتون إن المساحة المزروعة في الطيرة تزيد عن أربعة آلاف دونم.

"إن أكثر قرى حيفا إنتاجاً للزيت الطيرة، ثم شفا عمرو فاعبلين فام الزينات، فالدالية ..... ولقد اعتاد الطيراويون على قطف زيتونهم مبكراً ذلك في الأول من شهر تشرين الأول من كل سنة" .[٣]

وكانت الطيرة تعد من المواقع المهمة في زراعة الزيتون، فقد ذكرت المصادر التاريخية أن موقع القرية من أقدم المواقع الفلسطينية التي زرع الزيتون بها قديماً، ومن المعروف أن جبل الكرمل يعد مشتلاً طبيعياً لأشتال الزيتون البرية[٤] وتشكل أشجار الزيتون أقدم الأشجار وأكثرها تقديراً من قبل السكان، وتمتد بساتين الزيتون كما يصفها أحد سكان القرية (عبد الرحمن مصباح البطل) من وادي ريشة

شمالاً حتى جنوب وادي مسلية جنوباً، وثم من حدود القرية الشرقية حتى طريق يافا غرباً، وبطول يقدر بعشرة كيلومترات. [٥]

التين :

ومن الأشجار المثمرة والمهمة التي استحوذت على اهتمام الفلاح الطيراوي، شجرة التين، حيث بلغت المساحة المزروعة بهذه الشجرة (٥٪) من مجمل التين، وأصنافه وأحجام ثماره متنوعة، فمنه السوادي، والبياضي والخضاري ثم الخرطماني والسباعي ...الخ، ويعتبر التين أحد المنتوجات الصيفية، ويعدّ فاكهة ضرورية صيفاً، ويجفف قسم منه ليكون جزءاً من مخزون غذاء الشتاء ويسمى (القطين)، ويستعمل بالإضافة للأكل للعلاج وخصوصاً أمراض السعال والجفاف.

الخروب :

وهو من الأشجار المثمرة والمعمرة، ويستفاد من ثماره وأخشابه على حد سواء، وكان رُب الخروب يدخل ضمن مؤونة البيت ويخزن ويسمى الرُب دبساً، وهو غذاء مغذي خصوصاً إذا ما أضيف إليه الزيت والسمسم ويحتوي على قدر كبير من السعرات الحرارية اللازمة للجسم. وزرع الخروب في الطيرة في أرض السهل والجبل، واعتبرت تجارته مربحة وشكل مصدراً مهماً من مصادر دخل القرية في عهد الانتداب البريطاني إذ كانت كبريات الشركات الأوروبية تتنافس وتتسابق على ابتياعه من السكان، ومن أبرز هذه الشركات (شركة رويال)* حيث كانت تستعمله لصناعة الحلويات. وكان يجمع الخروب من قبل وكلاء مشتريات من أهالي القرية وحيفا ويباع إلى مندوبي شركات االحلويات، وأفاد عدد من أهالي القرية أنه كان يصدر آل قبرص ومنها إلى أوروبا. ويقول محمد أحمد سعيد أحد

* شركة بريطانية لصناعة الحلويات والسكاكر.

مكتبة جامعة بيرزيت الرئيسية
Digitized by Birzeit University Library

أبناء القرية "*ويقال أن أكوام الخروب كانت تصل أحياناً إلى أربعة أمتار في ارتفاعها وكان الخروب يوزن، بالوزنة وهي عبارة عن ستة أرطال شامية*".(٦)

نبات الصبار أو الصبر :

وهو من النباتات التي دأب على زراعتها المزارع الطيراوي، والحقيقة أنّ زراعة الصبر كانت حول الكروم والحقول وفي الأراضي الصخرية التي لا تصلح لزراعة الأشجار أو الخضروات. وثمار الصبار تؤكل كفاكهة صيفية، وكان البعض يقوم بزراعة الصبر حول البساتين والكروم كسياج طبيعي خوفاً من الدواب السائبة، وكان البعض يزرعه لرسم الحدود بين الأخوة عند اقتسام الأرض، ويعتبر من النباتات المعمرة التي تتكاثر بشكل طبيعي.

العنب والكرمة :

من الأشجار المثمرة التي زرعها الطيراويون على سفوح الكرمل، ثم امتدت زراعته في الأربعينيات في أرض السهل بجوار بير البدوية في بستان تعود ملكيته لعائلة سلوم، ومن أهم الكروم المتناثرة على سفح الكرمل التابع للطيرة كرم دار البطل الذي يقع على سفح وادي عبد الله إلى الشمال الشرقي من القرية، وكرم دار حجير الذي يقع على سفح وادي عَمْر، وكرم السهلات على متن عراق المسالمة، وأبو حمدة، ثم كرم الشيخ سلمان بين وادي الجاع ووادي العين إلى الشرق من مدرسة الطيرة الثانوية للذكور.

وكانت أراضي الكروم تضم أشجار الدراق والمشمش واللوز والفستق الحلبي. ومن الأشجار التي أغفل اسمها من الأشجار المهمة في الطيرة هي شجرة اللوز، بل إن القرية في بداية العهد العثماني نسبت إلى شجرة اللوز، فعرفت بطيرة

اللوز من كثرة أشجار اللوز المزروعة على أراضيها، إلا أن هذه الشجرة من الأشجار غير المعمرة واستعاض الناس بدلاً منها بالزيتون.(٧)

الزراعة المروية :

نستطيع القول ان الزراعة غالباً ما كانت بعلية عدا القليل من مزارع الخضروات إذا ما قورنت بالمساحة العامة لأراضي القرية، فذكرت السجلات البريطانية لعام ١٩٤٥ أن مساحة الأراضي المروية والمزروعة بالأشجار والخضروات المروية بلغت ٣,٥٤٣ دونماً.(٨) وهذه المساحة قليلة بالنسبة لمساحة أراضي القرية الكلية غير أنها مهمة عند استثمارها.

ومن أهم المزروعات التي اشتهرت بها القرية البندورة والملفوف والباذنجان والبامية والفاصولية، وكانت تسقى أغلب هذه المزروعات بواسطة حفر بئر بعمق ٢م فتخرج المياه خلال فصل الربيع وعندها يسقي الفلاح أشتاله ومزروعاته منها. واقتصرت الزراعة المروية في القرية أيام الصيف على ينابيع المياه والآبار الارتوازية، فانحصرت بجوار بير بثينة وبير البدوية اللذين كان يخرج الماء منها، بواسطة السائبة.*

ويروي سكان القرية أن عائلة أبي راشد حفرت بئراً ارتوازية لكن بريطانيا صادرته ومنعت أهالي القرية من الانتفاع بمائه عدا أنبوب قطره ٢/١ إنش لسقاية أغنامهم وزراعة بعض المزروعات والبقول اعتماداً عليه.

كما اشتهرت الطيرة بزراعة الشمام والبطيخ وخاصة البطيخ الأصفر والشمندر والجزر. ويقول عبد الله السلمان مختار القرية: "*كان فلاحو الطيرة*

* السائبة سموها في الطيرة مناته تخرج الماء بواسطة دابة مربوطة بها وتشبه الساقية الناعورة في عملها.

Digitized by Birzeit University Library

مشهورين بالزراعة رغم أن أغلب منتوجاتهم الزراعية بعلية وكنا نأخذ الجوائز في المسابقات التي تجري في المعارض الزراعية، وأذكر أنني أخذت الجائزة الأولى في إحدى المسابقات الزراعية التي أقامتها دائرة الزراعة التابعة لحكومة الانتداب، وفزت على المزارعين اليهود رغم أن الوسائل الحديثة والإمكانيات المادية والمياه كانت متوفرة عندهم وعزيزة علينا. وكنا نصدر منتوجاتنا الزراعية وإلى الأسواق المحلية مثل سوق يافا، والقدس ونابلس وعكا وحيفا، وعندما تزيد المنتوجات عن حاجة الأسواق الداخلية كنا نصدر منتوجاتنا وخصوصا البطيخ والشمام إلى سوق بيروت والشام، وكانت تتم عملية التصدير بواسطة شاحنات، وكان عدد من أبناء القرية يملكون شاحنات أذكر منهم عبد الرحمن نجم، ومحمد سعيد، وعبد الله السلمان، ويوسف الراشد، وفهد ا لمنصور".(٩)

موسم الحراثة والحصاد والقطاف :

وذكر أهالي القرية عن أهم المواسم الزراعية في الطيرة، فأفاد كل من عبد الصمد أبو راشد وعبد الله السلمان أن هناك مواسم رئيسية تأتي بالخير والبركة على الفلاح الفلسطيني بشكل عام والفلاح الطيراوي بشكل خاص، سواء أكان مالكاً للأرض أو حارثاً لها، أو عاملاً فيها.

ومن هذه المواسم: موسم الحراثة، وموسم الحصاد، وموسم القطاف.

موسم الحراثة : وهو الموسم الذي له ثلاثة مواقيت في السنة، بداية فصل الشتاء وأوسطه ونهايته. في بادئ الأمر يقوم الفلاح بتهيئة الأرض لرمي البذار وتسمى التخطيط، ثم تأتي مرحلة الحراثة على للبذار، وتأتي في الربيع عملية حراثة الأرض وتهيئتها لزراعة الخضروات والبقوليات، وكان الفلاح الطيراوي يستخدم الثيران في حراثة الأرض وقد سماها بالفدان، ثم استعان بالخيول لذات الغرض، وفي بداية الأربعينيات استعمل الجرار الآلي في حراثة الأرض، وأول من اشترى جراراً

زراعياً هو يوسف أبو راشد، وفي رواية أخرى اشترك أبو راشد مع عبد الله السلمان. حسب رواية الثاني. وللحراثة على الجرار الزراعي ميزات أهمها تجديد سطح التربة بقلب الأرض عاليها وسافلها، وخلخلة الأرض مما يجعل أشعة الشمس تقضي على الجراثيم التي تسبب الآفات الزراعية، وتجعل والمياه تنفذ إلى داخلها.

وكانت الحراثة توفر فرص عمل للعديد من أبناء القرية والقرى المجاورة مقابل أجر مدفوع. حيث كان يتقاضى عامل الحراثة (١٥) قرشاً في بداية هذا القرن، ثم (٢٥) قرشاً في ربعه الأول، لكن العامل الذي كان يعمل بيده أو ما كان يعرف بالفاعل فكان يتقاضى (٣) قروش ثم زاد إلى (٥) قروش، وفي الثلاثينيات من هذا القرن وصل أجر العامل اليومي إلى خمسة عشر قرشاً حسب ما أفاد بعض الرواة من أهل القرية.

ويروي سكان القرية أن الحراث كان يعمل طوال السنة عند مالك الأرض "كسارة واثناية وتثليث، مقابل مقدار معين من الإنتاج يساوي كيلين أو ثلاثة من الذرة أو القمح أو الشعير".

موسم الحصاد :

١. القمح :

ذكر عبد الصمد أبو راشد الراوي الرئيسي في القرية عن هذا الموسم فقال : "*في وسط شهر نيسان من كل عام يبدأ الزرع في النضوج، أما في شهر أيار فيبدأ السّبل في الامتلاء والانحناء من ثقل الحب، وهنا كان يبدأ الفلاح الطيراوي بحصد القمح الذي لا ينضج بعد أو لم يجف لعمل الفريكة، وتقوم النساء والرجال بحرق السبل في النار، وبعد أن تجف الحبوب تطحن وتخزن لمؤونة سنة بكاملها، ويأتي بعد موسم الفريكة موسم الحصاد وتبدأ حياة الفرحة والأمل مخلوطة بعرق الجبين، ويقال في*

Digitized by Birzeit University Library

(آيار أحمل منجلك وغار) أي في الثلث الأول من شهر أيار يبدأ موسم الحصاد، الذي يستمر عادة إلى أواسط تموز، وخلال فترة الحصاد التي تستمر زهاء ثلاثة أشهر ونيف حتى ينقل الحب من بيدره تكون القرية جميعها كخلية نحل، وفي نهاية الموسم ينتعش الاقتصاد ويعم الخير على الجميع، فمالك الأرض يسترد رأس ماله والربح معاً، والمستأجر للأرض يسد دينه ويأخذ حصته، والعامل يتقاضى أجره، أما الفقير الذي لا يملك أرضاً يزرعها فكان يجمع السنابل المتبقية بعد الحصاد وكانت هذه الفئة تسمى بالبعّارة".

وكان يستفاد من قش القمح قبل درسه في أمور عدة كصناعة بعض الأثاث المنزلي مثل أطباق القش أو الصواني التي كانت تستعمل إما للزينة أو لوضع الخبز عليها، أو كغطاء للجن العجين ولوضع أطباق الطعام عليها. كما كانت المرأة الطيراوية تصنع من قش القمح مراوح يدوية تسمى مهفات تشرشب بالحرير من أجل تلطيف الجو أيام الحر الشديدة، كما يصنع من قش القمح أطباق مقعرة بشكل دائري تسمى بالقبعة أو الجونة من أجل وضع بعض المواد الاستهلاكية فيها كالبيض أو الخضروات أو الحبوب، كما كان يصنع منه بعض الأثاث المنزلي كالمساند التي تشد من أجل الاستناد أو الاتكاء عليها عند الجلوس أو للنوم بدل الوسائد. بالإضافة إلى ذلك كان يصنع من قش القمح براذع البغال والحمير والجمال من أجل راحة الدابة وراكبها.

ومن أشق الأعمال وأكثرها نصباً وتعباً موسم الحصاد، ويمر بمراحل عديدة منها الحصاد بواسطة المناجل المصنوعة من الحديد أو الفولاذ ويصنعها الحداد العربي أو النّور، وللمنجل مقبض خشبي، ويستعمل المنجل لحصاد القمح والشعير ولقطف الذرة. أما باقي أنواع الحبوب وأهمها العدس والحمص وحبة البركة السوداء (القزحة) والكرسنة والفول والسمسم فكانت تقلع من جذورها عند نضجها.

بعد عملية الحصاد يترك النبات حتى يجف ثم تبدأ عملية حزم النبات بعضه مع بعض حزماً حزماً، وهذه العملية تسمى (التّغمير)، ويجب أن تتم في الصباح الباكر وفي أيام الندى فقط خوفاً من أن تتكسر السنابل فيفقد المزارع شيئاً منها.

وعند الانتهاء من عملية التغمير كانت الحزم تنقل محمولة على الدواب من جمال أو بغال أو حمير (عربات تجرها الخيول وتوضع على البيادر).

وبعد الأربعينيات من هذا القرن استعان الفلاح الطيراوي بالشاحنات لعملية النقل بدلاً من الدواب.

والبيدر هو عبارة عن ساحة كبيرة من الأراضي السهلة الصلبة تستعمل من أجل درس الحبوب عليها. وتبدأ عليه درس القمح بهرس القش وتفتيته بواسطة لوح خشبي مستطيل الشكل في أسفله ثقوب مملوءة بالحصى تجره الدواب، أو بواسطة النورج وهو أيضاً لوح خشبي مستطيل الشكل مثبت في أسفله قطع حديدية مسننة كأسنان المشط من أجل تقطيع القش، وبجوارها ثقوب بها حصى خشبية من أجل هرس السنابل وتفتيتها، وكان الفلاح في البداية يستعمل الثيران في درس القش بالإضافة إلى الخيول والبغال، ثم دخلت الآلات الميكانيكية بعد منتصف الأربعينيات لدرس الحبوب.

وبعد عملية الدرس تبدأ عملية التذرية، ويعتمد إنجاز هذه المهمة على نشاط الفلاح وعلى حركة الرياح التي تساعد على فصل الحب عن التبن.

وأدوات التذرية هي الشاعوب والمذراة، ويختلف الشاعوب عن المذراة من حيث الوظيفة والمادة المصنوع منها، فالشاعوب هو أداة لها خمسة أصابع حديديه مدببة مصنوع من الحديد، وله مقبض خشبي اسطواني الشكل يتراوح طوله ما بين ١٠٠-١٧٠سم وقطره إنش، ويستعمل من أجل تقليب القش أثناء الدرس. أما المذراة

Digitized by Birzeit University Library

فهي آلة زراعية مصنوعة من الخشب، ولها سبعة أصابع خشبية عريضة ومقبض خشبي اسطواني الشكل، قطره إنش وطوله ١٥٠سم. وتستخدم المذراة من أجل تقليب القش عندما يصبح ناعماً ولتذرية القمح عندما يكون مخلوطا بالتبن.

الكربلة والغربلة والتنقية :

الكربلة هي المرحلة قبل النهائية من موسم الحصاد، حيث يوضع القمح بعد فصله في الكربالة (وهي عبارة عن إطار خشبي وقعرها مصنوع من الجلد بها ثقوب واسعة وتستخدم من أجل فصل الحب عن القصل الذي لا يخرج من القمح لثقله بالتذرية). وبعد الكربلة تأتي الغربلة ويستخدم لهذه العملية الغربال من أجل فصل القمح عن الحصى الدقيق والأتربة المختلطة بالقمح، وبعد هذه العملية يكون القمح جاهزاً للتخزين أو للبيع والتسويق. أما ما يخزن لمؤونة البيت فتقوم النساء بتنقيته وتخليصه يدوياً من الشوائب والحصى ليكون جاهزاً للطحين. وكانت النساء يسلقن مقدار صاعين من القمح من أجل عمل البُرغل ثم يقمن بطحنه على الجاروشة اليدوية، ثم يتم تخزينه من أجل الكبة، وكان البرغل أحد مخزونات البيت الأساسية.

ويبدأ الفلاح بعد انجاز عملية الكربلة والغربلة على البيدر بتكييل غلته، وكان أهالي الطيرة قبل الانتداب يستعملون الصاع الشامي الذي يبلغ عشرة كيلوغرامات. وبعد الثلاثينيات من هذا القرن أصبح يكيل بالمكيال الوزني الإنجليزي (كلغم).

ويروي أهالي الطيرة ممن قابلتهم *"إن الغالبية العظمى من أهالي الطيرة كانوا يخرجون زكاة حصادهم على بيادرهم للفقراء والمحتاجين"*، وبعد إخراج الزكاة

يبدأ الفلاح برد الأمانات إلى أصحابها حيث كان يسد ما استقرضه من أصحابه أو جيرانه، ثم يسدد ديونه إن كان قد استدان على الموسم لتجار أو بائع البذار. حيث كان نظام المقايضة سائداً في بداية هذا القرن وحتى الأربعينيات منه. وبعد البيدر كان يسدد أجرة الحلاق، وثمن اللحمة للجزار أو السمان أو الاسكافي، حيث كانت عادة ما يمكن أن نسميه بالمقايضة، فالحلاق يحلق ويأخذ الأجرة قمحاً أو شعيراً أو ذرة ...الخ وهكذا الجزار أو السكافي، حتى التعليم في البداية كان مقابل الخبز أو البيض أو القمح.

وأول ما يقوم به الفلاح هو خزن مؤونة أسرته وما يكفيها لمدة عام، ثم يحجز كمية للبذار للعام المقبل، وكانت تخزن الحبوب في الطيرة في الخوابي. ثم يبيع ما تبقى من حبوب لتاجر الحبوب الذي يكون في الغالب من حيفا.

أما تبن القمح أو الشعير فيخزن قسم منه من أجل إطعام الدواب والباقي يباع. وتبن القمح من أجود الأعلاف وأكثرها ملاءمة للحيوانات.

الشعير :

يأتي الشعير في المرتبة الثانية من بين الحبوب بعد القمح من حيث الأهمية .. ويأتي إنتاجه أقل من القمح، ويبلغ كيل بذار الشعير خمسة وعشرين كيلاً كحد أعلى في السنوات الخصبة، أما في سنوات الجدب فيبلغ عشرة أكيال كحد أدنى. ويزرع الشعير في الطيرة من أجل الاستهلاك الحيواني سواء لحبوبه أو لتبنه، رغم أن أهالي الطيرة قد أكلوه هو والذرة البيضاء عندما لم يتوفر القمح لديهم أثناء سفربيرلك) في سنوات الجدب وأيام الحرب العالمية الأولى، وكانت تعمل منه الكراديش والطرميز، وتتم عملية زراعة الشعير وحصاده كالقمح تماماً.

أمّا الذرة البيضاء فإنها كانت تبذر بالحبة، وتزرع تخطيطاً متقاربة النوى باليد، ويختلف حصادها عن القمح، فكانت تقطف عرانيسها بواسطة سكين أو منجل،

Digitized by Birzeit University Library

ثم ينقل المنتوج إلى البيدر إذا كانت كثيرة وبعدما تجف عرانيسها تدرس لاستخراج الحب منها، وقلما كانت تزرع الذرة البيضاء في الطيرة للتجارة وإنما للاستهلاك المحلي وللحاجة. رغم أن أرض الطيرة خصبة ومناسبة لزراعتها فكان يبلغ وزن عرنوس الذرة كما أفاد أهالي القرية وقيتين بالعيار الشامي. وكان يستفاد من قصبها لرعي المواشي والدواب.

السمسم :

رغم القيمة الغذائية العالية للسمسم إلا أن زراعته كانت ثانوية في اقتصاد الطيرة، إذا ما قورن مع باقي المنتوجات السالفة الذكر. وتأتي زراعته متأخرة عن ميقات زراعة الحبوب، وموسم زراعته في أواخر فصل الشتاء، وعند نضوجه يقلع نباته قلعاً عند بداية اصفراره، ويجمع على شكل حُزم تنشر على أسطح المنازل أو في ساحات البيوت قي مكان نظيف من الحصى والأتربة حتى يجف وتتفتح أجراسه، ثم ينفض الحب منه أو يفرك باليد ثم يجمع، واستعمل الفلاح الطيراوي السمسم في أمور عدة منها مزجه بالزعتر لطعامه، ثم خلطه بالقزحة أو الحبة السوداء لشرابه بالإضافة إلى إدخاله في مكونات الحلوى البيتية كالكعك البيتي، والخبز المحلي، ويستخرج من السمسم زيت السيرج، ويدخل كذلك في صناعة الحلاوة والطحينية.

وأما العدس والحمص والقزحة والفول والحلبة فهي أيضاً من الحبوب التي كانت تزرع في أرض الطيرة ولها أهميتها الاقتصادية والغذائية، لكنها كانت تزرع من أجل الاستهلاك المحلي، والقليل القليل منها كان يزيد عن الحاجة فيباع في داخل القرية أو في حيفا. وكان يستفاد من تبنها الذي كان يسمى بالتبن الأحمر كعلف للمواشي والحيوانات، وهو أغنى أنواع التبن بالمواد الغذائية.

ونستطيع أن نعزو سر نجاح الفلاح الطيراوي إلى العوامل التالية :-

إن اتساع رقعة الأرض الزراعية جعل الفلاح يستخدم نظام الدورات الزراعية، بحيث كان ينوع في زراعة قطعة الأرض الواحدة من سنة إلى أخرى مما يساعد في زراعته وجعلها مربحة ومفيدة. فإذا زرع أرضاً ما قمحاً فإنه يزرعها في العام الذي يليه بطاطا، ثم في العام الثالث قثائيات أو قرنيات وهكذا مما يجعل الأرض غنية بمواردها الأولية. ولم يقف عند هذا الحد بل لجأ إلى تدجين البذور وعمل المشاتل والمستنبتات الزراعية حتى يتمكن من رعاية الأشتال وهي صغيرة وحفاظاً عليها من الآفات الزراعية والحشرات الضارة والأمراض وخصوصاً أشتال الباذنجان والبندورة والفلفل.

كما أدخل الفلاح الطيراوي نظام التسميد الكيماوي الذي أصبح عاملاً مهماً في زيادة الإنتاج، كما أنه يعمل على القضاء على الجراثيم والحشرات الضارة. كذلك استفاد الفلاح الطيراوي من روث أنعامه ودوابه لتسميد أرضه. مما جعل زراعته ناجحة وأكثر إنتاجاً.

النباتات البرية :

تأتي أهمية النباتات البرية في الدرجة الثانية من الناحية الاقتصادية في الطيرة، وذلك لإسهامها في توفير الأمن الغذائي وإدرار الربح المادي للفلاح بدون رأس مال ما عدا سعيه وجهده لقطافها.

فكما نعلم فإن أرض الكرمل الجبلية غنية بالنباتات الطبيعية لغزارة الأمطار وغنى تربتها. ويأتي موسم هذه النباتات في أواسط فصل الشتاء وبداية فصل الربيع، فقد استغل الفلاح هذه النباتات لتوفير مؤونته وكذلك الاستفادة من ثمنها، فكان قسم

Digitized by Birzeit University Library

من أهالي الطيرة يغدون صباحاً على أرض الجبل ويعودون ظهراً أو مساءً محملين بأنواع كثيرة من هذه النباتات البرية.

ولم تكن لهذه النباتات قيمة غذائية فحسب، بل كان لها أيضاً قيمة دوائية، ولا ننسى أن صيدلية الطب الشعبي ومحلات العطارة مملوءة بهذه النباتات التي لا يمكن تجاهل قيمتها، ومن أهمها البابونج والميرمية والكزبرة والهواء الجواني، كما أن أزهارها دخلت في صناعة العطور والأدوية الكيماوية.

وسنعرض أسماء هذه النباتات وأماكن تكاثرها ووجودها، فنجد أن اللسينه ولسان الجدي والشومر تكثر في وادي فلاح ومسكربابه ووشاح.

ونبات الفطر (عش الغراب) ينبت تحت أشجار الصنوبر المنتشرة فوق الكرمل وفي أرض السهل. أما العكوب الذي هو أكثر النباتات شعبية وله قيمة غذائية وأسعاره عالية فينتشر في السهل الجنوبي وحول بير البدوية، وتنبت غرب البلدة نباتات السلق والحميض واللوف والحصيدة والقرصعنه التي كانت تدخل في محتويات السلطة. أم الخبيزة والعلك أو العلق فكانت تنبت في السهل على أطراف بيادر القرية، وفي السهل.

وأشهر النباتات الورقية وأكثرها رواجاً في الأسواق واستعمالاً في الغذاء الصيفي والشتوي نبتة الزعتر التي تكثر وتنتشر على سفوح الكرمل، والتي دخلت في الصناعات الغذائية اليدوية منذ القدم. كما دخلت هذه النبتة ونبتة مشابهة لها تسمى بالزعتر الفارسي في الطب الشعبي، ولأهمية نبات الزعتر فقد عمل المزارعون على تدجينه وزراعته في ساحات منازلهم وأرضهم، وأصبح حديثاً في المشاتل التجارية والمستنبتات، وبعد الثمانينيات من هذا القرن، أخذ يحتل مساحة من الأراضي الزراعية، ويزرع بكميات تجارية.(١٠)

الثروة الحيوانية :

تعد الثروة الحيوانية في الطيرة الركيزة الثانية لاقتصاد القرية وتقسم الثروة الحيوانية إلى قسمين : المواشي والدواب.

يقول عبد الرحمن مصباح البطل أحد سكان القرية: *امتلكت القرية ثروة حيوانية متنوعة وعديدة من الأبقار الحلوب والأغنام والماعز مما كان يوفر إنتاجاً كبيراً من الحليب ومشتقاته من اللبن والزبدة والسمن البلدي والجبن، وكذلك كان يستفاد من لحوم صغارها التي كانت تباع في سوق الحلال بحيفا" ومن المعروف أن أرض الكرمل الجبلية غنية بمراعيها الطبيعية، لكنها وعرة، فكثرت الماعز عند أهل الطيرة وفضلت على الضأن. ومن الجدير ذكره أن الكثير ممن يملكون المواشي كان معظمهم يقطن خارج بيوتهم مع مواشيهم وخاصة الرجال منهم يستخدمون المغائر الجبلية مأوى لأغنامهم ليلاً وسفوح الكرمل مرعى نهاراً . وأشهر المغائر في أكناف الطيرة وأهمها مغارة البقرات الواقعة على سفح جبل المرقصة شرقي القرية، كذلك مغارة عراق الشيخ سليمان الواقعة شرقي مدرسة الطيرة الثانوية، ومغارة عراق المسالمة لأبي حمدة الواقعة على طرف وادي العين، ووادي عبد الله شمال القرية، وكانت الماشية كل صباح أو مساء تحلب ويرسل حليبها إلى القرية لأصحابها من أجل تصنيعه حسب الحاجة أو الطلب. ومن كان يملك قطيعاً كبيراً من الأغنام، أو كان وضعه الاقتصادي جيداً فيستأجر رعاة يقومون على رعي أغنامه"* .

وحريّ بنا أن نذكر أن أهالي الطيرة يميلون إلى امتلاك الماعز أكثر من الضأن وذلك لوعورة أرض الجبل حتى أن الرعاة كانوا يعلقون في رقاب بعض الماعز أجراساً حتى إذا توارت بين الأشجار أو النباتات البرية يهتدي إليها الراعي

Digitized by Birzeit University Library

عندما يود أن يرجع من مرعاه، وكان الراعي يستعين بكلب وعصى وخنجر وركوبه ويحمل نايه أو أرغوله، كي يسلي به نفسه ويطرب غنمه.

ويقول عبد الصمد أحد سكان القرية : *أما الأبقار فكان يقوم برعايتها اثنان من الرعاة مقابل أجر يتفق عليها ثم تقسم إلى قطيعين يسيران في اتجاهين مختلفين".*

وللدواجن أهمية كبيرة عند أهالي القرية، حيث كانوا يحصلون على حاجتهم من اللحوم البيضاء والبيض منها، فكل أسرة عندها ما يكفيها من دجاج وحمام وبط ووز أو حبش، وما يزيد عن حاجتها يباع في أسواق حيفا ويعود بالمنفعة المادية على أصحابه.

أما باقي أنواع الدواب سواء أكانت خيولاً أو ثيراناً أو بغالاً أو حميراً فكان يستفاد منها لحراثة الأرض، ونقل المنتوجات الزراعية، والركوب إلى الأرض، وحتى إلى السفر إلى المناطق النائية، وخصوصاً الخيول والبغال، كيف لا وهي وسيلة النقل الوحيدة وخاصة قبل الثلاثينيات من هذا القرن.

ودجن بعض أهالي الطيرة النحل حتى يستفاد من شرابه للغذاء والدواء معاً، ولكن تربية النحل في الطيرة للاستهلاك المحلي فقط، والذي يفيض عن الحاجة يسوق داخل القرية. وكان البعض يجني العسل من البر عندما يجد خلية نحل ضالة.

تصنيع الإنتاج الزراعي في القرية:

دأب أهالي الطيرة قبيل الثلاثينيات من هذا القرن على تصنيع منتوجاتهم الزراعية بالطرق اليدوية التقليدية سواء أكانت نباتية أو حيوانية فتقول أم محمد حرم أحمد الزير: *كان يستخرج زيت الزيتون عن طريق هرس الزيتون بحجر أسطواني يسمى بالمدرس، وبعد عملية الهرس يوضع الحب المهروس أو ما يسمى بالدريس*

في ماء ساخن وهنا يطفو هذا الزيت إلى أعلى ويؤخذ من سطح الوعاء بواسطة اليد ويسمى هذا الزيت بزيت الطفاح. وبهذا الطريقة يفقد المزارع كمية لا بأس بها من الزيت علاوة على أنها بطيئة ومتعبة، والطريقة التي ابتكرها الإنسان والأكثر نجاعة هي معصرة البد، حيث يدرس الزيتون بواسطة حجر دائري كبير تجره الخيول أو الثيران بشكل دائري يدرس حب الزيتون وبعد هرس الحب يوضع الدريس في أوعية مصنوعة من الليف تسمى القفف، توضع القفاف بعضها فوق بعض ثم توضع فوقها خشبة كبيرة وثقيلة وتشد بواسطة حبل من أعلى إلى أسفل من أجل زيادة الضغط فيخرج الزيت والشوائب وتسير في قناة إلى بئر فيها ماء، وهنا يطفو الزيت فوق الماء ويستخرج بواسطة إناء وبعد الأربعينيات دخلت المعاصر الميكانيكية إلى القرية مما جعل عملية درس الزيتون أكثر نجاعة وسرعة وبلغ تعداد المعاصر الميكانيكية أربع معاصر. وهي معصرة الحلبي، وأبو شقرة، وهي مكونة من معصرة ومطحنة حبوب، ثم معصرة الحلبي وهي أيضاً مكونة من مطحنة ومعصرة زيتون، ومعصرة توفيق الزبن، ثم معصرة حمادة علوة باكير".[١١]

وقد أدى استعمال المعاصر الميكانيكية الحديثة إلى زيادة الإنتاج وتحسين النوع حيث أدخلت الفرازة الحديثة التي تعمل على استخراج الزيت النقي بعد فصله عن الشوائب ثم تقلل من نسبة حموضة الزيت.

وحدثني عبد الله السلمان أحد سكان القرية قائلاً: *"لقد كان الفلاحون يأتون من قرى حول الطيرة ومن أماكن بعيدة لعصر الزيتون في معاصر القرية، وأذكر أن أناساً من قرية دير الغصون* جاءوا لهذا الغرض في الأربعينيات، وكان يخزن الزيت في أوعية فخارية صنعت خصيصاً لذلك تسمى الجرار، ومن ميزات الفخار أنه يحافظ على جودة الزيت وصلاحية استعماله لمدة طويلة. وكانت نساء القرية

* قرية دير الغصون ٨كم إلى الشمال الشرقي من مدينة طولكرم.

Digitized by Birzeit University Library

يصنعن من الزيت غير النقي المخلوط بالشوائب الصابون البيتي. ومن الجدير ذكره أن تربة ساحل الطيرة كانت مناسبة لصناعة الفخار".

صناعة الملح :

بدأ بعض أهالي الطيرة يصنعون الملح ويستخرجونه من مياه البحر منذ العهد العثماني وبقيت هذه الصناعة متوارثة حتى في القرن العشرين، والطريقة التي عمل بها الطيراويون هي الطريقة التقليدية ولم تتطور هذه الطريقة بل تراجعت بعض الشئ، يقول عبد الرحمن البطل أحد سكان القرية: *"أما الملح فكان يستخرج من مياه البحر عن طريق تعبئة البرك في التلال الساحلية بماء البحر، تاركين لحرارة الشمس مهمة تبخير المياه لتبقى الأملاح المترسبة"* وبعد جفاف البرك وخصوصاً في فصل الصيف تجمع الأملاح التي أصبحت بلورات على شكل حبيبات، وتباع وتستعمل للاستهلاك المحلي، لكن صناعة الملح كانت تواجه مشاكل أهمها أن الكميات المنتجة كانت غير مجدية اقتصادياً، وكانت تواجه مشكلة فصل الحبيبات الملحية عن الشوائب مشكلة المشاكل وكان يصعب التغلب عليها.

الصيد البري والبحري :

يقول عبد الصمد أبو راشد: *"اقتصر الصيد في الطيرة على الحيوانات الصغيرة والطيور، وعمل به عدد ضئيل من الهواة حيث كانوا يمارسون هواياتهم أيام العطل الرسمية وأوقات الفراغ. ومن الحيوانات التي كانت تصاد عن طريق تسديد السهام عليها الأرانب البرية والغزلان التي كانت قليلة الوجود، أما الطيور المستهدفة دائماً فهي: الحمام والقطا والحمام الرقطي والدرج والحجل والشنار والشرقرق ونقار الخشب (أبو النقر) والزريقي والفري والدوار والنورس الأسود وبعض الخطاطيف الكبيرة وحوام الخميس. ولأطفال الطيرة في صيد الطيور بشكل*

عام والعصافير بشكل خاص موسم خاص، وكانوا يقومون بصيد العصافير على بيادر القرية والبساتين المحيطة بها، وقد كانت أدوات الصيد لديهم متعددة منها: الفخاخ والملاطيش والشبكة والغرابيل والدبق الأخضر. ومن العصافير التي كانت تعيش في بساتين القرية: الدوري والشحيتي والسمان والبرقي وأبو الحناء والحمري أو الطيون لحمرة ريشة، وكانوا يصطادون بعض الطيور المغردة من أجل الاستمتاع بأصواتها مثل الشحرور والبلبل والعندليب والقمري وعروس التركماني لجمالها الفريد ولعذوبة صوتها، ومن الطيور المهاجرة الزرزور والسنون والحسون تأتي إلى القرية في فصل الخريف. وهناك طيور كانت تصاد لا من أجل الاستفادة من لحومها ولكن رغبة في التخلص منها لضررها أو لأنهم كانوا يتشاءمون منها مثل: الغراب والبوم والنسر الفلسطيني والحودة والعقاب، لأنها كانت تسطو على دواجن أهل القرية فتأكل ما تقع عليه، وتتغذى أحياناً على دواجن أهالي القرية".

أما الصيد البحري في الطيرة فكان قليل الأهمية، وقد أهمل من الناحية الاقتصادية، رغم محاذاة حدود القرية لشاطئ البحر، واقتصر صيد السمك على الهواة فقط ممن يصطادون بواسطة الستارة أو الشباك الصغيرة وكان البعض يلجأ إلى طرق غير صحية في صيد السمك بل ضارة، فيروي عبد الصمد أبو راشد أحد أبناء القرية أنه شاهد بام عينه أناساً يفجرون أصابع الديناميت على شاطئ البحر من أجل الحصول على السمك وقتل أحد رجال القرية وهو طاهر درباس حيث كان يصطاد السمك بهذه الطريقة عندما أخطأ برمي أصابع الديناميت فانفجرت بين يديه، مما أدى إلى إصابته بجروح بالغة فارق الحياة على أثرها قبل وصوله إلى المستشفى، ونستطيع القول إن من لم يجد له عملاً قد عمل في صيد وبيع السمك وبيعه في (المنزول) سوق القرية الرئيسي، وهناك عائلات طيراوية رحلت وسكنت بجوار ميناء الطنطورة وعتليت من أجل العمل في سوق السمك.

Digitized by Birzeit University Library

العمل والعمال :

لقد لجأ عدد كبير من أبناء الطيرة إلى العمل الوظيفي بعد منتصف الثلاثينيات أو العمل بما يسمونه بالفاعل مقابل أجرة يومية أو شهرية وذلك بعد ما ضرب سوق العمل في الزراعة وأصبح غير مجد من الناحية الاقتصادية. حيث قامت بريطانيا بفرض الضرائب الباهظة على المنتوجات الزراعية، وبرزت ظاهرة الهجرة الداخلية إلى سوق العمل الذي توفر في حيفا أكثر من غيرها عشية الحرب العالمية الثانية، مما أدى إلى هجرة عائلات بأكملها من الطيرة إلى حيفا قدرت بخمس وثمانين عائلة، عمل أغلبهم في مينائها ومعسكرات الجيش التي كانت تقع بين حيفا والطيرة، ثم في شركة نيشر للإسمنت ومصفاة النفط وشركة التبغ ومصلحة سكة الحديد. وشجعت الحكومة البريطانية هذه الخطوة، كما ساهمت الصحف بنشر تقارير عن التطور المتسارع لمدينة حيفا واحتياجاتها للأيدي العاملة حتى إنها استقطبت عدداً كبيراً من أبناء القرى المجاورة لها، بل أبناء المدن والقرى من أقضية أخرى. وبلغ عدد العمال من أهالي الطيرة المسجلين في دار البلدية رسمياً (١١٧) عاملاً موزعين على أغلب المرافق الاقتصادية، عدا عن العائلات السالفة الذكر.[١٢]

ويروي بعض سكان القرية أن عدداً من أهالي القرية كان يعمل في معسكرات الجيش البريطاني المنتشرة حول القرية وعلى أراضيها يعودون يومياً إلى بيوتهم.

وكان البعض الآخر يذهب للعمل يومياً إلى حيفا ثم يعود إلى القرية وأضاف البعض الآخر ممن قابلتهم أن الطيرة استقطبت العديد من طالبي العمل والأيدي العاملة في الزراعة ومعسكرات الجيش وقد سكنوا فيها.

ومنذ البداية تحفظ الطيراويون على الانخراط في سلك الوظيفة الحكومي كالعمل في البوليس أو الإضافي، والذين انخرطوا في هذا المجال لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة، وسرعان ما قدموا استقالاتهم. وبلغ عدد العمال في الطيرة سنة ١٩٤٨ أكثر من ثلاثة آلاف عامل، كان اكثر من نصفهم من الأيدي العاملة الوافدة.

وجدير بالذكر أن هناك ظلماً كان يلحق بالعامل العربي حيث مُيّز العامل والموظف اليهودي لدى السلطات البريطانية عن العامل العربي سواء أكان التمييز في الأجر المضاعف للعامل اليهودي، أو في الدرجة والرتبة مما حدا بالعمال العرب إلى الالتفاف بعضهم حول بعض، وأول من بدأ بهذه الخطوة عمال سكة الحديد، وتطورت الفكرة إلى إنشاء نقابة للعمال العرب، وتم ذلك بالفعل عام ١٩٢٥، حيث نالت تصريحاً من حكومة الانتداب، وكان أول المبادرين إلى ذلك عبد الحميد حيمور وسامي طه، وجعلوا مركزها حيفا، ونشطت هذه الجمعية حتى وصل المنتسبون إليها مئة وعشرين ألف عامل حتى ١٩٤٨. ويروي عبد الله السلمان أن عدداً من أبناء القرية قد انتسبوا إلى هذه الجمعية. وفي أحد مؤتمراتها العامة نودي بفكرة عمل نقابي عربي يهودي موحد، وجرت محاولات لتحويلها إلى حزب اشتراكي يساري مما أدى إلى انشقاق داخل صفوفها، وحدثت فتنة داخل هذه الجمعية العمالية، وأفاد عدد ممن قابلتهم أن أهل الطيرة بل العمال الطيارنة لم يشاركوا في هذه الفتنة والتزموا الحياد والترقب، وهي الفتنة التي أدت إلى اغتيال سامي طه في أيلول سنة ١٩٤٧.

ويقول أحد سكان القرية رفض الكشف عن اسمه: *لقد تم قتل عدد من أبناء هذا الشعب عن طريق الفتنة التي حصلت في حيفا، وكان أظلم اغتيال سمعت به وعاصرته هو اغتيال سامي طه رئيس جمعية العمال العرب، الذي اغتيل ظلماً،*

Digitized by Birzeit University Library

ولكن حصلت له جنازة مهيبة شاركت فيها جميع المؤسسات والفعاليات الشعبية من جميع أنحاء فلسطين".

التجارة العامة والحرف اليدوية :

انتعشت التجارة العامة في الطيرة انتعاشاً ملموساً إذا ما قورنت ببعض القرى المجاورة، وتم ذلك بعد تطور طرق ووسائل المواصلات ما بين الطيرة وحيفا، فلا نجد سوقاً في قضاء حيفا أكبر من سوق الطيرة، حيث تضاربت روايات أهل القرية ممن قابلتهم في حصر عدد حوانيتها لكثرتها، فقيل إنها تجاوزت أربعين حانوتاً، وروى آخر بأنها تجاوزت المئة، وكانت غالبية الحوانيت تعمل في البقالة العامة أو السمانة.

ويقول كل من عبد الله السلمان وعبد الصمد أبو راشد بهذا الصدد : *"لقد دأب أهالي الطيرة على تصدير منتوجاتهم الزراعية والصناعية إلى سوق حيفا، الذي يغص بالباعة الطيراويين، ومن أهمها المنتوجات الحيوانية من لبن وجبن وسمن، أما التجارة الخارجية التي لم تكن تتعدى مواسم محددة في السنة مثل تجارة الزيت أو الحبوب أو البطيخ والشمام، والتي تجاوزت أسواق حيفا. حيث وصل فيها بعض التجار والفلاحين الكبار إلى أسواق القدس ويافا ونابلس والناصرة وبيروت والشام. ونستطيع القول انه لم ترج تجارة كتجارة الزيت والزيتون والخروب على مستوى الأسواق الخارجية، فالزيت والزيتون الأخضر كانا يستهلكان في الأسواق العربية والداخلية، أما الخروب فقد صدر بكميات تجارية إلى الأسواق الأوروبية عن طريق الشركات العالمية، التي أوجدت لها مندوبين في حيفا والطيرة من أجل جمع محصول الخروب وتصديره إلى شركات الحلويات والسكاكر التي عرف أشهرها شركة رويال".*

واشتهر من التجار الذين عملوا في التجارة العامة في الأسواق وكانت لهم محلات تجارية أولاد رشيد أبو غيدا، وتوفيق أبو غيدا، وقسم من عائلة قزق.

ولم نستطع حصر من عمل بالتجارة في الطيرة ولكنا استطعنا أن نجمع بعض أصحاب الدكاكين وأعرف ممن وردتنا أسماؤهم من أصحاب الدكاكين: راشد الفهد، ومحمد أبو ليل، ومحمد عويس، ومحمد إدريس، وسعيد إدريس، ورجا البحيري، وأبو الهيجاء، ويوسف الجربوع، وكامل عبد السلام، ومحمد البهلول، وعيسى راشد، وتيسير عبد الله غنام، ومحمد سلوم، وعبد الله العثمان وهو موزع الكاز في البلد، ومصباح الجربوع، والشيخ أحمد غنام، ومحمد غنام، وسليم عبد السلام، وراجح الفهد، ورمضان أبو راشد، ومحمد باكير، ونمر الرباني، ومحمد الفهد العباسي، ويوسف الراشد، ونمر الراشد، والحاج سلمان الفار، ومحمد سعيد عليوة. وتقول الحاجة منوة عبد الوهاب : "لقد كانت وكالة لتوزيع الدخان "التبغ" تعود ملكيتها لنمر الزعيتر.

أما أصحاب الحرف الذين تم حصرهم[١٣] فهم على النحو التالي :

الحلاقون : محمد باكير، ومحمد عويس، ورشيد الكنوش، وصالح الزيناتي، ورمزي الزيناتي، وهاشم عبد الناجي، والعبد الدعيبس، ومحمد العبد المحمود أبو بكر، وهاني الدرباس.

القصابون : محمد أبو هلال، ومصباح الجربوع من دار علوة، وحسن البعبع، ونمر الحاج أحمد، وأبو حسان، ومحمد إدريس، ومحمد أبو ليل وكان يعمل في المحاجر وزخرفة الحجر، حافظ النجم ثم عدد من أبناء عائلة عمورة، وسمي أهالي الطيرة المحاجر بالمقالع وأكثر حجارتها صالحة للبناء، وتعد من أغنى المحاجر في وادي عبد الله ووادي فلاح.

Digitized by Birzeit University Library

تجارة القماش : كانت تضاف إلى تجارة السمانة حيث كان يخصص قسم من الدكانة لبيع الأقمشة. وعرف بائعو الأقمشة : نمر أبو راشد، وأحمد أبو طيون ومحمد سلوم.

تجارة الفحم : اختص عدد من أبناء القرية في صناعة الفحم، وراجت تجارته وذلك لوفرة الأشجار الحرجية في جبل الكرمل، وعرف ممن عملوا في هذا الحقل : عبد القادر حجير، وأحمد حجير، ومحمد علي الباش، وذيب حجير، وعبد العال حجير، وناصر الشني، وكامل الشل، وموسى الفهد، وأحمد كامل باكير، ورشيد دعاس. كما اشتهر في صناعة الحلويات محمد الزغل، كما وجد في القرية عدد من صانعي الأحذية عرف منهم : عبد الرحمن صالح غنام، وزكي العبويني.
أما من عمل في الحراثة فعرف منهم: راشد محمد اسماعيل عمورة، ويونس الخراب، ومزيد الرتيب، وأولاد حسن الصروة.

أصحاب المقاهي : ساجع تيم، ورضوان الزعطوط مقابل المسجد، وقهوة غنام، وقهوة ومتنزه حسن الشمسي، وقهوة دار شعويطة، وقهوة العبد المحمود، وقهوة دار محبوب، وقهوة المصادرة، وقهوة أبو حمودة، وكان الناس يرتادون هذه المقاهي من أجل التسلية وفي أوقات الفراغ، ولسماع الراديو الذي كان نادر الوجود إلا في بعض المقاهي، وكان البعض منهم يقوم بلعب طاولة النرد أو المنقلة، وتقدم القهوة والمشروبات الساخنة في المقاهي بالإضافة إلى الأراجيل.(١٢)

أما تجارة الشيد أو الكلس : وسماه البعض بالأطون، وكانت هذه المادة تستعمل في البناء بدلاً من الإسمنت، ونمت تجارته وأصبحت على مستوى تجاري جيد، وكثرت معامل الشيد في وادي فلاح ووادي مسلية. وكانت تتم صناعته بالشكل التالي كما يروي غازي حجير أحد أبناء القرية: "كان الناس يجمعون الحجارة ويحفرون حفرة كبيرة في الأرض، ثم يضعون الحجارة الصغيرة الكلسية داخل الحفرة ويبنون حولها

بناء يرتفع متراً ونصف، ويضعون الطين ويجعلون في أعلى الحفرة فتحة من أجل الوقود ثم يجمعون الحطب والنتش والأخشاب ثم يبدأون بوضع الأخشاب والحطب داخل الفتحة فوق الحجارة، ويشعلون النار وتستمر عمليه إشعال النار مدة تزيد عن أربعة أيام بلياليها، وبعدها تتصهر الحجارة وتتحول إلى جير ومنه يخرج الجير الحر والجير المطفي بالماء، ثم يسوق بعدما يبرد ويصبح جاهزاً للبناء وتبييض البيوت.

كذلك صناعة الفحم، حيث كانت لها أهمية اقتصادية وخصوصاً أيام الشتاء، حيث كان يستعمل للتدفئة، ووقوداً للأراجيل صيفاً وشتاء. وبالإضافة إلى ذلك انتشرت الأفران العامة في البلاد حيث بلغ عددها أكثر من ثلاثة أفران، حيث كانت النساء تخبز فيها، كذلك كان يباع الخبز للغرباء من هذه الأفران.

أما صناعة الفخار التي وجدت منذ زمن بعيد على شاطئ الطيرة حيث تتوفر المواد الأولية لصناعة الفخار سواء أكان رملاً أو جيراً أو تربة، إلا أن صناعته بالطرق البدائية اليدوية لم تكن مربحة كثيراً.

واشتهر عدد من أهالي الطيرة في البناء القديم، وخصوصاً أن معظم أبنية القرية من الحجر المنتظم بأنواعه، وعمل من أهالي الطيرة بالسمكرة بعد ظهور البريموس بعد الثلاثينيات، وكذلك عمل أباريق القصدير أو التنك ثم وجد الحلاسون والمنجدون كذلك الحدادون وخاصة الحدادة العربية ومعظم من كان يعمل في الحدادة من (النور) الذين كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر وأحياناً كانوا يستقرون في أطرف القرية يصنعون الفؤوس والمناجل والمحاريث الحديدية، وكانت عائلة أبو ما يها تقوم بهذا العمل، أما النجارون فقد انتشروا بكثرة في الطيرة وذلك لتلبية حاجة القرية من النجارة اليدوية في ذلك الوقت واشتهر منهم: حسن العيسى، ونمر

Digitized by Birzeit University Library

الصفدي، وفرعون العبويني، ومحمود عبد الحليم، وهاشم الغزاوي، وأحمد علي باكير، وفهد علي باكير وقد تحول بعضهم للعمل إلى حيفا في نفس مهنته.

وسائل النقل والمواصلات :

اعتمد الإنسان أول ما بدأ حياته في التنقل على نفسه ثم بدأ يدجن الحيوانات ويسخرها لتنقله وترحاله. وأفاد عدد من أهالي الطيرة أنهم استخدموا الدواب لترحالهم وتجوالهم وسفرهم وتجارتهم ونقل متاعهم ومنتوجاتهم، وكانت أسفارهم إلى خارج قريتهم والذهاب إلى أعمالهم ومزارعهم تتم بواسطة الدواب، حتى في القرن المنصرم، كان الذهاب للحج إلى بلاد الحجاز يتم بواسطة الدواب، وخصوصاً الجمال، وفي بداية هذا القرن كان السواد الأعظم من أهالي القرية والقرى المجاورة لها يستخدم الدواب كوسيلة متوفرة له لقضاء احتياجاته اليومية. وتطور الوضع عندهم فأصلحوا الطرق وأزالوا العوائق والحجارة الكبيرة منها، وأخذوا يستخدمون العربات التي تجرها الخيول والبغال، واعتمدوا على الجمال لنقل محاصيلهم الزراعية من الحبوب، وعلى البغال والحمير لنقل وتسويق الخضار. كما استخدم بعضهم القوارب الشراعية الصغيرة أو ما يسمونه بالشخطورة للترحال والسفر إلى القرى الساحلية، لكن هذه العادة انقطعت لعدم وجود ميناء في الطيرة.

وظهرت أول وسيلة نقل ميكانيكية خدمت سكان القرية في أواخر العهد العثماني عندما مر خط سكة الحديد بجوار القرية وأقيمت محطة للقطار على أراضيها حيث كان يصل هذا الخط ما بين مصدر الشام مروراً بالأراضي الفلسطينية، وقد بدأ العمل به عن طريق درعا عام ١٨٩٢ وانجز عام ١٩٠٥.(١٤)

إن ربط حيفا مع عدد من المدن الفلسطينية بخطوط السكك الحديدية العامة سهل على أهالي الطيرة التنقل بين المدن الفلسطينية الكبيرة، مما وفر عليهم الجهد والوقت. ومن هذه الخطوط :-

١- خط القدس اللد مروراً بالرملة والخضيرة وعتليت ثم الطيرة وحيفا.

٢- خط حيفا سمخ مروراً بالعفولة بيسان جسر المجامع ثم الأراضي السورية.(١٥)

كان لموقع الطيرة بمحاذاة الطريق الساحلي الذي يربط حيفا بيافا أهمية كبيرة حيث سهل ربط القرية بطريق فرعي يصل مداه إلى (٢) كم بالطريق الرئيسي، مما شجع أهالي القرية منذ أواسط الثلاثينيات إلى اقتناء وسائل المواصلات الحديثة كالشاحنات، ثم تلتها حافلات الركاب والسيارات الصغيرة. ويقول عبد الرحمن مصباح البطل أحد أبناء القرية : *"رفضت بريطانيا في البداية ربط القرية بطريق مسفلت يصل القرية بالطريق الرئيسي فقام سكان القرية بإنشاء الطريق وشقه ورصفه على نفقتهم الخاصة وبمواصفات عالمية".*(١٦)

ويروي سكان القرية أنهم شاهدوا خلال الحرب العالمية الأولى أول سيارة قدمت إلى بير بثينة غرب البلدة فتجمهر عليها الناس بحذر وقالوا: عربة تسير بدون خيول. لكن الحلم أصبح حقيقة ففي مطلع الثلاثينيات كانت القرية في مقدمة القرى الفلسطينية التي استخدمت الشاحنات الآلية وكان أول من أدخلها إلى القرية أحمد كامل الناجي ويوسف الراشد ثم عبد الله السلمان وعلي محمد سعيد وعبد الرحمن نجم وفهد المنصور. وبلغ تعدادها حتى عام ١٩٤٨ ثماني شاحنات. ونستطيع القول إن الطيرة من أوائل القرى الفلسطينية التي امتلكت حافلتين للركاب عام ١٩٣٨ حيث تأسست "شركة باصات الطيرة" رقم (٩) التي تعود ملكيتها إلى حسن الزهرة وحسن العبد وكامل عمورة ونمر الزعيتر ويوسف الراشد وأحمد محمد أبو عنيدة، وانضم إلى الشركة عبد الله السلمان، وسرعان ما نمت هذه الشركة واتسع نشاطها حتى

Digitized by Birzeit University Library

غدت من أكبر الشركات العربية الفلسطينية، وأصبحت تملك إحدى عشرة حافلة تعمل ما بين حيفا والطيرة، وكان لها طموحات وأماني في التوسع في النقل البري بين فلسطين والأقطار العربية الشقيقة. لكن حرب ٤٨ حالت دون ذلك. كما امتلك اثنان من أهالي الطيرة سيارتين صغيرتين للأجرة تعملان ما بين الطيرة وحيفا، وهما راغب الدرباس وموسى الفرعوني، وسرعان ما تأسست "شركة تكسيات المستقبل" والتي كانت تضم عدداً من السيارات الصغيرة للنقل العام .(١٧)

إن تقدم وسائل المواصلات في القرية أسهم في تطور القرية تطوراً إيجابياً على المستوى الاقتصادي والثقافي. كما أدى إلى توسيع مسطح القرية وامتداد أبنيتها بمحاذاة الشارع الرئيسي، وإنشاء سوق كبير يسمى المنزول. وساهمت وسائل المواصلات في تنشيط الحركة التعليمية في القرية، حيث سهلت وصول المدرسين إلى القرية، وذهاب الطلبة لاستكمال تعليمهم في حيفا. كما أن توفر وسائل المواصلات ساعد أهل القرية في نقل منتوجاتهم الزراعية والحيوانية بالسرعة الفائقة إلى أسواق حيفا والمدن الفلسطينية الأخرى دون عناءٍ أو تعب.

وأخيراً فقد أسهم انتعاش حركة المواصلات العامة في الحد من هجرة الشباب من الطيرة إلى حيفا وأخص بالذكر من عملوا في المرافق الاقتصادية العامة في المدينة حيث أصبحوا يذهبون صباحاً ويعودون مساءً في الحافلات إلى القرية، مما حافظ على التوازن الديمغرافي في القرية والحد من هجرة الشباب. كما أن سهولة المواصلات إلى حيفا تمس سُبل اتصال المجتمع الريفي بالمجتمع المدني مما أدى إلى اكتساب الدول عادات وتقاليد جديدة، وهذا التطور أدى إلى الانفتاح على العالم الخارجي، مما زاد من وعي المجتمع الفردي بتعلمه واستيعابه للتطورات الحضارية والعلمية الحديثة. وعلى المستوى الاجتماعي فقد أدت سهولة المواصلات إلى حيفا إلى توثيق الصلات الاجتماعية بين بعض العائلات الحيفاوية وقامت بينهم

علاقات مصاهرة ونسب، فحصل أن تزوج عدد من أبناء الطيرة من بنات حيفا، كذلك حصل العكس من ذلك بحث تزوج العديد من أبناء حيفا من بنات طيراويات.

الضرائب :

بدأت حكومة الانتداب بعد احتلالها لفلسطين وبالتحديد سنة ١٩١٩ - ١٩٢٠ بفرض الضرائب وجبايتها من الفلاح الفلسطيني، وتمثلت في جمع ثلاثة أنواع من الضرائب بواسطة موظفيها(١٨) وكان هذا الإجراء سبباً من أسباب فقر الفلاح وإغراقه في الديون، مما تسبب أيضاً في تركه لأرضه وخروجه للبحث عن عمل في المرافق الصناعية في المدن القريبة من مسقط رأسه، وقد أسلفنا أن أكثر من ٨٥ عائلة طيراوية هجرت مسقط رأسها وسكنت في حيفا من أجل البحث عن لقمة عيش بعيداً عن ظلم مخمن الضرائب، الذي كان يأتي إلى القرية ويشارك الفلاح في قوت عياله ويجني ثمرة عرقه وجهده، ويقول حاكم لواء يافا *"إن محصول الفلاح هو الشئ الوحيد الذي يستطيع موظف الضريبة أن يحجزه بدل جباية الضرائب، وقد كانت الطريقة الوحيدة لجباية الضرائب هي وضع حارس من قبل الحكومة في موسم درس القمح لمنع نقل المحصول قبل دفع ضريبته، ولكي يهرب الفلاح من دفع أجرة الحارس التي كانت تثقل كاهله، فقد كان يستدين لدفع الضريبة ليتخلص من نفقات الحراسة".*(١٩)

ونجد أن الفلاح الفلسطيني دفع ثلاثة أنواع من الضرائب في نيسان ١٩٣٥ وهي ضريبة العشر، وضريبة الويركو، وضريبة الأغنام.

أما ضريبة العشر فقد فرضت على الفلاح الطيراوي كغيره من فلاحي فلسطين منذ العهد العثماني، وقدرت بنسبة (١٢,٥٪) من المجموع الكلي للدخل. أما عند احتسابها فنرى أنها استنفدت أكثر من ١/٣ الإنتاج وخفضه إلى (٢,٥٪) في

Digitized by Birzeit University Library

آخر العهد العثماني، وكذلك حصل بعيد الاحتلال البريطاني. فخفضت بعد عام ١٩٢٥ إلى نسبة (١٠٪) من مجموع الدخل. وبقيت جباية هذه الضريبة متبعة حتى عام ١٩٢٧.

وكانت تتم عملية التخمين من قبل لجنة التقدير التي تكلفها الحكومة بذلك وبالتحديد من قبل مدير القضاء، وكانت اللجنة تأخذ وقتاً طويلاً في عملية التقدير مما كان يمنع الفلاح من تسويق محاصيله في موسم التسويق عندما يكون السوق متعطشاً لسلعته، مما سبب له خسارة فادحة لأن حاجة السوق كانت تتطلب استيراد محاصيل من دول مجاورة، مما يؤدي إلى كساد وضرب الإنتاج المحلي.[٢٠]

وحاولت حكومة الانتداب الالتفاف على طريق جباية هذه الضريبة بطرق ملتوية فحددت مبلغاً مقطوعاً، وتراجعت بل ألغت دور لجنة التخمين، مما ألحق إجحافاً جديداً بحق الفلاح الفلسطيني الذي كان تمر عليه سنوات عجاف مما يحول دون استطاعته دفع المبلغ المفروض عليه. وكان هذا أحد العوامل التي أدت إلى تفريغ الأرض من فلاحيها، وخراب الاقتصاد العربي الفلسطيني.

ضريبة الويركو : كانت نسبة هذه الضريبة السنوية المفروضة على المباني والأرض (١٢,٥) من القيمة الصافية لأرض الميرى، ووصلت إلى (٣٢,٢) من قيمة الأرض المستملكة، أما بالنسبة لضريبة المباني فكانت حوالي (٢٨٪) من قيمة المباني[٢١] .

ونجد انخفاض ضريبة الويركو على الأرض الميرى شكلياً لأن أراضى الميرى كانت هي ركيزة ضريبة العشر التي وصلت قيمتها الفعلية إلى (٣٥٪) من صافي الدخل، وفي المحصلة النهائية كان مجموع الضرائب الملقاه على الأراضي الميرية تصل إلى أقل من نصف إنتاجها أي (٤٧,٥٪) .[٢٢]

والضريبة الثالثة كانت ضريبة الأغنام، وهذه الضريبة فرضت على عدد الأغنام التي يملكها المزارع الطيراوي أي على عدد رؤوس الأغنام. ففرض على رأس الغنم الواحد من الماعز أو الضأن (٤٨) مل. وعلى الجمال والأبقار (١٢٠) مل للرأس الواحد.[٢٣]

وكان أحد الأسباب التي جعلت عدداً كبيراً من أهالي الطيرة ممّن يملكون الأغنام يأوون بها إلى المغاير المجاورة للقرية بسفح الكرمل وهذه إحدى الطرق للهروب من الضرائب المفروضة على الأغنام.

فجميع هذه الضرائب السالفة الذكر أدت إلى استدانة الفلاح وأغرقته في الديون مما جعل البعض يترك العمل في الأراضي، واضطر البعض الآخر إلى بيع قسم من أرضه لسداد دينه، والبحث عن عمل غير عمله الأصلي من أجل الحصول على السيولة النقدية، ليتسنى له سد رمق أفراد أسرته.

وفي بداية الأربعينيات دخل الهاتف لأول مرة في الطيرة وكان الهاتف متنقلاً، ويقول عبد الله السلمان مختار القرية: "*وضعت الحكومة عموداً للهاتف في بداية طريق البلد سنة ١٩٤١ وسلمت هاتفاً متنقلاً إلى المختار، وعندما كنت أرغب في الاتصال كنت أذهب وأربط الهاتف في العلبة المثبتة على عمود الهاتف، وفي سنة ١٩٤٢ دخل الهاتف إلى القرية، وحصل عبد الله عثمان السعدي على هاتف ووضعه في بيته*".

Digitized by Birzeit University Library

ويقول عبد الصمد أبو راشد: "*إنه رغم مرور خطوط الضغط العالي لشركة كهرباء روتنبرغ* * *من أراضي الطيرة، إلا أنه حرمت الطيرة كغيرها من القرى العربية من التزود بالكهرباء، بينما زودت بها المدن الرئيسة والمستوطنات اليهودية مهما صغر حجمها وقل عدد سكانها. فلم تدخل الكهرباء بيوت الطيرة وحرمت من النور حتى تهجير أهلها عام ١٩٤٨*".

* روتنبرغ: هو بنحاس روتنبرغ يهودي روسي مؤسس شركة كهرباء فلسطين عام ١٩٢٩ وهو صاحب امتياز استغلال مياه نهري الأردن واليرموك عند جسر المجامع لتوليد الكهرباء بالطاقة المائية وكانت الأرباح مناصفة بين الشركة وبريطانيا دون النظر لصاحب الأرض والمياه، وسمح للأردن فقط بتزويد مدينتي السلط وعمان بالكهرباء.

هوامش الفصل الثالث :

١. البخيت، محمد عدنان، الحمود، نوفان رجا، دفتر مفصل ناحية مرج ابن عامر وتوابعها ولواحقها عام ١٥٣٨، الجامعة الأردنية عمان ١٩٨٩ ص ٣٠

٢- Wolf and Abdufatah, Historical Geography of Palestine Trans Jordan and Southern Syria in the late 161-h Sentry P 158.

٢. الطاهر، علي نصوح، شجرة: الزيتون تاريخها، زراعتها، أمراضها صناعتها، مطبعة الأردن، عمان ١٩٤٧ ص ١١١-١١٣.

٣. الموسوعة الفلسطينية قسم الدراسات المجلد الثاني، المطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٠. ص ٩٥٢.

٤. البطل، عبد الرحمن مصباح، مقال غير منشور عن تاريخ قرية الطيرة، بوسطن ١٩٩٤.

٥. سعيد، محمد أحمد، طيرة حيفا ١٩٠٠ - ١٩٤٨ مصدر سبق ذكره ص ١٦.

٦. البخيث محمد عدنان، دفتر مفصل لواء اللجون، دفتر طابوه "١٨١" لعام ١٥٩٦. ص ١٥.

٧. Hafawi, Sami, village Statistics Classification of Land and Area Owner Ship Palestine Beirut, Lebanon. 1970 P 92

٨. مقابلة مع عبد الله السلمان، إربد بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢٠، مصدر سبق ذكره.

Digitized by Birzeit University Library

٩. مقابلة مع عبد الصمد أبو راشد، مصدر سبق ذكره.

١٠. البطل، عبد الرحمن مصباح، تاريخ قرية الطيرة، مصدر سبق ذكره.

١١. يزبك، محمود الهجر، الهجرة العربية إلى حيفا في زمن الانتداب، والطبعة الأولى، مكتبة القبس الناصرة ١٩٨٨، ص ٩٥. ١٠٥، ١٥٠.

١٢. مقابلات مع الرواة التالية أسماؤهم الذين سبق ذكرهم.

١. عبد الله السلمان، إربد.

٢. غازي حجير، مخيم عسكر.

٣. محمد خضر الشامي، مخيم نور شمس.

٤. عبد الله الصمد أبو راشد، إربد.

٥. جمعة أحمد غنام، مخيم بلاطة.

٦. الحاجة منوى عبد الوهاب، بلاطة.

١٤. الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين الجزء السابع، القسم الثاني في ديار الجليل، مصدر سبق ذكره ص ٥٩٠.

١٥. د. حمودة، أحمد عبد الرحمن، قصة مدينة حيفا، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠

١٦. البطل، عبد الرحمن مصباح، مصدر سبق ذكره.

١٧. مقابلة مع عبد الله السلمان وعبد الصمد أبو راشد، مصدر سبق ذكرهما.

١٨. صبري، بهجت، فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها ١٩١٤ - ١٩٢٠ جمعية الدراسات العربية، القدس، ١٩٨٢، ص ١٨٠

١٩. يزبك، محمود، الهجرة العربية إلى حيفا، مصدر سبق ذكره ص ٦٥.

٢٠. المصدر السابق ص ٦٦.

٢١. المصدر السابق ص ٦٨.

٢٢. المصدر السابق ص ٦٩.

٢٣. المصدر السابق ص ٦٩.

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الرابع
الحياة الاجتماعية

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الرابع

الحيـــــاة الاجتمــاعيـــة

السكان

احتلت طيرة حيفا موقعا مرموقا في أواسط القرن السادس عشر من حيث أهميتها الاقتصادية والديمغرافية في لواء اللجون. فكانت ثاني قرية في عدد سكانها في اللواء بعد قرية نين*، كما ورد في كتاب (دفتر مفصل لواء اللجون لعام ١٥٩٦)، وكتاب تاريخ فلسطين عبر الأردن وجنوب سوريا في نهاية القرن السادس عشر. فبلغ عدد سكانها ٥٢ عائلة بمعدل ٢٨٦ نسمة عام ١٥٩٦، بينما كان مجموع سكان بعض القرى في تلك الفترة على النحو التالي: حيفا ١٨٦ نسمة، عين حوض ٤٥ نسمة، أجزم ٥٥ نسمة، جبع ٩٩ نسمة، صرفند ٦٢ نسمة، وتأتي قباطية في المرتبة الثالثة بعد الطيرة حيث بلغ عدد سكانها ٢٤٨ نسمة.(١)

وفي عام ١٨٥٩ قدر القنصل البريطاني عدد سكان القرية بـ ١٢٠٠ نسمة خلال زيارته لها(٢)، وبلغ عدد سكان الطيرة حسب إحصاء ١٩٢٢ الذي قامت به حكومة الانتداب ٢٣٤٦ نسمة مقسمين على النحو التالي ١١٤٧ ذكوراً ١١٩٩ إناثاً.(٣)

كما بلغ تعداد سكان القرية حسب السجلات البريطانية لعام ١٩٣١، ٤١٩١ نسمة، منهم ١٦٢٥ إناثاً، و ١٥٦٦ ذكوراً، يقطنون في ٦٢٤ بيتاً.(٤) وأصبح تعداد

* قرية نين تقع شمال شرق العفولة ٦كم، وبلغ عدد سكانها عام ١٥٩٦، ٦٥٥ نسمة.

Digitized by Birzeit University Library

سكان القرية ٥٢٧٠ نسمة حسب تقرير دائرة الإحصاء العامة البريطانية الذي صدر عام ١٩٤٥.[٥]

ويقدر عدد سكان القرية عام ١٩٤٨ بـ ٥٧٦٠ نسمة، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الزيادة السكانية ٣٪ حسب الأصول العلمية والدراسات السكانية والديمغرافية لمنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط.

لكن بعض المؤرخين أمثال محمد نمر الخطيب بالغ في ذكر عدد سكان الطيرة حيث قال إنه حوالي ثمانية آلاف نسمة.[٦] وقال محمود أحمد سعيد أحد أبناء القرية في كتابه طيرة حيفا إن عدد سكان القرية قبل النزوح بلغ نحو عشرة آلاف نسمة حسب الأرقام والقيود التي كانت بين أيدي اللجنة المفوضة بتوزيع المواد الغذائية.

وقدم بعض الرواة تفسيرا للفرق بين عدد النفوس الرسمي والتقديري، فقال عبد الرحمن مصباح البطل (أحد سكان القرية): *"العدد الحقيقي لسكان القرية عام ١٩٤٨ لا يقل عن عشرة آلاف نسمة، لأن عدداً من أهالي القرية لم يعتادوا على تسجيل مواليدهم في دائرة النفوس لأنها موجودة في حيفا وليس في القرية، والسبب الثاني أن بعض السكان كانوا يتكتمون على حدوث الولادات لديهم خوفاً من تجنيدهم، كما كان يحصل أيام الحكم العثماني".*[٧]

ويمكن الأخذ بقول الراوي السالف الذكر عن تكتم بعض السكان عن تسجيل مواليدهم للأسباب التي ذكر ولكن ليس إلى الحد الوارد في روايته، لأن خبراء دراسات السكان قدروا الزيادة السكانية بـ ٣٪ وقد يصل الفرق بين الإحصاء الرسمي والتقدير الحقيقي لعدد من السكان ما بين ١٠٠-٢٠٠ نسمة، لكن لا يمكن أن يكون مضاعفا أو بالآلاف، كما ورد في الرواية.

ويقدر عدد سكان القرية اليوم أي عام ١٩٩٥ بـ ٢٤٢٠٠ نسمة. إذا أخذنا بالقاعدة التي تقول: إن عدد السكان يتضاعف كل ٢٣ سنة تقريبا.

ويروي سكان القرية ممن قابلت أن جميع أهالي الطيرة من العرب المسلمين السنيين ذوي الانتماء إلى المذهب الشافعي عدا عائلة واحدة من إخواننا المسيحيين العرب كان رب هذه العائلة يعمل في نحت الحجارة والبناء.

وفي بداية هذا القرن ومع ظهور المذهب الأحمدي دخل بعض الرجال في هذه الطريقة التي يؤمن أنصارها بأن المسيح أو المهدي المنتظر قد ظهر فعلا في الهند قبل ١٠٦ سنوات وأرسل مبشرين ورسلاً له إلى جميع أنحاء العالم ومنها فلسطين، حيث أرسل إليها مبشرا يدعى جلال الدين شمس وبدأ يدعو الناس إلى الطريقة الأحمدية فآمن به عدد من عائلة قزق الذين أصلهم من الطيرة، ثم رحلوا وسكنوا حيفا، كما آمنت به بضع عائلات من الطيرة وذهبت وسكنت في الكبابير* التي كانت تعد ضاحية من ضواحي الطيرة. وعمروا مسجداً فيها يخص أصحاب الطريقة الأحمدية وأصبح هذا المسجد منبراً حرا لدعايتهم بعدما كانوا يضايقون من قبل أهل السنة، وأصبح أغلب سكان الكبابير بعد ذلك ينتمون إلى المذهب الأحمدي عدا بعض العائلات منهم، وأضحت القرية مركزا مهما من مراكز دعاة الطريقة الأحمدية، كما روى لي طه محمد قزق، وليس سرا إن ذكرنا أنه ظهر هناك توتر في العلاقات ما بين أهالي الطيرة وأصحاب الطريقة الأحمدية، واعتبروا أصحاب الطريقة الأحمدية بأنهم خارجون عن أهل السنة، وأنكر الناس عليهم صحة مذهبهم،

* الكبابير : تقع إلى الجنوب من مدينة حيفا، وتبعد عنها ٥كم. كانت إحدى ضواحي قرية الطيرة، كما أنها كانت تشارك في انتخاب مختارها حتى ١٩٣٣، وترتبط عائلات القريتين برابطة القرابة والنسب والمصاهرة. وخصوصا حمولة الباش التي يوجد لها فرعان في الطيرة والكبابير. وهي أول قرية فلسطينية تنضم إلى المذهب الأحمدي. (عن كتاب الكبابير بلدي، عبد الله أسعد عودة، ص ٣، ٥٠، ٧٥.)

Digitized by Birzeit University Library

لكنهم صمدوا أمام هذه المعارضة وأصدروا مجلة ثقافية شاملة تعبر عن آرائهم وأفكارهم.(٨)

صفات تميز بها أهالي الطيرة

اتسم أهالي الطيرة بصفات خلقية وأخلاقية حميدة مثل الكرم والرجولة والشهامة والوطنية والعصبية. ولعل تسمية إحدى حارات القرية بالمنزول أي المكان الذي ينزل فيه الغرباء وعابروا السبيل فيحلون ضيوفا ويلقون كل ترحاب لعل هذه التسمية دليل على كرم أهل هذه البلدة، وقد أعدوا ديواناً كبيراً يجتمع فيه الناس، ويكرم ويبيت فيه الضيوف. أما عن الشجاعة ورجولة أهالي القرية فقد هابهم الناس وحسبوا لهم ألف حساب.

ووصف القنصل البريطاني روجرز الذي زار القرية عام ١٨٥٩، أهل القرية بأنهم يتسمون بالخشونة والقساوة، ونعتهم بالمشاكسين وبأن القرى المجاورة تهابهم*.

ويروي غازي حجير أحد سكان القرية وفقا لهذه النادرة التي تشير إلى عصبية مزاجهم، فإن أهل الطيرة "طخوا البحر" "حيث ذهبوا في أحد الأيام وخلعوا ملابسهم ونزلوا للاستحمام في البحر فهاج وماج فوصل الماء إلى ملابسهم وعندما حصل مد في البحر تراجعت المياه وأصبح جزر فأخذ الماء ملابسهم، فقالوا قعقع البحر أي أصبح مزاجه عصبياً فلن نستسلم له، فأخذوا يطلقون النار عليه من بنادقهم".

* The survey of western of Palestine sheet, V P. 285

ويقول عبد الله عودة : *"لقد أتى على الطيرة زمن كانت تضاهي فيه حيفا التي ظلت تعتبر أيام الظواهر (أي ظاهر العمر) قرية صغيرة، وكانت حيفا تخشى سطوة الطيرة وأهلها، ويروي لورنس أوليفانت الذي زار البلاد سنة ١٨٨٢ ومر بحيفا والطيرة، فكتب عنها فيما كتب، أن أحدا من سكان حيفا لم يكن يجرؤ على الخروج خارج حدود البلدة القديمة بعد غروب الشمس، مخافة أن يلقاه أحدٌ من أهل الطيرة، وظلت الطيرة مرهوبة الجانب حتى أثناء الحكم البريطاني، ففي أثناء الاضطرابات التي وقعت بين العرب واليهود خفت جماعة من أهل الطيرة لنجدة أهال حيفا، وهاجموا حي باب جليم واشتبكوا مع القوات البريطانية التي اعترضتهم وقتلت منهم رجلاً وجرحت آخرين".*(٩)

ويضيف الكاتب قائلا ومع ما كان لأهل الطيرة من خصال حميدة إلا أنهم امتازوا عن غيرهم من سكان القرى المجاورة بحدة طباعهم وعنتريتهم.

ويقول غازي حجير أحد سكان القرية : *"أهل الطيرة مشهورون وكرماء ويتصفون بالشجاعة وعندما كان الشباب يذهبون إلى المسارح والعوالم ودور السينما في حيفا كان يحدث بعض الشباب فوضى وزعرنات ومشاكل، ولما كان يحضر شباب من أهل الطيرة كان هؤلاء الزعران يلتزمون الصمت ولا يحدثون أي فوضى ويقولون همساً فيما بينهم : جاء الطيارنة".*

وحدثني محمود خضر الشامي أحد سكان القرية مفتخرا بشجاعة وشهامة أهل قريته فقال : *"في أواخر العهد التركي كان زعيم الطيرة العبد المحمود، وكان زعيم أجزم* من الناس المعروفين واسمه مسعود الماضي، ويمتلك أرض الساحل المقابلة لبلده بالكامل حتى أطلق عليه ساحل ابن ماضي. وحدث أن نفراً من أهالي أجزم كانوا يحرسون مزارع ومقاثي عتليت التابعة لهم، فذهب راعي من بلدنا*

* أجزم : قرية عربية تقع إلى الجنوب من طيرة حيفا وتبعد عنها ١٣كم.

Digitized by Birzeit University Library

يرعى بأبقاره هناك، فأخذ أهالي أجزم بقرة من بقراته وحبسوها، فرجع الراعي إلى العبد المحمود شاكيا وقال له : لقد أخذ أهالي أجزم بقرة من أبقاري، فبعث العبد المحمود إلى زعيم أجزم أن عليه إرجاع البقرة فورا، لكن أهالي أجزم رفضوا ذلك، فركب العبد المحمود جواده وذهب بنفسه وأخذ معه محمد سعيد ومعهم لفيف من أهالي الطيرة إلى أجزم وعلى مشارفها، شاهد العبد المحمود أربعين رأساً من البقر راقدات على بير اليزك تحت البلد، فساقهن العبد المحمود ومن معه وأخذهن وقال لراعي البقر جمعه البدوي من إجزم: اذهب إلى مسعود الماضي وأخبره بأن العبد المحمود أخذ البقر وكنك زلمة روح خذهن.

ولما وصل العبد المحمود البلد ذبح أحسن رأس منهن وقسمه على البلد كاملة بالوقية. بعدها لقى مسعود الماضي على البلد ومعه عدد من أهالي أجزم وطالب العبد المحمود بإرجاع البقر إلى أصحابها فقال له الأخير، أولا رجعوا البقرة اللي سرقتوها من راعي الطيرة وعليكم جزا وخاوة أن تدفعوا ٤٠ مجيدية* عثمانية بالإضافة إلى العمال* اللي انذبح، وافق ابن ماضي على هذا الشرط وأرجع البقر ودفعوا أهالي أجزم أربعين مجيدية، فصفح العبد المحمود وأرجع البقر إلى أهالي أجزم". (١٠)

ولم تؤكد لنا هذه القصة من أي مصدر آخر رغم إشادة أهل القرية بشجاعة وشهامة العبد المحمود. وتقول أم رياض بنت عبد القادر حجير إحدى سيدات القرية، واصفة أهال الطيرة : "الطيرة كانت أحسن قرية في قضاء حيفا، تحترم الغريب ويتكاتف أهلها بعضهم مع بعض وقت الشدائد، وكانوا يقولون عنها أم الغريب حتى قيل عنهم مديحا يصف أهل القرية بالسمو والرفعة والاجتهاد.

* مجيدية : قطعة نقد عثمانية كانت تصك من الفضة.

* العَمّال : هو ذكر البقر وكان يستخدم في حراثة الأرض ودرس الحبوب وجر العربات.

"هذول يا أهل الطيرة يا نخل الشجر يا جايبين المال من تحت الشجر" (١١)

ويصف أهالي القرية هيئتهم الجسمانية ولهجتهم فتقول أم محمد (حرم أحمد الزير إحدى سيدات القرية في هذا الصدد) واصفة إياها بقولها : "كان أهال الطيرة طوال القامة، ونساؤهم جميلات، وعيونهم ملونة خضر وسمر وعسليات، ولهجتهم بالقاف قريبة من لهجة الدروز وهي لهجة أربع قرى الطيرة وصفوريا وشعب وعسفيا، فقد كانوا يستخدمون القاف الدرزية، كما تميزت العائلات بعضها عن بعض في إكرام النساء وراحتهن وامتازت نساء حمولة عن أخرى بجمالهن، وتغنت النساء بذلك فأنشدن:

"إن كان بدك للغوى خذلك حمولية وان كان بدك للشقى خذلك علاوية
وان كان بدك للربى خذلك حجيرية وان كان بدك للاحترام خذلك عمورية" (١٢)

ويفهم من تغني النساء بالمقولة السالفة أن نساء حمولة الحمولة كن مدللات ويعشن حياة رغدة ولهن جمال مميز، للوضع الاقتصادي الذي تميزت به الحمولة بسبب امتلاكهم للأرض، أما نساء حمولة آل علوة فكن يعملن في الزراعة جنبا إلى جنب مع رجالهن، وتميزت نساء حمولة آل حجير بالمحافظة والتربية المميزة، أما نساء حمولة دار عمورة فتميزن باحترامهن وطاعتهن لأزواجهن.

ومن أهم ما امتازت به المرأة الطيراوية أنها كانت تعمل جنباً إلى جنب مع الرجل في فلاحة الأرض، بالإضافة إلى قيامها بشؤون بيتها، وتدبير المنتوجات الاقتصادية البيتية من تربية دواجن، وتصنيع منتوجات المواشي لتأمين مؤونة البيت طوال العام.

Digitized by Birzeit University Library

لكن العادات والتقاليد الاجتماعية جعلت الأب في البيت له الكلمة الأولى والأخيرة، واحتلت المرأة المرتبة الثانية في هذه المسؤولية، ويرجع إليها الرجل في الأمور المهمة كزواج الأبناء وربما تكون لها كلمة الفصل في هذا الموضوع.

يقول عبد الصمد أبو راشد أحد أبناء القرية : *"وفي الميراث كانت تراعي بعض العائلات نصوص الشريعة الإسلامية في توريث المرأة، لكن البعض كان يغض الطرف بخصوص عملية الإرث، وإذا طالبت المرأة صراحة في حقها الشرعي حصل فرقة بينها وبين أخوتها، وكم من امرأة أكرهت على الزواج من أبناء عمومتها خوفا من أن تذهب أرض عائلة إلى عائلة أخرى بسبب الميراث".*

ولنا في المرأة الطيراوية خير مثال على الشهامة والكرم، وروى لي الأستاذ عبد الصمد أبو راشد حكاية أخذت فيها المرأة الطيراوية زمام المبادرة وإغاثة المحتاج وإيواء ابن السبيل. كما كانت تشاركه في سلمه وحربه ضد الأعداء، وخصوصا في ثورته ضد الإنجليز، فكانت تقدم وتنقل له الطعام والشراب والسلاح والعتاد، وترقب لهم الطريق مفتديتهم بنفسها. ويضرب الأستاذ عبد الصمد مثلا للمرأة الطيراوية في الشهامة فيقول: *"في إحدى الأمسيات من شتاء عام ١٩٣٧ كان المطر يهطل متقطعا، وكان الطقس بارداً والناس يعيشون أجواء ثورتهم ضد الغاصبين، وحبل الأمن مضطرب بالصراعات الداخلية والفتنة، وفي تلك الليلة دخل ثلاثة رجال بأغنامهم الطيرة ومروا أمام منزل له بوابة كبيرة، فاستضافوا أهلها، فاعتذر صاحب الدار قائلاً: أما أنتم الرجال فمرحبا بكم، وأما أغنامكم فأخشى عليها الضرامة واللصوص ولا طاقة لي بالمسلحين.*

وفي تلك اللحظة مرت بهم امرأة سمعت طرفاً مما دار بينهم من حديث وأدركت قصد الرجال ، حتى إذا أغلق صاحب الدار البوابة من خلفه: خاطبتهم المرأة قائلة : أيها الرجال اتبعوني فأنتم ضيوف زوجي. فنظر الرجال بعضهم إلى

بعض وأبطأوا في الاستجابة، فألحت عليهم الطلب فقال كبيرهم : هيا قبل أن يحل الظلام. وما أن دخلت الماشية فناء البيت حتى نادت زوجها. أن اخرج لملاقاة ضيوفك، فخرج إليهم مرحبا وأدى واجب الضيافة للرجال وللماشية، ولما كان الصباح ودع الضيوف بمثل ما استقبلوا به من حفاوة وتكريم وغادروا على عهد الأخوة في الله، وتمضي الأيام ليتبادل الطرفان الزيارة، ثم توطدت العلاقات بينهما أخوية إلى أيامنا هذه. تلك المرأة هي هند بنت حسين حجير والضيوف من عائلة أبي هنطش من قرية قاقون". ولم نذكر هذه القصة إلا لإطراء بعض نساء الطيرة ومنهن هذه المرأة التي أخذت زمام المبادرة.

الحمائل والعائلات*

بلغ عدد الحمائل والعائلات في الطيرة قبيل الرحيل عام ١٩٤٨ ما يقارب ثلاثاً وثلاثون حمولة ونيفاً. وروى بعض أهالي الطيرة، أن قريتهم تنقسم إلى سبع وعشرين حمولة، لكن بعض أفخاذ هذه الحمائل استقل وانفصل ليشكل عائلة مستقلة عن الحمولة الأم. وتتباين هذه الحمائل بعضها عن بعض فقسم منها كبير وممتد، والقسم الآخر صغير لا يتعدى الفرعين أو الثلاثة.

* ملاحظة : نود أن نلفت نظر القراء وخصوصا أهالي القرية إلى أن أسماء العائلات وأفخاذها وفروعها الآتية الذكر قد ينقصها شيء من الكمال والدقة، ومن غير المستبعد أن الرواة الذين قابلتهم من أهل القرية قد أغفلوا اسم عائلة صغيرة عن طريق السهو، فلم يذكروا اسماً من أسماء عائلات الطيرة، ومن المحتمل أنه ورد اسم كنية أو لقب غير محمود عند صاحبه على لسان الرواة، لذا نعتذر عن ذلك لخروجه عن إرادتنا وحدود معرفتنا. غير أننا ارتأينا وضع كل ما توفر لدينا عن أسماء العائلات تسهيلاً للباحثين وأبناء القرية، وكلنا أمل أن كل من لديه معلومات تضيف جديداً أو تصحح خطأً أن يوافينا بها كي نتجاوز هذه الثغرات والأخطاء في طبعة قادمة.ورغم توفر شجرات لبعض حمائل القرية لدينا، فإننا فضلنا عدم وضعها لعدم توفر شجرات الحمائل الأخرى.

Digitized by Birzeit University Library

ونجد أن كثيرا من هذه العائلات تحالفت بعضها مع بعض لتشكل قوة اجتماعية وسياسية مهيمنة في القرية، والبعض الآخر منها تنافر معها ليشكل جزءاً من المعارضة التقليدية. كما تحالفت بعض العائلات الصغيرة الوافدة للقرية بعضها مع بعض لتشكل هيبة وقوة لنفسها أمام العائلات أو الحمائل الكبيرة. وانضمت بعض العائلات الصغيرة الأخرى التي ليس لها جذور في القرية مع حمائل أو عائلات كبيرة لتجعل لنفسها عزوة ومكانة في هذا المجتمع الجديد عليها. وكانت تظهر قوة ومكانة الحمولة في الطيرة في مناسبات عديدة منها الأفراح والأتراح، وفي المناسبات السياسية والحزبية عندما كان يتم انتخاب مختار أو أعضاء الجمعية.

حمائل الطيرة وأقسامها

حمولة الحمولة وتقسم إلى :

١) سلمان.
٢) غنايم.
٣) العسل.
٤) شبلي.
٥) عبد القادر.
٦) الشايب.
٧) البدوي.
٨) يوسف الشيخ.
٩) الرباني.
١٠) بدران.
١١) فرعون.

١٢) الهندي.

حمولة الأبطح وتقسم إلى :

١) حميدي.
٢) الأمين.
٣) زهرة.
٤) العرب.
٥) عمرين.
٦) أبو حسان.
٧) ذيب.
٨) الحلبي.
٩) أبو جاموس.
١٠) العرم.
١١) الخراب.

حمولة زيدان، البطل وينسبون أنفسهم إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح ويقسمون إلى الأفخاذ التالية:-

١) حسن العبد / أبو فهد.
٢) أحمد العباس.
٣) قاسم العباس (زيتون).
٤) أحمد (أبو علي زيدان).
٥) عبد الحليم.
٦) علي الأحمد الزيداني.
٧) زعكور.

Digitized by Birzeit University Library

٨) رحول.
٩) سليم وناصر وعبد عيشة.
١٠) الشلح.
١١) ارحيم ((عبد الرحمن البطل)).
١٢) الحاج يونس (البطل).
١٣) محمد الأحمد (البطل).

حمولة أبو عيسى وتقسم إلى الأفخاذ التالية:-
١) زعطوط.
٢) البستوني.
٣) حسن الابراهيم.
٤) أسعد اليونس.
٥) محمود الأسعد.

حمولة حجير وتقسم إلى الأفخاذ التالية:-
١) حسين.
٢) البدوان.
٣) المُصّ.
٤) الأعرج.
٥) الدّش.
٦) زامل.

حمولة دارة العلالقة وتقسم إلى الأفخاذ التالية:-
١) الحسون. "حسوة"
٢) باكير. "بكوة"

٣) علوة
٤) الناجي. / أحد أبناء باكير لكن هذا الفخذ استقل بنفسه.

حمولة دارة عمورة وتقسم إلى الأفخاذ التالية:-
١) الزهرة.
٢) محمد عمورة.
٣) عبد الحفيظ الطاه.
٤) حسن العبد.
٥) الدعاس.

حمولة قبيعة وتقسم إلى الأفخاذ التالية.
١) قصقص.
٢) ذياب.
٣) الزيات.
٤) أمين.
٥) عيسى.

حمولة درباس وتقسم إلى الأفخاذ التالية:-
١) النمرود.
٢) داود.
٣) الأحمد.

حمولة الباش وتقسم إلى الأفخاذ التالية:-
١) سرية.
٢) جربوع.

Digitized by Birzeit University Library

٣) شحبور.

٤) عواد.

٥) أبو سرية.

٦) القصيني.

٧) ادريس.

٨)الريان.

٩) الزبن.

عائلة غنام وتقسم إلى الفروع التالية:-

١) خليل.

٢) محمود.

٣) أحمد ياسين.

٤) عوض الرجا.

٥) طريف.

حمولة المصاروة : ويقال إنهم قدموا من مصر في عهد إبراهيم باشا وتعود جذورهم المصرية إلى منطقتي البحيرات والسويس، وبقي يطلق عليهم اسم المصاروة.

كما يوجد في القرية عائلات بقيت تحمل اسم الجد فقط، ولا يطلق عليها اسم حمولة بل عائلة وهي في الغالب عائلات ممتدة. وهذه العائلات هي:- المدردس، وأبو راشد، وقزق وأصلهم من قزقستان ثم رحلوا وسكنوا حيفا، أبو غيدة، والشامي، وعويس، والعبويني، والسعدي ، سلوم، وبدر، والبحيري، وتيم، وأبو زكريا، والزواوي، ودلول، وبشلاق، والخرازبة، وبلوط، ودار البرغوثي الذين يعرفون اليوم بدار الفار أي " الهارب ".[١٣]

العمران

وصفت ابنية القرية في أواسط القرن التاسع عشر بأنها مبنية من الطين والحجارة، ولها بئر ماء في طرفها الغربي كما يوجد في طرفها الشمالي مقام، وقدر عدد بيوتها عام ١٨٥٩م بما يقارب ٢٣٥ بيتا[١٤] بينما تجاوز عدد بيوتها٤٦٠ منزلاً سنة ١٩٢٢ إبان الاحتلال البريطاني. وورد في سجلات الإحصاء البريطاني الذي جرى عام ١٩٣١ أن بيوت القرية وصل تعدادها إلى ٦٢٤ بيتا[١٥]، وقدر عدد بيوتها عام ١٩٤٥ بنحو ١٠٣٣ بيتاً، بينما بلغ عددها ١١٣٠ بيتاً عام ١٩٤٨، بل يزيد عن ذلك حسب روايات أهل القرية.

ويروي غازي حجير أحد أبناء القرية : أن بيوت القرية كان معظمها يبنى في السابق من الحجر والطين الممزوج بالتبن والشيد، وتسقف بالأخشاب التي يكون أسفلها من الحجارة المنتظمة والطين، ويشبه القلعة في بنائه، فحجارته كبيرة نسبيا، وعرض واجهته يقارب المتر بل يزيد عن ذلك، أما ارتفاعه فيتراوح ما بين ٥-٦ أمتار، ومساحته تتجاوز الخمسين متراً مربعاً، أما سقفه فيشبه القبة، مسقوف برقائق الحجارة أو ما يسمى بالريش الصخري، ويلصق بعضه ببعض بواسطة الطين الممزوج بالشيد، ثم يغطى سطحه العلوي بالطين والشيد.[١٦]

ويضيف عبد الصمد أبو راشد وسلمان عبد العال من أبناء القرية عن نماذج البناء في الطيرة: 'طراز البناء في الطيرة بين حديث ووسط وقديم، فجميع المباني من الحجر. والحجر منها أصناف ثلاثة الرملي والسلطاني والقرطيان. أما الرملي فلونه ضارب إلى البني الفاتح، والسلطاني ذو بريق بلوري سرعان ما يخبو بالعوامل الجوية ويكسوه السواد، وأما القرطياني فهو صلب أبيض يحتفظ برونقه مدة طويلة.

Digitized by Birzeit University Library

يغلب الحجر الطبزي في الأبنية الحديثة، وسقوفها من الاسمنت المسلح ترتكز على جسور من حديد تشبه قضبان سكة الحديد. وهيئة الحجر في المباني القديمة والوسيطة منقوشة بالنقشة الحمصية، والسقف من طين جيري على عازل من البلان منثور على قصب الحلف، وجذوع الأشجار محمول على أقواس حجرية. يرجع تاريخ البناء والوسيط إلى بضع مئات من السنين، وإن استمد نمط بنائها من العهدين المملوكي والعثماني وتسمى بالقناطر ومفردها قنطرة.

أما الطراز القديم والذي يشهد للطيرة بقدمها ويشير إلى قدم عهدها بالزراعة حتى قبل الإسلام فكل منزل فيها يشبه قلعة صغيرة مستقلة، والناظر إليها يلاحظ ضخامة حجارتها في المداميك السفلية، فهي لا تقل عن المتر طولاً، كما يؤخذ بفن هندسة العمارة ونقش اليد الصانعة، ووصلات الطين بينها من الكلس أو ما يسمى بالشيد وحده كمادة لاصقة.

معظم الأبنية القديمة في وسط البلدة، وتشبه نظام الحوض المغلق بسور. إلا من بوابة عالية تتسع لمرور الجمال بأحمالها، ويعلو البوابة قنطرة قوسية، وتتكون البوابة من دفتين من خشب صلب سميك وربما صفحت من الخارج، بصفائح حماية لها من نيران الطراق الغرباء. وفي إحدى الدفتين عن يمين الداخل خوخة* أي باب صغير لمرور الإنسان والبوابة مغلقة، وكان يوضع على البوابة مطرقة من أجل الاستئذان عند الدخول وتسمى شعارة. وللحوش ساحة سماوية كانت تستعمل لاستيعاب الحيوانات والدواجن من الطيور. أما غرف السكن داخل الحوض فكانت في السابق البيت أو العقد وأطوال العقد من الداخل لا تقل عن ثمانية أمتار طولاً وستة أمتار عرضاً وبارتفاع لا يقل عن أربعة أمتار. وأرضيته الداخلية مقسومة إلى قسمين؛ الأولى عالية وتستعمل لنوم أهل البيت، وأخرى بمستوى

* خوخة : باب صغير يخترق بوابة كبيرة ويسمى أحيانا في مناطق أخرى سر.

الحوض من أجل إيواء الدواب، ولكن تطور البيع والعقد ليصبح فقط لنوم ومعيشة الإنسان وحده. ودعائم العقد عبارة عن أقواس يتراوح عددها بين قوسين إلى ثلاثة حسب حجم البيت وسعته، وجدرانه سميكة، تتراوح ما بين ذراع وذراع ونصف، وتكون له نافذة وأحياناً نافذتان بارتفاع قامة، وتكون محصنة بقضبان من حديد عرضها متر وارتفاعها متران، ولكل عقد طاقة صغيرة على الأقل تكون في أعلى واجهته يزيد عرضها عن ٣٠ سم وطولها ٤٠ سم، وجعلت من أجل تجديد هواء العقد.(١٧)

ويشاهد الناظر عند دخوله للحوض حجرات صغيرة مبنية من الحجر والطين، وكانت تستعمل لمبيت الدواب وخزن غذائها من تبن أو شعير، كما يرى الناظر الطابون الذي لا يتعدى ارتفاعه ٢م، وحوله قن الدجاج، وإذا رفع نظره إلى أعلى فإنه يشاهد بيوت الحمام التي تعلو الحجرات.

وعندما كانت العائلة الممتدة هي السائدة في المجتمع الطيراوي كان الرجل هو رب الأسرة سواء أكان أباً أو جداً، فيبني بيوتاً أو حجرات جديدة للأبناء المتزوجين في داخل الحوش، وكم سمعنا عن حالات كثيرة تزوج الأبناء في بيت الأسرة الكبير حيث قسم العقد أو البيت بواسطة ستارة من القماش أو الخيش فقط أثناء النوم.

والأحواش في الطيرة قسمان؛ قسم يكون خاصاً بأسرة واحدة وهي صغيرة أما الأحواش الكبيرة فتكون بها عدة أسر، ولكن تربطهم رابطة القرابة وغالبا ما يكونون أبناء عمومة.

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن بيوت القرية متلاصقة بعضها ببعض، ولا يفصلها عدا شوارع رئيسية أو أزقة فرعية أحياناً.

Digitized by Birzeit University Library

وغالباً ما كان الطيراويون يستخرجون الحجارة من مناطق خاصة من أرض القرية لأغراض البناء، وتخصص عدد من أبناء القرية في العمل في محاجر مخصصة لاستخراج الحجارة الصالحة للبناء. فيقول عبد الصمد أبو راشد بهذا الصدد: *"أغلب بيوت القرية الحديثة مبنية من الحجر الأبيض الجميل، وكانت هذه الحجارة تستخرج من مقالع صخرية تتواجد في بطون أودية القرية، وأهمها مقلع أبو مصطفى حجير الذي يقع في وادي عبد الله، وكان يستعمل الديناميت المحشو بمهارة في ثقب حفر في الصخر بواسطة فتيل تشعل به النار. وأخذ الناس بعد الثلاثينيات من هذا القرن يعقدون أسطح منازلهم بالإسمنت المسلح، أما جدرانها الداخلية فقد كانت طينتها تتألف من الرمل الناعم المخلوط بالإسمنت والكلس".*(١٨)

وبدأ بعض الطيراويين بعد ظهور الإسمنت يبنون بيوتهم على شكل طوابق مثل بيت عبد الله السلمان، ونايف العبد المحمود، وحسن العبد وآخرين من أغنياء القرية. كما بنيت بعض المؤسسات العامة على شكل طوابق مثل مبنى المدرسة. وساد في الأربعينيات من هذا القرن طراز ونظام العليّة وهي عبارة عن غرفة أو غرفتين تكون على الطابق الثاني لها ساحة أو فرندة على سطح الطابق الأرضي. ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن اليهود قد استغلوا قسما من مباني القرية الحديثة بعد تهجير أهلها منها عام ١٩٤٨، إما للسكن أو كمؤسسات حكومية. ومن البيوت المستغلة بيت عبد الله السلمان الذي أصبح مركزاً للشرطة، وكذلك بيت كامل عمورة، ومدرسة ذكور الطيرة الثانوية، وبيت عبد الفتاح عبد الناجي.

الحارات والبنية التحتية في القرية

تقسم الطيرة إلى حارتين رئيسيتين شمالية وجنوبية، ولكن عندما اتسع مسطح القرية أصبح تقسيم الحارات أكثر من ذلك، فأصبحت الحارة الشمالية تعرف بحارة الديرة، والقبلية بحارة الزلاقة، والقف، والزاوية، والزقزوق في الشرق وحارة

المسجد في الغرب وحارة المنزول في الوسط ثم حارة الباشية بين المنزول والزلاقة، فوسط البلد التي تقع ما بين وادي العين والمنزول ثم حارة القف. وتقول أم رياض بنت عبد القادر حجير إحدى سيدات القرية عن مواقع بيوت حمائل القرية: *"دار حجير، دار الأبطح، دار الفهد في الحارة الشمالية. دار أبو راشد، الباشية، زيدان، المدردس، عمورة، قسم الحمولة، درباس، أبو عيسى السعدي، وكانوا يسكنون في الحارة القبلية من القرية. أما الحارة الغربية فكان يقطنها دار الناجي، وباكير، وعلوة وقسم من دار البهلول. أما حارة المنزول فكان يقطنها فرع حمولة الحمولة مثل دار الهندي، دار الشايب، ودار عبد القادر عسل، ودار السلمان وقسم من عائلة الربانى".*(١٩)

أما عن شوارع وطرقات القرية الداخلية فهي مكونة من شارعين رئيسيين مسفلتين وطرقات ترابية ضيقة، ثم أزقة ملتوية ومتعرجة تكون أحياناً مدخلاً بدون مخرج. فيقول عبد الصمد أبو راشد أحد أبناء القرية: *"يتم الانتقال بين الحارات عبر شوارع رئيسة عريضة نسبيا وعبر طرقات معوجة وأزقة ودخلات قصيرة وأكثر الشوارع بروزا للزائرين شارعان يسيران في خطين شبه متوازيين. أما أولهما فهو الآتي من مدخلها الشمالي ويمر بالمنزول فالجامع القبلي ثم يجتاز وادي العين باتجاه مواقع الزيتونة الجنوبي ويدخلها من موقع قدح ويسير تحت اسم الدب التحتا وينتهي برأس الزقاق، وهذا الشارع معبد حتى الجامع، وأما ثانيهما فيبدأ من حارة الدير وينتهي بآخر الزقاق ويمر بمراكز التجمع للعديد من العائلات وبالسوق العامة، ويقع هذا الشارع إلى الشرق من الأول وهو الأطول في الطيرة.*

أما الشوارع التي تقطع الطيرة من الشرق إلى الغرب عبر الحارات فهي قصيرة وكثيرة، منها واحد يأتي من موقع الزقزوق وينتهي بالشارع الطويل عبر منازل الباشية، وثانيهما من الزقزوق أيضا وينتهي بالشارع الطويل عبر منازل

Digitized by Birzeit University Library

السعدي وأبي عيسى وأبي راشد وعمورة، ثم تأتي شوارع فرعية كثيرة بين الشارعين المتوازيين السالفي الذكر منها يصل بالمدخل الشمالي أو المنزول أو الجامع ويبادر الحارة الغربية عبر منازل دار عمورة، وعلوة والناجي وتيم، وأحيانا يضطر الناس إلى السير في وادي العين، وهو ليس شارعاً لكنه درب للراجلة رغم صعوبة السير فيه، وهو يقطع البلد من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، حيث يدخل مواقع الزيتون بعد خروجه من تينات أبي شقرة.

ومن حيث المبدأ نستطيع القول إن شوارع وطرقات الطيرة غير معبدة سوى واحدٍ منها، ولكنها بفضل المرأة الطيروية نظيفة، فكل امرأة تنظف فناء بيتها ومدخل دارها وتلقي بالقمامة والأوساخ بعيدا عن منازل القرية حيث توجد أماكن لالقاء الفضلات أو القمامة".

مياه الشرب

ومن مستلزمات الحياة الضرورية مياه الشرب فقد اعتمد أهالي القرية على عين رئيسة تقع شرقي القرية، تتبع من مغارة أطلق عليها اسم عين المغارة أو مغارة العين، وتبعد عن منازل القرية مسافة ٤كم. كما يوجد حول القرية عدد من العيون الضحلة ويستفاد منها لفترة زمنية قصيرة ومياهها سطحية نزازة سائبة.

أما عين المغارة فيروي سكان القرية أنها كانت تزود القرية بالمياه، فعمل سكان القرية بالتعاون مع وجهاء البلدة على عمل خزان للمياه ومن ثم أنابيب معدنية لتصل إلى حارات القرية، ووضعوا صنبوراً من المياه في كل حارة من الحارات، وقد وفر هذا جهداً كبيراً على النساء اللواتي أعياهن التعب من حمل المياه على رؤوسهن في السابق أي قبيل الثلاثينيات والعشرينيات، كما نال الاعياء دواب الطيرة من حمل المياه التي كانت تنقل على ظهورها من هذه العيون أو من بير بثينة الواقع غربي القرية على شاطئ البحر.

تقول السيدة أم رياض بنت عبد القادر حجير في هذا الصدد : "لم تكن توجد في البلدة آبار، وكنا نشرب من نبعة اسمها نبعة وادي العين، مد الناس مواسير ووضعوا في كل حارة حنفية" وتضيف أم محمد حرم أحمد الزير : "إن بعض النساء كن يذهبن ويغسلن على عيون المياه لعدم وجود المياه داخل البلدة".

وذكر الأستاذ عبد الصمد أبو راشد فقال : "وعين المغارة هي المصدر الوحيد الذي تعتمد عليه الطيرة في مياه الشرب وتنقل المياه المتفجرة ينبوعا من الصخر بأنابيب معدنية بقطر أربع بوصات من نقطة النبع مباشرة، ثم يسير خط الأنابيب بمحاذاة الوادي الذي يأخذ بالانحدار الطفيف والتدريجي نحو الغرب وبالتواءات غير حادة، ثم يدخل القرية من طرفها الشرقي حيث فرش المرقصة ورأس الممل عن يمينه وعراق الشيخ والقف عن شماله".

التعليم في الطيرة

اهتمت الدولة العثمانية منذ بسط نفوذها على فلسطين بالتعليم، فشجعت العلماء على أخذ زمام المبادر كلاً في موقعه، وفتحت دور العبارة من مساجد وكنائس لتحقيق هذا الغرض. وتطور هذا الوضع حتى بدأت في فتح مكاتب الابتدائية في المدن والقرى الفلسطينية. كانت الطيرة من بين هذه القرى التي تم افتتاح مدارس ابتدائية أو مكاتب تعليمية. وورد في السجلات العثمانية إحصائيات لعدد الطلبة المنتسبين إلى المكاتب الابتدائية في قرى قضاء حيفا. وتبين لنا من هذه الإحصائيات أن طيرة حيفا جاءت في المرتبة الثانية بعد حيفا من حيث عدد طلبتها المنتسبين إلى المكاتب الابتدائية، حيث وصل عددهم في العام الدراسي ١٣١١هـ الموافق ١٨٩٣/١٨٩٤م إلى ٤٠ طالبا، بينما وصل عدد الطلبة في قصبة حيفا إلى ٨٠ طالبا، وتراوح عدد الطلبة في باقي القضاء مابين ٥ طلاب إلى ٣٠ طالبا

Digitized by Birzeit University Library

باستثناء قرية صبارين التي وصل عدد طلابها إلى أربعين طالبا نتيجة استيعابها لطلاب قادمين من القرى والخرب المجاورة.

وإذا أجرينا مقارنة بين عدد طلبة الطيرة وطلبة القرى المجاورة لها نلاحظ الأرقام التالية حسب إحصاء ١٨٩٣/١٨٩٤.

القرية	عدد الطلبة
الطيرة	٤٠
جبارين	٤٠
الطنطورة	٣٠
أجزم	٢٠
عين غزال	١٥
جبع	١٥
فراديس	١١
قيسارية	١٥
بلد الشيخ	٢٠
عين حوض	٧
عتليت	٥ (٢٠)

ويذكر كبار السن من أهالي القرية، أن أبناء القرية لم ينقطعوا عن التعليم بعد الحرب العالمية الأولى رغم ما أصاب الناس من فقر مدقع وظروف سياسية واقتصادية صعبة، فذهبوا إلى المساجد حيث رجال العلوم الشرعية ليتعلموا على أياديهم القراءة والكتابة، ويذكر أهالي القرية الشيخ أبا طالب إمام المسجد الذي كان يعمل التلاميذ في المسجد زمن الدولة العثمانية، ثم خلفه الشيخ عتيق الخطيب، ثم

الشيخ سلوم، وسليم عبد السلام والشيخ ناجي جرار، وقيل إن الشيخ عتيق كان يدرس في بيته، وكان يسمى هذا النوع من التعليم بالكتاب.

وشيخ الكتاب يتقاضى أجرة كانت عبارة عما يتيسر من موسم حصاد أهل الطالب في آخر العام، وأسبوعيا من منتوجات الدواجن البيتية كالحمام والبيض.(٢١)

ويقول الأستاذ عبد الصمد أبو راشد أحد سكان القرية: *إنه انتقل تعليم الصبية إلى مكان خارج المسجد حفاظا على الهدوء فظهر الكتاب لتعليم القراءة والكتابة والحساب وعلوم القرآن والحديث. ثم أضيفت إلى ذلك علوم النحو والصرف والبلاغة، ومن الذين تخرجوا من الأزهر الشريف وبادروا إلى وضع المستوى العلمي ومحو الأمية في القرية الشيخ عبد الرحمن سلوم وولده الشيخ عتيق، والشيخ محمد جد الشيخ عتيق وهو آخر من علم الصبية في الكتاب الذي اختفى بظهور المدرسة الحديثة، ويبدو أن العلم إذا دخل بيتاً ورثه الأبناء واحداً إثر واحد. ومن الطلبة النابهين الذين تخرجوا من المسجد وأصبح لهم شأن كبير الشيخان عتيق وعبد الكريم قبيعة. وأخذ بعض المشايخ يخصصون غرفة من منازلهم، ليستقبلوا فيها الطلبة من معظم الأعمار وكان يلقى على عاتق الأستاذ وضع المناهج الدراسية وتحديد العطلة الأسبوعية ثم الإجازة الصيفية. وكان ترفيع الطالب من مستوى إلى مستوى أعلى يقرره أستاذ الكتاب أو الشيخ، ويعتمد على معايير أهمها مقدرة الطالب على حفظ ما قرر له من القرآن الكريم وحسن الكتابة والقراءة".*

وظل الطلبة يجلسون في حلقات حسب مستواهم التعليمي حتى ظهور المدارس الرسمية. فطلاب السنة الأولى يجلسون في مجموعة، والسنة الثانية في مجموعة ثانية، والثالثة في مجموعة أخرى، وكتابتهم على صفائح التنك بواسطة

مكتبة جامعة بيرزيت الرئيسية
Digitized by Birzeit University Library

الفحم، ثم تطور الوضع إلى أقلام مصنوعة من البوص وريشة تغمس في دواة مكونة من مسحوق الفحم والسناج، أما الممحاة فكانت عبارة عن خرقة من القماش.

وكانت مدة الدراسة في الكتاب أربع سنوات، وهناك من تعلم ست سنوات، أما الذي كان يتم حفظ القرآن عن ظهر قلب فكانت عائلته وزملاؤه من الطلبة بل من أهل القرية يحتفون به ويكرم تكريم الأبطال، والبعض يزف على حصان، ويقال عنه إنه ختم، وتقيم له عائلته حفلا تقر منه الموارد وقصائد البردي والمدائح النبوية، ويدعى إلى هذا الحفل الشيخ الذي تعلم على يده الطالب، وتقام الموائد وتوزع الحلوى تعبيراً عن الفرحة بهذه المناسبة السعيدة.

وبعد الاحتلال البريطاني تم افتتاح أول مدرسة حكومية ابتدائية من قبل وزارة المعارف البريطانية للذكور في غرف مستأجرة، ثم تم بناء أول مدرسة ابتدائية للبنين عام ١٩٣١/١٩٣٠ مكونة من خمس غرف وما زال بناؤها قائما ومهجورا حتى يومنا هذا.[٢٢] ومن ثم تم زيادة الغرف الدراسية حتى وصل عددها إلى ثماني غرف يتخرج منها الطالب حتى الصف السادس. وبنى أهل القرية مدرسة حديثة للذكور في موقع القف عام ١٩٣٩ مكونة من طابقين، تحتوي على ثماني عشرة غرفة يتخرج منها الطلبة عندما يصلون إلى الصف الأول الثانوي. وما زال بناؤها قائما وحولت الآن إلى مدرسة للطلبة اليهود وأطلقوا عليها اسم مدرسة شيفمان. ومن الجدير ذكره أن عددا من طلبة قريتي عين غزال وأجزم المجاورتين كانوا يأتون للدراسة في مدرسة الطيرة. بعد تخرجهم من المدارس الابتدائية في قراهم بحيث يتابعون دراستهم في الصفوف العليا السادس والسابع في الطيرة خلال فترة الأربعينيات.

ويذكر بعض ممن أجريت معهم مقابلات من أهالي القرية أسماء المدرسين الذين عملوا في الطيرة منذ بداية الثلاثينيات وهم:-

- الأستاذ حبيب غطاس مدير المدرسة من الناصرة.
- الأستاذ محمد حجازي من عنبتا.
- الأستاذ علي أبو طالب.
- الأستاذ سعيد؟
- الأستاذ اسماعيل حجير.
- الأستاذ نايف؟
- الأستاذ سميح الخولي من صفد.
- الشيخ ناجي جرار.
- الأستاذ فايز سعيد من قيسارية مدرس ومشرف المدرسة للنشاطات الرياضية.
- الأستاذ أديب صلح.
- الأستاذ محمود حماد.
- الأستاذ نجيب عبد العال.
- الاستاذ عرفات قطناني.
- الشيخ ماجد؟
- الأستاذ يوسف برهان الدجاني.
- الأستاذ عبد اللطيف.
- الأستاذ أحمد العموري.
- الاستاذ محي الدين أبو عفار.

والذي كان يود تكملة تعليمه الأكاديمي فكان يذهب إلى مدارس حيفا أو مدرسة سمبل الواقعة على الطريق ما بين حيفا والطيرة. وورد على لسان الرواة ذكر

Digitized by Birzeit University Library

أسماء بعض الطلبة ممن أكملوا تعليمهم في حيفا وهم : راجح أمين قبيعة، محمد حسين البستوني، رستم حسين البستوني، محمد أسعد الفار، شعبان يوسف الشيخ، شوقي يوسف الشيخ، محمود محمد عودة، أحمد مصطفى عمورة، إسماعيل محمد حجير درس في سمبل ثم تابع دراسته في المدرسة الصناعية بحيفا الشيخ صالح عبد الكريم قبيعة حيث كان ضريراً ودرس في المدرسة العلائية في الخليل ١٩٤١-١٩٤٧، سعيد رمضان الأمين درس في سمبل. ومن الذين أصبح لهم شأن من أهالي بعد الهجرة حيدر محمود سعيد الشاعر المعروف وسفير الأردن في تونس، محمد نجم أمين عام نقابة المهندسين الأردنيين، فريد حمادة باكير عمل سفير لبوليفيا في اليابان واسبانيا وهو خريج الجامعة الأمريكية في بيروت، جميل باكير، كامل عبد الرحمن وهو رجل أعمال، وآخرين.[٢٣]

ومن الجدير ذكره أن طلبة الطيرة كانوا يشاركون في المهرجانات الرياضية اللوائية في الناصرة وعكا وقد حصلوا على كؤوس الفوز ويعود الفضل في ذلك إلى المعلم فايز المشرف الرياضي في الأربعينيات، ومن الطلبة البارزين في الفريق الرياضي أحمد لطف علوة، عيسى محمد أبو ليث، وعبد الله المنصور، موسى نمر أبو راشد ومحمد عبد النور علوة. ومن الجدير ذكره أن الحركة الرياضية في الطيرة نشأت منذ بداية العشرينيات على يد الحاج محمد حسين باكير بالمشاركة مع مصطفى باشا الخليل الذي أقام أول نادي في بيته وسمي نادي الكرمل. وكانت أول أعمالهم الرياضية هي المصارعة المسماة زورخانة على بساط للامام علي. كما يروي د. جميل الحاج حسين باكير.

يقول غازي حجير أحد أبناء القرية : "كان عدد *طلبة الطيرة عام ١٩٤٨ ما قارب ٥٠٠ طالب*".

ومن الطرف التي حصلت في المدرسة يقول محمود خضر الشامي : "طلب مني والدي أن أذهب إلى المدرسة فذهبت، وفي أول يوم لي في المدرسة، شاهدت عددا من المدرسين يجلسون في ساحة المدرسة وعلى بعد منهم طاولة. فناداني الأستاذ وطلب مني إحضار الدواة من على الطاولة، فذهبت ووقفت بجوار الطاولة ولم أعرف معنى دواة ولا قلم، فناداني مرة أخرى وصفعني براحة يده على وجهي، فسبيت عليه وشتمته وهربت من المدرسة، فحاول والدي إرجاعي ولكن بدون جدوى، فقال لي بخليك ترعى بقر، قلت له : برعى حمير ولا برجع على المدرسة".

أما بالنسبة لتعليم الإناث فقد جاء متأخراً، ففي بداية الثلاثينيات تم افتتاح مدرسة ابتدائية في غرف مستأجرة لتعليم الإناث، وفي عام ١٩٣٤ تم بناء مدرسة ابتدائية رسمية لهن في الحارة الشمالية من القرية مكونة من أربع غرف، وبعد منتصف الأربعينيات تم بناء مدرسة نموذجية لهن ولكن رحل أهل القرية قبل استغلالها.

تقول السيدة أم رياض بنت عبد القادر حجير : "*بدأت المدرسة الأولى ببضع عشرات من الفتيات، ثم أخذ أهالي الطيرة يتسابقون إلى تسجيل بناتهم في المدرسة حتى وصل عدد الطالبات قبيل الرحيل إلى ما يقرب ٢٠٠ طالبة ولكن ضمن المرحلة الابتدائية*". وتضيف أم رياض قائلة : "*لم يكن قبل افتتاح المدرسة تعليم للبنات، وكانت فقط البنت تتعلم الأشغال اليدوية مثل الخياطة والتطريز وحياكة الصوف .. وهناك حوالي ٤-٥ بنات أكملن تعليمهن الثانوي في حيفا أذكر منهن : نفيسة طه، زريفة زعقور، ومع الأسف لم يحالفهن الحظ في إتمام ما ذهبن لأجله لأن حرب ١٩٤٨ حصلت وتمت الهجرة*". ويقول عبد الله السلمان مختار القرية : "*أول مدرسة جاءت إلى الطيرة اسمها فاطمة شرف الدين وهي مصرية، ثم جاءت بعدها محفوظة، ثم ضياء*".

Digitized by Birzeit University Library

وعملت في الطيرة أربع مدرسات في البداية، ثم ارتفع العدد إلى سبع مدرسات وهن:

- منور أسعد قبلاوي من عكا.
- تودر عبد الهادي من عرابة.
- محفوظة سعيد مديرة المدرسة وهي من قيسارية.
- ضياء عبد الهادي من جنين.
- مديحة حمادي باكير مديرة المدرسة في الاربعينيات وهي من الطيرة.
- بلقيس؟
- روزة.
- خديجة؟
- عواطف عبد الهادي.[٢٤]

وتروي الحاجة منوة محمود عيسى عبد الوهاب عن ذكرياتها في مدرسة بنات الطيرة فتقول: "كنا نتعلم قبل فتح المدرسة في بيت دار الهرمود بالأجرة وكانت تعلمنا فيه الست روزة وزوجها الأستاذ خليل، وجاءت واحدة تركية من عكا ثم معلمة اسمها آدمة، وكنا في البداية ٨ طالبات، ولما بنوا مدرسة الطيرة دخلت كثير من الطالبات فيها، وبدأن يتعلمن بالإضافة إلى تعليم المدرسة أشغال يدوية مثل الحياكة على السنارة ثم ختمنا القرآن الكريم بعد خمس سنوات حتى وصلنا إلى صف الإنجليزي وهو الصف السادس وكان ذلك عام ١٩٣٤، حيث تم بناء مدرسة في الحارة الشامية، فأخذت كل طالبة منا تزرع حول المدرسة شجرة وتأخذ على عاتقها العناية بها فتجلب لها الماء من العين وتسقيها. وكنا نتعلم القراءة والكتابة والحساب والجغرافية والإملاء والتاريخ، وكانت المعلمة في درس الجغرافية تحضر لنا خارطة من أجل أن تعرفنا على البلاد، وكان لباسنا المريول الأزرق والمنديل،

وكنا نذهب إلى شاطئ البحر في رحل مدرسية قصيرة تسمى شطحة ويحذر علينا النزول في البحر. وكنا نفرح لدرس الرياضة وننشد أنشودة ظريفة لهاذ الدرس كقولنا

مرحبا أهلا بوقت الصبى ... إنه وقت لنا والطرب
واجبات الدرس لا ننكرها ... أبداً بل دائما نذكرها
إن لعبنا يرعاه الله ... لعب مفيد مذهب عنا الدرس الشديد
كل من ضيع ذا الوقت السعيد ... غير أهل لنشاط اللعب
فترة الصبى اذكرينا أهل السماح ... ثم ندعو الله لنا بالنجاح[٢٥]

الصحة

بقيت الطيرة كباقي قرى فلسطين ذات مستوى صحي لا تحسد عليه، فلم تحظ بوجود أي مركز صحي أو عيادة أو طبيب، وأفاد أغلب الذين أجريت معهم مقابلات من أهل القرية، أن أهالي القرية اعتمدوا على الطب الشعبي في معالجة الوعكات الصحية، أما الأمراض السارية والمستعصية فكانوا يستشفون منها عند أطباء حيفا وفي مراكزها الصحية.

ووجد في القرية نساء عملن كقابلات (دايات) لمعالجة الأمراض النسائية والتوليد. وكانت تلجأ بعض النساء للتداوي من الأمراض النسائية في حالات العقم أو تعسر الولادة عند ممرضة أو مساعدة طبيب في حيفا تسمى الحاجة سنية التي أشاد الناس بمهارتها.

وحصل أن أصيب الناس بأمراض سارية وخصوصا الأطفال منهم مما أدى إلى ارتفاع نسبة الوفيات عندهم عن المعدل الطبيعي، والسبب يعود إلى قلة الأدوية

Digitized by Birzeit University Library

وجهل الناس في التعامل مع هذه الأمراض، وعدم التشخيص الدقيق والمبكر للمرض من قبل الطبيب إذا عرضت الحالة عليه. وفي هذا الصدد تقول الحاجة منوة عبد الوهاب إحدى سيدات القرية : "حصل مرة في البلدة حصبة أدت إلى وفاة عدد كبير من الأطفال لعدم وجود العلاج والأطباء. كان ذلك في نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات، ولكن في فترة متأخرة من الثلاثينيات تنبهوا إلى هذه الأمراض المعدية، فعندما كانت تحصل كانوا يأتون ويرشون شوارع القرية وأماكن إلقاء النفايات بالمبيدات الحشرية كي يستطيعوا حصر المرض والسيطرة عليه والحد من انتشاره"، وتضيف الحاجة منوة عن رواج الطب الشعبي في القرية رغم قلة الأطباء الشعبيين فيها فتقول : "أطباء الطب الشعبي في القرية هم نفر قليل مثل أبو دعيبس وكانوا عادة يتعاملون مع ارتفاع درجة الحرارة على سبيل المثال بطريق الفصد في الأذن أو الرجل، وكنا نسميه طريقة التشطيب ليسيل الدم الفاسد وأطلق على هذا المرض (بالشرية) ويطلق عليها الأطباء حساسية. كما عالج بواسطة كاسات الهوى وقيل عنها مثل (كاسات الهوى أحسن من الطب والدوى) حتى طبيب الأطفال في حيفا كان يقول للناس خذوا لهم كاسات هوا.

ونادرا ما كان الناس يستعملون الحبوب أو الشراب "الأدوية الكيماوية" من أجل العلاج لقلة وجوده وندرته. وكنا نجمع من أرض الجبل عشبة تسمى فتيلة تشبه الزعتر الفارسي فنغليها ونصفيها ونسقي الولد منها وهي مرة المذاق ونطلق عليها اسم نشالات الولد، وتستعمل عند انحصار البول عند الأطفال. كما كانت تستعمل أوراق الكينا لمعالجة كثير من الأمراض، واذكر مرة أن أحد أبناء قريتنا ويدعى أبو سليم مرضت زوجته فطلبت من زوجها أن يذهب إلى حيفا ويحضر لها دواء، فذهب عند بير بثينة وكانت تينة كبيرة بجوار البئر، فأخذ مجموعة من أوراقها وغلاها مع الماء ثم صفاها ووضعها في قنينة ورجع إلى زوجته وقال لها خذي هذا الدواء

فشربت أم سليم منه وشفيت من مرضها. وكانت بعض النساء تعالج نزول أو التهاب اللوزتين أو ما نسميه (بنات الذنين) أو السخونة بواسطة التمليس (التدليك) واختصت واشتهرت صفية الشيخ عثمان من دار سعد الدين في علاج الأطفال".[٢٦]

واشتهر في القرية عدد من القابلات عرف منهن : عائشة الشويكانية، وابنتها زينب، أم سعيد علوة وخديجة البدر، وبعد وفاة زينب قدمت إلى القرية قابلة من حيفا، وكان عمل القابلات بالإضافة إلى التوليد معالجة حالات العقم عند النساء بواسطة التبخير على بعض الأعشاب ثم قطع الطنطاف عند الأطفال.

أما معالجة الكسور والكوي بالقديح، فاشتهر بذلك بدوان الفارس ومحمد الزامل.

وأما معالجة المجاذيب أو المجانين والأمراض النفسية فكان يتعامل معها أهل القرية عن طريق الحجر وكتابة الأحجبة من قبل المشايخ أو الدراويش، واختص أفراد من دار سعد الدين في هذا المجال، كما كان الشيخ عبد الفتاح سلوم بواسطة الطب الشعبي وكتب الطب النبوي حيث كان يستعين بالأعشاب لتحقيق هذا الغرض.

ومن الأعشاب والنباتات التي دأب الناس على استعمالها في ذلك الوقت من أجل معالجة الأمراض كما تروي أم محمد حرم أحمد الزير، البيونج، والميرمية، وزيت السيرج، والمستكة، ويضيف عبد الصمد أبو راشد إلى ذلك بقوله : "كانت أغلب الوصفات الطبية تفيد بعض الشيء في قسم من الأمراض، فكانت تستعمل الحلبة من أجل معالجة القرحة والتهاب المسالك البولية، وشروش العقول لتفتيت الحصى".

Digitized by Birzeit University Library

وفي الأربعينيات من هذا القرن كان يأتي طبيب على القرية بين الفينة والأخرى وخصوصا على مدارسها للكشف على الطلبة في المدارس.

العادات والتقاليد الدينية والشعبية

ويقول سكان القرية ممن قابلت إن أهل الطيرة مثلهم مثل باقي سكان القرى والمدن الفلسطينية لهم عادات وتقاليد دينية ورثوها عن الآباء والأجداد وبقي قسم منهم متمسكاً بها حتى رحيلهم عن القرية والقسم الآخر قد تركها. ولكن جدير بنا أن نذكر أن الصفات التي امتاز بها المجتمع الطيراوي قبل الإسلام وبعده ومن هذه الصفات التديّن، فقد وجد في القرية دير وكنيسة، ووجد فيها بعد الإسلام مسجدان، الأول منهما يسمى مسجد الأربعين، ويقع في حارة المنزول في الطرف الشمالي الغربي، وقد حول من كنيسة إلى مسجد، ولم يحدث فيه الطيراويون تغييراً غير إزالة الصور والصلبان. وأبقوا على منصة المذبح في جهته الشرقية، واستفادوا من مياه البئر في باحته للوضوء. وفي أوائل القرن التاسع عشر قتل فيه أربعون رجلاً غيلة وهم سجود، إذا قام عليهم أناس من خلفهم وغمدوا فيهم سيوفهم وخناجرهم وقد هجره الناس تشاؤما وسمي بمسجد الأربعين تخليداً لذكرى الأربعين قتيلاً.*

والمسجد الثاني هو المسجد القبلي الذي أنشئ في القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي الذي تم فيه هزيمة الصليبيين ودحروا من

* يروى أن عائلتا كانتا على خلاف في القرية مما حدا بعائلة مباغتة أفراد العائلة الثانية أثناء سجودهم في الصلاة وقتلهم. لكن العدد الذي أورده الرواة كثير فلا يمكن أن يكون أربعين رجلاً من نفس العائلة يصلون في المسجد وحدهم دون أحد من أهل القرية. كما أنه لا توجد عائلة يبلغ عدد رجالها أربعين رجلاً راشدا في القرن التاسع عشر ومتوسط أعمارهم ٣٥ عاما حيث إن عدد سكان القرية كما أسلفنا في بداية هذا القرن سالف الذكر لم يتجاوز الألف نسمة، وأعتقد أن رقم ٤٠ أو ٩٩ تردد في أساطير الأولين من أجل المبالغة في الحدث والرواية.

ساحل الشام، وما زال بابه يحتفظ بالرخامة التي تعلوه، وقد كتب عليها النص التالي نقشاً. "بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا المكان المبارك الأمير عساف بن طمرماي سنة ٦٥٧هـ". ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن اليهود قد حولوه إلى كنيس بعد ترحيل أهل القرية وأطلقوا عليه اسم كنيس أم هبنيم.

كما توجد في القرية زاويتان يعمرهما أصحاب الطرق الصوفية والخلوتية والدراويش الذين كان لهم أسلوبهم وطريقتهم وفلسفتهم في الحياة، وطرقهم الخاصة في العبارة، ووجد في إحدى هاتين الزاويتين قبر يسميه أهالي القرية الشيخ محمد.

ومن أصحاب الطرق الصوفية والدراويش في الطيرة الذي أقيم على أضرحتهم مقامات : الشيخ خليل، والشيخ براق، والشيخ سليمان، ثم الشيخ ربيعة، والزقزوق. واعتقد بعض الناس أن لهم كرامات فكانوا يقسمون بحياتهم، وإذا أصابهم شر أو محنة لجأوا لهم. وكلما توفي أحد من هؤلاء الصالحين أقام عليه الناس مقاما أو قبة لتميزه عن باقي القبول، واعتاد بعض الناس زيارة قبورهم وأطلقوا عليهم اسم ولي، وقد اعتاد البعض على ذبح نذورهم عند قبورهم، لكن هذه العادة انقطعت في بداية الأربعينيات.

وكان لاحياء المناسبات الدينية في الطيرة رونق خاص عند أصحاب الطرق الصوفية كاحتفالهم بالعيدين وليالي رمضان وليلة القدر وليلة النصف من شعبان، وذكرى المولد النبوي الشريف، وذكرى الإسراء والمعراج حيث كانوا يقومون بالمسيرات ويدقون العدة ويحملون الأعلام الخضراء المتوجة بذكر الجلالة واسم الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان يتبعهم الفتيان والصبية فرحا بهذه المناسبة. ويروي سكان القرية أن هذه العادات قلت بل أصبحت نادرة بعد الأربعينيات من هذا القرن. وأخذ عامة الناس يحتفلون بالأعياد والمناسبات الدينية بطريقتهم المبسطة، فبعد صلاة العيد كانوا يذهبون إلى زيارة القبور ثم يتوجه كلّ إلى منزله أو ديوان

Digitized by Birzeit University Library

حمولته ليقدم التهاني بالعيد إلى زعيم الحمولة، ثم يأخذ الناس بالتزاور فيما بينهم بعد زيارة ذوي القربى من النساء والأرحام.

ومن المناسبات التي كان أهالي الطيرة يحتفلون بها موسم الحج حيث كانوا يترددون على بيوت الحجيج قبل سبعة أيام من سفرهم، وتقيم النساء حلقات الذكر والتحنين لهم وهي ذكر ومدائح للرسول عليه السلام، وفي صبيحة يوم السفر كان أهالي القرية يخرجون بتظاهرة عاطفية لوداعهم حتى يبلغوا بهم محطة القطار أو ميناء السفر، سواء أكانت في حيفا أو الطنطورة، وهم بصوت واحد مكبرين ومهللين، وكانت أغلب الخلافات الشخصية تسوى أيام موسم الحج حيث كان الناس يتسامحون ويعفون عن زلات بعضهم البعض، وإذا انقضى اليوم العاشر من ذي الحجة كان يبدأ العد التنازلي لعودتهم ويأخذ الناس بالترقب والانتظار حتى إذا ما عادوا استقبلهم الناس في محطة تل خريس القريبة من القرية للمسافرين بالقطار.

وإذا ما رجع الحاج سالما كان يحمل معه الهدايا لذوي القربى والأصدقاء من تمور ومسابح وسجاد للصلاة وطواقي للصغار وماء زمزم الذي كان يوزع بالفنجان للتبرك كما يروي الأستاذ عبد الصمد أبو راشد.

كما كان لظهور الأولاد بهجة وسرور كميلادهم حيث كان البعض الموسر يذبح الذبائح التي تسمى عقيقة، وتوزع الحلوى وتزغرد النساء رغم أن الشريعة الإسلامية حضت على إخفاء الظهور وإظهار النكاح.

ومن المعتقدات الشعبية التي كانت تمارس قديما في القرية التشاؤم من خسوف القمر، حيث كان يعتقد البعض أن حوت البحر يبتلع جزءاً من القمر، فيتجمع الناس مساء يوم الخسوف ويهددون الحوت بضربه بالنبوت* وبعد ظهور

* النبوت : عصا كبيرة طولها يقدر حوالي ٢م كان الناس يستعملونها من أجل الدفاع عن النفس.

البنادق أصبحوا يهددونه بالبارود، ومن العادات المميزة التي شرع أهل الطيرة باتخاذها عند الخسوف التصفيق والغناء وإطلاق الأعيرة النارية في الهواء باتجاه البحر مرددين القول : "فلت قمرنا يا حوت ولا نطلعك بالبارود والنبوت". ويبقون على هذه الحالة حتى يزول الخسوف، معتقدين أن الحوت قد خاف منهم وترك القمر.(٢٧)

ومن العادات والتقاليد الاجتماعية الحسنة التي تميز بها أهالي الطيرة كما يروي أهل القرية تعاضدهم أيام المناسبات العامة في الزواج والأفراح والأتراح في تقديم الألبان والخضار والحطب بعضهم لبعض.

كما كان للضيف مكانته السامية في الطيرة فمنذ اللحظة التي تطأ قدماه أرضها يُكرم وتقدم له كل مساعدة وتقول أم محمد حرم أحمد الزير : أن أهالي القرى المجاورة أطلقوا على الطيرة أم الغريب، ويروي الأستاذ عبد الصمد قصة حصلت في الطيرة فقال : "حدث عبد المجيد خليل الشيخ الصفوري أبو سامي من قرية صفوريا قصة حدثت معه فقال : فقدت مسدساً لي في شجار وقع في بلدتي صفوريا عام ١٩٣٧، فأخذت اتتبع واستقصي أخباره حتى علمت أنه بيع لرجل من الطيرة اسمه عيسى البطل* فقصدته وابن عم لي في بلده، وقادنا السؤال عن منزله إلى دكان ابن عم له يدعى كرم الفهد، وبكل صعوبة تخلصنا من كرم الرجل الذي أرشدنا إلى بيت قريبه عيسى، فاستأذنا بالدخول فرحب الرجل بنا وأدخلنا حجرة الجلوس وكانت مفروشة بفراش الصوف والمساند القشية وبساط الشعر البلدي، ثم دخل علينا شاب فسلم فنظر إليه والده فخرج، ولم يغب طويلاً حتى مدت أمامنا مائدة من صواني اللحم وسلطة الخضار واللبن.

* عيسى البطل : من جماعة القسام توفي عام ١٩٤٨ في السيلة الحارثية بعد رحيله عن القرية وهو من مؤسسي منظمة الكف الأسود.

Digitized by Birzeit University Library

وبعد خروج الشاب أخبرناه بغرض زيارتنا المفاجئة فقال لي اطمئن لن ترجع إلا بمسدسك أو بما هو أفضل منه، ولما فرغنا من الطعام استأذنا بالانصراف فقال : ليس قبل ثلاثة أيام هذا حقكم، قلت : لا يعلم أحدٌ بخروجنا ونخشى الفتنة في البلد من ورائنا ففتح جارورا في خزانة وقال أن أبيتم إلا العودة، فانظر يا صاحبي مسدسك بين هذه المجموعة، وكانت خمس مسدسات فتناولته من بينها وكنت قد وصفته له فمددت يدي إلى جيبي لاخراج خمسة عشر جنيهاً كما اشتراه من سارقه فقال ان مددت يدك على شئ من جيبك فلست برجل ولا تقدر الرجال. فأخرجت يدي فارغة ثم قال لولده : يا حسن! اذهب وائت بسيارة ولما حضرت قال للسائق امض بالسيدين إلى صفورية ولا تقف حتى تصل إليها، قلنا نريد حيفا قال : تقصدونها من بلدكم بعد أن ترجعا بسلام. وبعد وصولنا صفوريا عرضنا على السائق النزول ليبيت عندنا فأبى، ثم عرضنا عليه الأجرة فجن جنونه وقال : يا عيب أتريدونني أن أكون بلا شرف ولا أمانة؟ تريدون أن أكسب عداوة الرجل ولبس العار إلى الأبد؟! فاستحيينا من موقفنا فما كان لنا أن نطعن ذا مروءة بمروءته ولو عن اختبار".[٢٨]

ويروي عبد الله السلمان عن التعاضد والتكافل الاجتماعي قائلاً : "عندما زوجت ابني (وجيه) دعيت إلى حفل زفافه آلاف الناس من خارج البلاد، وعندما حضروا قام أهالي البلدة باستضافتهم جميعا وأدوا واجبهم وذبحت للعرس ما بين ٤٠٠-٥٠٠ ذبيحة لم أدفع ثمن واحدة منها جميعها كانت هدايا من الضيوف وكتبت الجرائد في ذلك الوقت عن كرم وحسن استضافة أهل الطيرة وتعاضدهم وإكرام الضيف".[٢٩]

المقابر في القرية

تعددت المقابر في الطيرة على مر الدهور والأزمان واختلفت مواقع دفن الموتى بين الحين والآخر، فعمرت مقابر وهجرت أخرى، ويروي أهل القرية أنهم يعرفون أكثر من ثماني مقابر استعملت حتى عام ١٩٤٨، فالمقابر تحيط بالقرية كالسوار من كل جانب، وأحيانا يطلق على المقبرة أكثر من اسم وكل حمولة أو حارة لها مقبرة خاصة تدفن موتاها بها، وقد تسمى المقبرة باسم الحمولة أو الجهة التي تقع بها، وتقول أم محمد حرم أحمد الزير إحدى سيدات القرية في هذا الصدد: "يوجد في القرية عدد من المقابر مثل مقبرة وادي العين، ومقبرة الشيخ خليل في الشرق، ومقبرة دار حجير، ومقبرة الشيخ رومي، ومقبرة لدار الأبطح والفهد بالقرب من القهاوي، وكانت كل حمولة تدفن موتاها في المقبرة القريبة منها أو في مقابر خاصة بالحمولة".

وذكرت ساهرة درباس عن مواقع وأسماء مقابر القرية والتغيرات التي طرأت عليها بعد ترحيل أهل القرية :

١) مقبرة دارة علوة في الجنوب الغربي للبلدة، اندثرن وأقيم مكانها نصب تذكاري وبريد.

٢) مقبرة دار زيدان الحارة الشمالية اندثر نصفها وبني عليه كنيس.

٣) مقبرة دار حجير في الحارة الشرقية مهجورة.

٤) مقبرة في الجهة الغربي للبيادر اندثرت وأقيم عليها حديقة عامة.

٥) مقبرة على سفح الجبل تحت المرقصة قرب مقام الشيخ خليل لازالت قائمة.

٦) مقبرة لدار السعدي، وسلوم، وعبد القادر من الجهة الشرقية للبلدة تحت المدرسة ما زالت قائمة.

٧) مقبرة فحيرة السمقة في الجهة الجنوبية لا زالت قائمة.

Digitized by Birzeit University Library

٨) مقبرة من الجهة الشرقية قرب خزان مياه البلدة لدار درباس، وأبو عيسى، والقصيني، والباش وهي أكبر المقابر في القرية وقد استمر أهل الطيرة في دفن موتاهم فيها حتى سنة ١٩٧٠ لمن تبقى في منطقة حيفا منهم ولم يرحل عام ١٩٤٨. ويحاول أهالي الطيرة إحياءها الان على أثر أخبار مفادها أن اليهود ينوون إقامة حي سكني عليها "ابني بيتك" والذي سيربط بين منطقة دنيا وخيرات هكرمل. وقدر عدد اليهود الكلي للبلدة حوالي ٢٠٠٠ قبر اندثر منها حوالي ٥٠٠ قبر[٣٠] وكان قسم كبير من أهالي القرية يبنون قبور موتاهم ويكتبون على شواهدها اسم وتاريخ الوفاة مع آية من القرآن الكريم، وقسم كان يزرع بجوار القبر نباتات دائمة الخضرة أو الورود.

الزواج والأفراح في القرية

تتماثل العادات والأعراف الاجتماعية بالنسبة للزواج في الطيرة مع باقي قرى فلسطين، وتتشابه هذه العادات في أغلب مراحلها بدءا في اختيار العروس وعقد القران أو الخطبة ثم كتب الكتاب وعقد الزواج، ثم ليلة الحناء والتعليلة ويوم الزواج الذي يتوج باحضار العروس إلى بيت الزوجية.

اعتادت الأم الطيراوية عند بلوغ أحد أبنائها سن الزواج أن تبدأ في البحث له عن عروسٍ ذات حسب ونسب لتكون كنة لها، ومن مستواهم الاجتماعي والاقتصادي. وكان يتم في البداية البحث والتمحيص والمشاورات عند ذوي القربى، فإن كانت له ابنه عم أو عمة أو خالة مناسبة فيستشار في ذلك وإلا فتبدأ الأم في البحث في الحارة أو خارج نطاقها فإن وقع اختيارها على إحدى الفتيات استشارت ابنها في ذلك، فإن نالت إعجابه أعطى موافقته، فعندها تذهب الأم وأخواته أو إحداهن إن وجد لتقد العروس في بيت والدها، وبعد رجوعهن توصف الفتاة للعريس، فإن ناسبه الأمر ومال قلبه لوصفها، تعود النساء مرة أخرى إلى بيت

العروس وتكون في البداية مشاورات نسائية فإن وافقت أم العروس، يأتي بعدها دور الرجال بحيث يبعث والد العريس بعدد من وجهاء القرية إلى والد العروس لطلب يد ابنته وبعدها يطلب والد العروس مهلة من الواسطة يوم أو يومين لاستشارة أقاربه، وكانت تقتضي العادات والتقاليد أن يستشير والد العروس أقاربه فإن تحراها واحد من أقاربه لابنه فيسقط الخيار الأول، وكانوا يرددون القول "ابن العم بنزل عن الفرس" وكان البعض يفضل زواج ابن العم أو الأقارب خوفاً من أن يذهب الميراث إلى عائلة ثانية، وإن لم يعترض أحد أو يتحرى كان فتتم الموافقة ويحدد المهر وقت الخطبة، ثم يعقد عقد الزواج بواسطة مأذون القرية وبحضور لفيف من أقارب العريس والعروس، ويشهد على العقد اثنان من الرجال، واحدٌ من أقارب العروس وآخر من أقارب العريس. ويشهد يوم الخطبة وعقد الزواج أفراحاً وأغاني للنساء وتوزع الحلوى.

وتحتجب العروس عن خطيبها طيلة فترة الخطوبة وقد تسترق النظر إليه من بعيد.

يوم الزواج

قبل سبعة أيام من يوم العرس وفي رواية قبل ثلاثة أيام تعم الفرحة بيت العريس، بعد أن يكون قد هيأ نفسه وفرش بيته واشترى أهل العروس لابنتهم كل ما يلزمها من ملابس ومصاغ وأثاث خفيف لبيت الزوجية.

وقبل العُرس بيوم تذهب النساء بفاردة، يحملن الطيب والعطور ويذهبن يغنين من بيت العريس إلى بيت العروس، ويقوم عدد من شباب عائلة العريس بمرافقتهن عن بعد من أجل حمايتهن، وعادة ما تكون الفاردة في وقت المساء، وخلال سيرهن في الشارع كنّ يقمن بالغناء مفتخرات بنسبهن وحسبهن ويرددن:-

Digitized by Birzeit University Library

زيللو عن الدرب زيللو تيمرق الظعن كله
زيللو عنا يأهلنا تيمرق باقي ظعنا
زيللو عنا يا يهود تتمرق بنت الجدود
زيللو عنا أعادي تتمرق بنت الأجواد

وإن كانت العروس من بلد آخر فيذهب لإحضارها عدد من النسوة مع باقي وجهاء البلد وأفراد العائلة، وكانت الذبائح تسبق الفاردة بيوم من أجل تجهيز الغداء لها، وتنقل العروس من بلد إلى آخر على ظهور الجمال في السابق، أو ما يسمى بالهودج، وبعد ظهور السيارات واكب أهل الطيرة هذا التطور وأصبحت العروس تُحضر في السيارات.

واشتهرت نساء الطيرة بنمط معين من الغناء إذا ذهبن لإحضار عروس من بلد آخر كقولهن :

دقت كنادرنا على بلاط حلب
واحنا حطينا فيدك ميتين عد الذهب
قومي اركبي يا زينة والخيل تتقط عرق
واحنا حطينا فيدك ألفين لميرة ورق
قومي اركبي يا زينة يا حلوة يا أم الخال
قومي اركبي على الجمال واحنا معنا رجال

وهذا النوع من الغناء يدل على اعتزاز وافتخار المرأة الطيراوية بغنى رجال القرية ورجولتهم وكرمهم. ومن أجل اطمئنان العروس وأهلها على مستقبل ابنتهم.

وكان يظهر بين الفينة والأخرى نمط من الغناء السياسي وحسب الفترة السياسية سواء في النيل من الاستعمار أو مديح الثوار كما برز هذا النوع من الغناء أثناء ثورة ٣٦.

تقول الحاجة منوة محمود عيسى عبد الوهاب : "كنا نمدح رجال القرية وزعماءها كذلك كنا نتغنى في جمال قريتنا ونقول:-

لطلع على راس الجبل واشرف على الوادي وأقول يا مرحبا نسم هوا بلادي
لطلع على راس الجبل وادخل على الله والقى ولفي نايم بحفظ الله
ناولني البرودي يا واقف على الباب دولة نهابة يا دولة السلطان
ناولني سيفي يا واقف على الباب لحيي ظيفي وأنا ابو فلان[٣١]

وكانت أحيانا يحدث بعض الحساسيات بين حمائل القرية وزعمائها فكانت نساء كل حمولة تجتهد في نوع من الغناء تبرز فيه محاسن زعيم الحمولة أو مختارها وتصفه بصفات حسنة وتهجو زعيم الحمولة الأخرى إما بالتصريح أو التلميح.

فتقول إحدى سيدات القرية : "*اختلف مختارها مع مختار حمولة أخرى وأصبح بينهم خلاف، فحصل عندنا فرح حيث تزوج أحد أبناء العائلة فأخذنا نغني في الشارع عندما ذهبنا لإحضار العروس كي نكيد الحمولة الثانية بقولنا:-*

عودنا الأخضر وانت اليابس يا شيخنا بين المشايخ جالس
يا شيخنا بين المشايخ لابس يا شيخهم بين المشايخ يابس
يا شيخنا بين المشايخ يحكي يا شيخهم بين المشايخ يبكي

Digitized by Birzeit University Library

أما حفلة الرجال فتسمى التعليلة، فكان رجال القرية يتجمعون في المنزول ويشعلون النار ويبدأ الشباب بركوب الخيل وترقيعها على أنغام الناي واليرغول، وتبدأ السباقات بينهم بينما يجلس الوجهاء وتصب القهوة ويصطف الرجال من على الجنبين ويبدأ الشاعر الشعبي بالقول والغناء، فيمدح في البداية طه الرسول ثم مشايخ القرية وزعماءها ثم الطيرة وأهلها بشكل عام. ويحيي الضُيوف والمعازيم من القرى المجاورة، وكان من عادات أهل الطيرة دعوة أصدقائهم من القرى المحيطة.

ومن شعراء أهل الطيرة العتيلي وتردد على أعراسها أبو حسان سعود الأسدي، والشاعر أحمد العميا، ثم الشاعر أسعد عطا الله. ومن شعر أحمد العميا هذه الأبيات في أحد أعراس أهل الطيرة التي ذكر فيها أسماء زملائه من الشعراء الشعبيين بقوله :-

أنا العميا لتحيا	يوم الغيّة بحسن لقواس
من الطيرة الشهيرة	يوم الغيرة برفع الراس
أما سعيد قوم عند	قمبازو جيد عودة مياس
ابن عابد سبع لابد	يوم الشدائد ما بنداس
من البعنة لو تسمعني	كلامو مبني على اساس
أبو خليل باعو طويل	بحبال الميراس ما بنقاس
ساكن شعب أهل الأدب	صاحب طرب عندو نوماس
شناعة مريح كلامو زيح	يوم الصيح حقو ما خاس
ساكن طمرة أهل الشهرة	قولو عطره زاكي الأنفاس
أما يحيى فليحيا	ذكروا واصل لطوباس
.....	.....(٣٢)

وروى لي عدد من أبناء القرية عن زفة العريس قائلين :-

وفي صبيحة اليوم التالي تكون زفة العريس، فبعد حمامه في بيته، أو في بيت أحد أقاربه أو أصدقائه يزفه الرجال، وتكون النساء خلفهم وبعد انتهاء الزفة يذهب أهالي القرية والمدعوون إلى بيت والد العريس لتناول طعام الغداء.

والغناء في الزفة يأخذ طابع مديح العريس كقولهم : "طلع الزين من الحمام الله واسم الله عليه".

يركب العريس فرسا مزينة بالورود والمناديل الملونة يوم زفافه وفي عصر هذا اليوم يذهب وجهاء الحمولة وبعض النساء لإحضار العروس من بيت والدها، فإن كان بيتها قريباً من بيت الزوج تأتي سيرا على الأقدام وإن كان بعيداً فتغطى بعباءة وتركب على الفرس وبعد ظهور السيارات أصبحت تحضر بالسيارة.

وتقول النساء عادة عند أخذ العروس من بيت والدها إلى بيت زوجها شاكرات أهلها:-

يخلف عليكم كثر الله خيركم	ما اعجبنا من نسايب غيركم

وبعد الزواج بأسبوع تقدم التهاني للعروسين ثم يقدم النقوط.(٣٣)

مشاهير أهل القرية

أجمع الرواة الذين قابلتهم من أهل الطيرة على أن الشيخ الجليل عبد الفتاح سلوم من أشهر رجال القرية، فقد جمع بين العلم والحكمة، ويذكره الطيراويون بشيء من التكريم والتبجيل ويلقبونه بالعالم. ويذكر عبد الصمد أبو راشد عنه ويصفه أنه رجل فكر وطب وحكمة ومرجع القرية وما حولها من بلاد وقرى، بدأ حياته في العلم ثم أكمل دراسته في الأزهر الشريف، عمل في الطب الشعبي، لقبه

Digitized by Birzeit University Library

أهل القرية بالطبيب والصيدلاني لم يكن مشعوذاً ولا ساحراً فقط كان يأخذ بالأسباب في قضاء حاجاته. كرس جل حياته من أجل إصلاح ذات البين، وكان يؤم منزله طلبة العلم ويغص بيته بالزوار كل حسب حاجته.

كذلك اشتهر والده الشيخ سلوم أحد رجال الدين المشهورين في القرية في الورع والتقوى والعلم. فكان مفتيا وفقيها، لجأ إليه العامة والخاصة من الناس للاحتكام لرأيه.

ومن الرجال الذين صنفوا على أنهم رجال علم ودين واشتهروا في الطيرة، الشيخ عتيق الذي عمل إماماً ومفتياً في القرية، وجاء بعده الشيخ عطا علوش، وأصبح بعدهم الشيخ خالد الدهلوم.

ومن مخاتير القرية الذين تم ذكرهم بواسطة الرواة، مصطفى الطاهر وهو من أقدم مخاتير القرية، واصبح له شأن في ظل الحكومة العثمانية. ثم جاء بعده عبد الوهاب الريس الذي تصفه الحاجة منوة عبد الوهاب بأنه أصبح حلقة الوصل ما بين الحكومة والقرية، وأصبح له مركزٌ مرموق في الحكومة.

وفي ظل حكومة الانتداب تسلم المخترة في القرية العبد المحمود، ومحمد عسقول، وفهد العباس حمادي باكير، وعيسى الناجي، وحسن عبد عمورة، ثم عبد الله السلمان، ومحمد البطل، وعبد القادر عسل، ومحمد يحيى الشايب، ويوسف الطاهر، وخضر الادريس، ونجاة الأمين.

ومن الجدير ذكره أن أهالي القرية عقدوا العزم في شهر أيار من عام ١٩٤٥ على تشكيل مجلس قروي من أجل إدارة شؤون القرية وتصريف أمورها عوضا عن المختار الذي كان يقوم بهذه المهمة، لكن خلافات حصلت بين عائلات القرية على من يكون الرئيس، حيث تنافس على رئاسة المجلس كل من مختار

القرية عبد الله السلمان وزيد عمورة أحد أفراد عائلة عمورة ولم تسفر نقاشات سكان القرية عن شيء عدا تشكيل لجنة من القرية عوضا عن المجلس القروي، رغم رجحان كفة عبدالله السلمان ومؤيده.

ومن الأهمية بمكان أن نذكر اهتمام الهجناة بهذه القضية بذلك الوقت فورد بتقاريرها الاستخبارية تفاصيل عن هذه القضية وعن الخلاف الذي حدث بين أنصار زيد عمورة رجل الأعمال الحيفاوي من أصل طيراوي، وبين أنصار عبد الله السلمان، وورد في التقارير الاستخبارية أن أنصار الأول رموا الثاني بإشاعات تبرأ منها الثاني أمام رشيد الحاج إبراهيم.

الزي الشعبي واللباس

اختلف اللباس الشعبي في الطيرة من فترة إلى أخرى، فكان الثوب هو اللباس الشعبي للرجال في ظل الحكومة العثمانية لعامة الناس، والدماية لخاصتهم أو للأغنياء منهم، أما الثوب فكان قاتم اللون ويلبس في الصيف والشتاء، ويرتدون فوقه أيام الشتاء القارس ما يسمى بالبشت وهو سميك القماش خشن الملبس والملمس.

أما خلال العشرينيات والثلاثينيات فظهرت الدماية والقنباز والروزة، حيث استخدم رجال القرية أنواعاً ثلاثة، فالدماية كانت من القماش الصوفي القطني، وتكون ألوانها متباينة، ويغلب اللون الأسود والأبيض المخطط عليها. أما القنباز والمعطف فيغلب الصوف والجوخ على نوعية قماشه. والنوع الثالث هو الروزة التي يغلب عليها اللون الأصفر القاتم أو البيجي وتكون عادة من الحرير.

كما يرتدي الرجال السروال أو ما يسمى بالشروال ويكون عادة لونين، فمنه الأبيض والأسود. وهو فضفاض في جزئه العلوي وضيق في أرجله. وغطاء الرأس الحطة والعقال والطقية. أما الحطة فتكون ذات ألوان ثلاثة؛ الأسود الصوفي

Digitized by Birzeit University Library

وتلبس في الشتاء، والأبيض الصيفي، والأصفر الحرير أو ما يسمى بحطة الشحوت، التي كان يرتديها عادة زعماء القرية، و الأغنياء منهم.

أما الطقية فكان يغلب عليها اللون الأسود وتكون في الغالب من الصوف واللون الأبيض، وهي منسوجة من القطن أو الحرير أو الصوف. ويضعون على خصورهم حزاما يسمى بالشملة يكون لونه غالبا أسود، والأغنياء منهم كان يرتدي شالاً أبيض تتخلله خطوط سوداء رفيعة.

أما رجال الدين أو المتدينون والمشايخ أو الدراويش من أهل القرية فكانوا يرتدون الجبة والعمامة على الرأس، وهي عبارة عن شاشة بيضاء أو حطة بيضاء ملفوفة بشكل دائري لتميزهم عن العوام.

وبعد منتصف الثلاثينيات وبداية الأربعينيات أخذ الشباب والصبية يلبسون البنطال والقميص والمعطف الافرنجي أو ما يسمى بالبدلة الرسمية، لكن غطاء الرأس بقي واجباً في الثلاثينيات على الشباب والمقصود هنا الحطة والعقال. لكن في بداية الأربعينيات تحرر الشباب من غطاء الرأس وأخص بالذكر المتعلمين ومن يعمل في المنشآت الصناعية خارج القرية.(٣٥)

ويقول محمود أحمد سعيد في كتيبه طيرة حيفا : "أما النساء فاعتدن ارتداء الثوب الطويل أو الفستان الذي يكون مزموما ومنتفخا عند الكتفين. والكم يكون في نهايته سحب أو بزند له عروة وزر. وعند الصدر مفتوحاً على شكل V وفي نهاية هذه الفتحة من الأسفل أزرار عددها في الغالب أربعة.

وفيما يتعلق بتنورة الفستان فكانت مزمومة من الأعلى وطولها إلى أسفل الركبة، وفي نهايتها غبنات عددها ثلاث أو أربع وفوق الغبنات كانوا يخيطون ما يسمى بالخرج ويعلق في نهاية التنورة الكشكش المزموم وبذلك يصبح الفستان بطول

كامل. وكان يزين الفستان بالخرج وهو عبارة عن أشرطة الزينة التي تنتهي متعرجة أو ركامية أورييان.

كما اعتادت النساء على وضع منديل من الشاش الأبيض الخفيف بشكل مثلث على الرأس معقود إلى الخلف، وبعد هذا يقمن بوضع منديل خفيف معرق بألوان مختلفة يلف بشكلٍ مستطيل ويربط بشكل عصبة فوق المنديل الأول وفوق هذه العصبة توضع الحطة البيضاء على الرأس وتلف إلى الخلف حول الرقبة وتربط.

كذلك اعتادت النساء على ارتداء الشنتان (الشنتيان) الذي كان بأرجل عريضة فضفاض وفي نهايته يدكك بمطاط، وكانت النساء تضع حول خصورهن حزاماً من القماش يسمة بالشال، وغالباً ما يكون من الحرير الطبيعي الثمين لدى نساء الأثرياء ويعقد هذا الشال من الخلف".(٣٦) واستعملت المرأة الطيراوية خيوط الحرير والمرعز السوداء من أجل تجديل ضفائرها.

وكحل العيون هو زينة المرأة الطيراوية وكانت تحضرها بيدها فكانت تشتري الكحل الخام وتحرقه وتدقه في الهاون، ثم تضعه في المكحلة وتتزين به متى تشاء، كما تروي إحدى سيدات القرية.

Digitized by Birzeit University Library

يبدو أن الوعي وانتشار العلم قد حد من الأفكار والروايات المتوارثة عن الآباء والأجداد وخصوصا المتعلقة بالخرافات والأساطير والأماكن التي يعتقد أنها مسكونة من قبل الجن أو الغول أو الشياطين. وعند سؤال بعض الرواة عن الخرافات والأساطير والأماكن المسكونة أجاب بعضهم وخاصة الكهول منهم أن هذه القصص قديمة وخجلوا من ذكرها، واستبدلوا الحديث وغيروا مجراه. أما كبار السن من الرواة فإنهم أبدوا تجاوبا على الأسئلة عن هذا الموضوع وأعطوا انطباعاً بإيمانهم بها. وقسم منهم روي لي بعضاً منها.

يقول جمعة غنام أحد سكان القرية : "*كان عندنا مغارة تسمى مغارة الخنوصة وفي هذه المغارة توفيت امرأة كان بها مرض معد، فوضعها الناس فيها وتوفيت في المغارة وكان ذلك زمن تركيا، وأخذ الناس يعتقدون أن لها غولة بتطلع للناس، وأخذ الناس بالمقولة أن هذه المغارة مسكونة وبها رصد، وفي يوم من الأيام عندما كنا صغاراً كنا قاعدين في الليل باب النادي في البلد فقال أحد الشباب الأكبر منا سناً : مين بروح يضع هذه الطقية في مغارة الخنوصة وله ٢ كيلو هريسة، قلت له : أنا بروح، فتبرعت أنا بالذهاب وسرت في طريقي إلى المغارة، لكن الشباب سبقوني من طريق أخرى إليها واختبأوا بداخلها دون أن أشعر بهم، وعندما وصلت المغارة وهممت بالدخول إليها. ألقي علي حجر من داخلها، ففكرت في الأمر رغم ارتباكي في البداية وقلت هذا عمل إنساني وليس جان. فصعدت إلى أعلى المغارة وأخذت ألقي الحجارة من أعلى على باب المغارة ثم نزلت وأخذت ألقيها من جدار بابها إلى الداخل فأصاب حجري أحد*

الرفاق المتواجدين داخل المغارة فشج رأسه فصاح خلص بكفي واسمه موسى الأشقر ثم خرجوا من المغارة وكانت نيتهم عمل مقلب لي".(٣٧) لكن كبار السن

وخاصة النساء منهم كانوا يحذرون أطفالهن من الذهاب إلى هذه المغارة معتقدين أن بها غولة أو رصد قد يؤذيهم".

وتقول أم محمد حرم أحمد الزير : "*كان كبار السن في القرية يروون لنا أنهم عندما كانوا يذهبون إلى الأرض الجبلية، يشاهدون الغول، حياة عمي الحاج مسعد روى لي أنه حدث أن انقتلت واحدة بجوار بيته بالقرب من وادي عبد الله ولم يعرف أحد السبب، فقال عمي : جاءت لي في الليل وأقعدتني وطلبت مني أن أخبر ولدها عن مكان المصريات التي وضعتهن في حياتها تحت برميل الطحين، وبالفعل ذهبت وأخبرت ابنها الذي قام بدوره بالحفر تحت برميل الطحين ووجد المصريات*".(٣٨)

يقول غازي حجير أحد أبناء القرية : "*لما قتل المختار محمد عسقول وضعه الثوار في مغارة قرب السيلة الحارثية، فذهب الناس بعد ثلاثة أشهر للبحث عنه وعندما اهتدوا إلى مكانه وجدوه على ذمتهم بملابسه على حاله لم ينتفخ جسده ولم يتعفن دليل أنه قتل ظلما*".(٣٩)

ويعتقد الناس أن من يقتل ظلما أو يموت شهيدا لا يتعفن جسمه ويبقى كما هو، وهذه العبارات إنما هي تشجيع للمقاتلين وعزاء لأهل الفقيد ، وتروي الرواية السالفة من قبل أناس متعاطفين مع المختار عسقول أو من قبل أقربائه من أجل تبرئته من التهمة المنسوبة إليه ويعتقدون أنه قتل ظلماً.

وأخيرا نستطيع القول إن أغلب الروايات السالفة قد تناقلتها الأجيال أباً عن جد، ولم يشاهدها الراوي نفسه مما يجعل الإنسان يشك في تكامل عناصرها ودقة أحداثها، كما أن الراوي في أغلب الأحيان يقول : قيل لي، أو سمعت من ... ولم يقل راو أنني شاهدت. وهذا يقلل من الاعتقاد بصحة الرواية وتكاملها. ولا سيما أن عاطفة الراوي تدخل في الرواية فربما يزيد أو ينقص منها، فلا يمكن أن يؤخذ بها كشيء مسلم به.

Digitized by Birzeit University Library

هوامش الفصل الرابع

١. Wolf and Abdulfattah Historical Geography of Palestine, Traus-Jordan and Southern Syria in the late 16th century PP. 157-160.

مصدر سبق ذكره.

٢. Condor and Kithchener, The Survey of Western of Palestine Sheet, V.Jerusalem,1970.P285.

٣. Barron J.B. Report and Genral Abstracts of the Census of Jerusalem, P.33. 1922,

٤. أ. ملز، سجل إحصاء نفوس فلسطين عام ١٩٣١، القدس، ١٩٣٢ ص ٩٧.

٥. Hadawi, Sami, Village Statistics, 1945. Lebanon, 1970 P. 49.

٦. الخطيب، محمد نمر، من أثر النكبة، المطبعة العمومية، دمشق ١٩٥١، ص ٣١.

٧. البطل، عبد الرحمن مصباح، مخطوط غير منشور عن تاريخ قرية الطيرة، مصدر سبق ذكره.

٨. مقابلة ميدانية مع طه محمد قزق ٧٥ سنة، عمان بتاريخ ١٩٩٤/٧/١٦.

٩. عودة، عبد الله، الكبابير بلدي، الجزء الأول إصدار دار المشرق شفا عمرو ١٩٨٠

ص ٧٦.

١٠. مقابلة مع محمود خضر الشامي من مواليد ١٩١٤، مخيم نور شمس، مصدر سبق ذكره.

١١. مقابلة مع أم رياض بنت عبد القادر حجير، ٥٥ سنة، مخيم الفارعة، بتاريخ ١٩٨٧/٢/٤.

١٢. مقابلة مع أم محمد حرم أحمد الزير، ٧٠ سنة، مخيم الفارعة، بتاريخ ١٩٨٧/٢/٤.

١٣. مقابلات مع عدد من أهالي القرية :

ياسين أحمد محمود غنام، مخيم بلاطة، مصدر سبق ذكره.

جمعة أحمد محمود غنام، مخيم بلاطة، مصدر سبق ذكره.

مخطوط عبد الرحمن مصباح البطل، بوسطن، مصدر سبق ذكره.

عبد الصمد أبو راشد، اربد.

عبد الله السلمان، اربد.

عبد الرؤوف نايف العبد المحمود مواليد ١٩٢١، اربد بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢٢.

١٤. Conder and Kitchener, The Survey of Western Palestine Sheet, V. PP. 285.

مصدر سبق ذكره

١٥. أ. ملز إحصاء نفوس فلسطين ١٩٣١، القدس ١٩٣٢، ص. ٩٧.

١٦. مقابلة مع غازي حجير، مخيم بلاطة، مصدر سبق ذكره.

١٧. مقابلة مع عبد الصمد أبو راشد، اربد، مصدر سبق ذكره.

١٨. البطل، عبد الرحمن مصباح، مخطوط تاريخ طيرة حيفا، مصدر سبق ذكره.

١٩. مقابلة مع أم رياض بنت عبد القادر حجير، مخيم الفارعة، مصدر سبق ذكره.

٢٠. الموسوعة الفلسطينية، قسم الدراسات، مقال بقلم عبد الكريم رافق، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٠. ص ٩٣٨.

٢١. مقابلة مع محمود خضر الشامي، مخيم نور شمس، مصدر سبق ذكره.

Digitized by Birzeit University Library

٢٢.درباس، ساهرة، طيرة حيفا، وطن عصيّ على النسيان، الطبعة الأولى، نيسان ١٩٩١

ص ص ١٤-١٥.

٢٣.مقابلات مع عدد من أهالي القرية :

غازي حجير، مخيم عسكر، مصدر سبق ذكره.

جمعة غنام، مخيم بلاطة، مصدر سبق ذكره.

عبد الصمد أبو راشد ، اربد.

كتاب سعيد، محمود أحمد. طيرة حيفا ما بين ١٩٠٠-١٩٤٨، مصدر سبق ذكره.

٢٤.مقابلة مع أم رياض بنت عبد القادر حجير، مخيم الفارعة، مصدر سبق ذكره.

٢٥.مقابلة مع الحاجة منوة عبد الوهاب ٧٤ سنة، بلاطة بتاريخ ١٩٩٤/٣/٥.

٢٦.المصدر السابق.

٢٧.مقابلة مع عبد الصمد أبو راشد، أم رياض بنت عبد القادر حجير أم محمد حرم أحمد الزير.

٢٨.مقابلة مع عبد الصمد أبو راشد، مصدر سبق ذكره.

٢٩.مقابلة مع عبد الله السلمان، مصدر سبق ذكره.

٣٠.ساهرة درباس، طيرة حيفا، وطن عصيّ على النسيان، مصدر سبق ذكره. ص ص ١٨-١٩.

٣١.مقابلة مع الحاجة منوة محمود عبد الوهاب، بلاطة، مصدر سبق ذكره.

٣٢.درباس، ساهرة، طيرة حيفا، مصدر سبق ذكره. ص ص ٢٢-٢٥.

٣٣.مقابلة مع عدد من أهالي القرية أم محمد حرم أحمد الزير، عبد الصمد أبو راشد، غازي حجير.

٣٤.مقابلات مع عدد من أهالي القرية :

غازي حجير، مخيم عسكر، مصدر سبق ذكره.

مخطوط عبد الرحمن مصباح البطل، مصدر سبق ذكره.

عبد الله السلمان، مصدر سبق ذكره.

أم رياض بنت عبد القادر حجير، مصدر سبق ذكره.

٣٥.مقابلات مع عدد من أهالي القرية :

غازي حجير، مخيم عسكر.

محمود خضر الشامي.

مخطوط عبد الرحمن مصباح البطل.

٣٦.سعيد، محمد أحمد. طيرة حيفا ما بين ١٩٠٠-١٩٤٨، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١، قدسية للنشر والتوزيع، اربد، عمان. ص ص ٣٥-٣٧.

٣٧.مقابلة مع جمعة غنام، مخيم بلاطة، مصدر سبق ذكره.

٣٨.مقابلة مع أم رياض بنت عبد القادر حجير وأم محمد حرم احمد الزير، مخيم الفارعة، مصدر سبق ذكره.

٣٩.مقابلة مع غازي حجير، مخيم عسكر، مصدر سبق ذكره.

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الخامس

حرب ٤٨ والرحيل

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الخامس

حرب ٤٨ والرحيل

ساد بعيد الحرب وضع مشوبٌ بالحذر والترقب، وأخذت شوكة اليهود ونفوذهم يتناميان في المنطقة، وأخذوا يوطدون دعائم مؤسساتهم العسكرية والاقتصادية، ونشطت مؤسسة الكيرن كيمت في الاستيلاء على الأراضي العربية وسيطرتها على الأراضي التي تمت مصادرتها من قبل الجيش البريطاني عن طريق التنسيق المستمر بينهما.

ويقول عبد الرحمن مصباح البطل في هذا الصدد: "*وحينما بدأت المؤسسات الصهيونية في محاولة استملاك بعض الأراضي في الطيرة قام المرحوم عيسى البطل بتأسيس جمعية "الكف الأسود" السرية التي كانت تلاحق سماسرة الأراضي وتصفيهم مما أسهم بشكل رئيس في الحد من تسرب قسم من أراضي الطيرة لليهود وإن كانت المصادر الفلسطينية (الموسوعة الفلسطينية) ومع الأسف قد ذكرت بأن أملاك اليهود في قرية الطيرة كانت نسبتها ١٠ - ١٤٪ فمرد ذلك اعتبار حكومة إسرائيل أن جميع معسكرات الجيش البريطاني الثابتة والمنقولة التي كان عددٌ منها منتشراً في كل حراج زيتون القرية، خلال الحرب العالمية الثانية ملك للدولة المنتدبة، وقد أصبح اليهود الوريثين لها*".(١)

والذي زاد الطين بلة تساقط أوراق القضية في أروقة المنظمة الدولية وإهمالها، ونشاط المنظمات اليهودية التي أصبحت في سباق مع الزمن للسيطرة على مداخل حيفا وما حولها وخصوصاً المدخل الجنوبي لها الذي يمر عبره الشارع الرئيسي الذي يربط حيفا - يافا.

Digitized by Birzeit University Library

كما أرادت هذه العصابات السيطرة على مراكز البريد والاتصالات بشكل يضمن لها التحكم فيها، فزجت بالعشرات من أفرادها للعمل ضمن المؤسسات تطوعاً بدون أجر من أجل تحقيق أهدافهم. فذكر دافيد بنغوريون في كتابه (يوميات الحرب ١٩٤٧ - ١٩٤٩) بهذا الخصوص: *كان للبلدية ممتلكات أهمها إطارات سيارات، وأدوات تجميع جزء منها كان في هدار هكرمل، وتجهيزات بريد قدرت بمليون وربع المليون جنيه فلسطيني، سرقت العصابات قسماً منها يقدر بألف جهاز هاتف. وكابلات، وأجهزة هاتف مختلفة. ولوحظ أن ثلثي العاملين في مركز الهاتف في حيفا من العرب والثلث من اليهود، ودلت الإحصائيات على أن مجموع العاملين في مركز البريد قد بلغوا (٣٥٠) عاملاً منهم (٢٠٠) من العرب وهيئة العاملين العليا من اليهود، وهنا يمكن إدخال يهود إلى البريد لكن دون دفع أجر من الحكومة، المهم أن تعزز قوتنا في مركز الهاتف والخطوط لأنه لا مسؤول في البريد. والمدير الإنجليزي لا يأتي إلى العمل دائماً. كما أن إدارة الجمارك مهمة، جزء منها في الميناء وجزء آخر في شارع هيهار في الطرق إلى المستوطنة الألمانية وإلى الهادار هكرمل. نصف المواطنين في البلدية من اليهود والنصف الآخر من العرب في ضواحي حيفا نحو مئتي معسكر للجيش معروضة للبيع والمعسكرات الواقعة في شاطئ الخياط والطيرة تتحكم في مدخل حيفا، وهناك معسكر كبير قرب باب غاليم، وكذلك في أرض الصندوق القومي في الكرداني ورشة كبيرة لتصليح الأسلحة*"[٢]

جميع هذه الأماكن سالفة الذكر تم تسريبها أو السيطرة عليها من قبل اليهود بمؤامرة إنجليزية مع العصابات الصهيونية.

الصراع على طرق المواصلات :

تركز الصراع العربي اليهودي في منطقة الطيرة في السيطرة على طريق حيفا - يافا (وتل أبيب) التي كانت تستخدم من الطرفين، ونجح اليهود خلال فترة الحرب العالمية الثانية وما قبلها في تحصين مستعمراتهم وأماكن تجمعاتهم

الاستيطانية، فأقاموا حولها الأسلاك الشائكة وشددوا الحراسة حولها بفرق مدربة ومنظمة، وأقاموا أبراج المراقبة عليها كي لا يهاجموا من قبل سكان القرى والمدن العربية، وعندما كانت تحدث مناوشات بين اليهود والعرب لم يستطع العرب آنذاك اختراق دفاعات التجمعات الاستيطانية أو المستعمرات اليهودية، فكانوا يهاجمونهم بقطع طرق المواصلات عليهم. ومن أهم الطرق طريق حيفا - يافا، تل أبيب التي ركز اليهود جُل طاقاتهم للسيطرة عليها. من أول حيفا الجنوبية حتى أول يافا الشمالية مروراً بالخضيرة ومستعمرة نتانيا واللد.

وتذكر الرواية الرسمية الإسرائيلية لحرب فلسطين ٤٧ - ١٩٤٨ أن نقاط الضعف في الدفاع عن اليشوف اليهودي* كان في نظام طرق المواصلات، ولم تكن مصادفة سقوط الضحايا عند حدوث النزاع من المسافرين ، وخلال عشرات السنين نجح المستوطنون اليهود في إنشاء مناطق متصلة بعضها ببعض جغرافياً، كانت تمر عبر شوارع وطرق التجمعات السكنية اليهودية شديدة الازدحام، وكان لليهود في هذه الطرق اليد الطولى منذ البداية، واستمرت الحركة فيها بصورة منتظمة ولو بطرق فرعية أحياناً.

وكان من هذه الطرق طريق تل أبيب - حيفا الذي كان يمر في طرفه الشمالي قبالة طيرة حيفا وإجزم، وعين غزال، وعندما ازداد التوتر في البلد أصبح من الضروري الالتفاف حول هذه القرى والسفر إلى حيفا عن طريق وادي المالح، ولكن كانت هناك محاور حركة حيوية يمر أغلبها من مناطق عربية، وكان إبقاؤها مفتوحة أمام النقل من أصعب المهمات التي أنيطت بمنظمة الهاجناه .. وبالنسبة للعرب الذي كانوا يقاومون في مناطقهم أصبح من السهل جداً عليهم شل حركة المواصلات بإغلاق الطرق ومهاجمة السيارات[٣]

* الاستيطان اليهودي في فلسطين قبل الاستقلال.

Digitized by Birzeit University Library

ووضع اليهود عدداً من الخطط لمهاجمة القرى والمدن العربية في منطقة حيفا، واعتمدوا في تنفيذ ذلك على فرقٍ مدربة خاصة، تقلد العربي وتتقن العربية وتجيد لبس الزي العربي أطلق عليها فيما بعد بالفرق المستعربة. ومن أعمالها في نهاية عام ١٩٤٧ وبداية ١٩٤٨ في المنطقة الشمالية وبالتحديد في منطقة الكرمل. ومن أجل الهيمنة والسيطرة على المنطقة مهاجمة السيارات العربية المارة على الشوارع الرئيسية والفرعية، ومهاجمة القرى العربية التي تقع على خطوط هذه المواصلات والتي يوجد فيها عدد من المناضلين الفلسطينيين والقريبة من المستعمرات الإسرائيلية. واعترف اليهود بفعلتهم ونواياهم الحاقدة من خلال المذكرات التي كتبها القادة العكسريون وزعماؤهم السياسيون أمثال دافيد بن غوريون حينما دونوا أحداث عامي ١٩٤٧ - ١٩٤٨.

يقول بهجت أبو غربية "*كان اليهود في حيفا عند نهاية الانتداب أكثر من نصف سكانها، وكانت حيفا محاطة بالمستعمرات اليهودية خصوصاً سهل عكا، وكان العرب في حيفا يقطنون المناطق المنخفضة، بينما كان اليهود يقطنون في المناطق المرتفعة، لذلك كانت مواقع اليهود تساعدهم على السيطرة، وكثيراً ما قام اليهود بدحرجة براميل ملغومة إلى الأحياء العربية حيث كانت تنفجر وتدمر وتقتل، وكان العرب في حيفا وقراها لا يملكون سلاحاً، بينما كان فيها أكثر من (٥٠٠٠) مقاتل من الهاجانا وغيرها من المنظمات الصهيونية*".

وكما في سائر المدن بادر اليهود إلى مهاجمة القرى والضواحي المحيطة بحيفا قبل أن تتسلح، ففي ١٩٤٧/١٢/١٣ هاجموا قرية الطيرة، وفي ١٩٤٧/١٢/١٩ هاجموا قرية شفا عمرو، وفي ١٩٤٧/١٢/٣٠ هاجموا مصفاة النفط"[٤]

ويقول دفيد بن غوريون بهذا الصدد نقلاً عن تقرير شعبة العمليات: "*إن أربع عشرة عملية قامت بها الهجناه، وخمس عمليات للإيتسل وليحى خلال عدة أيام من ١٩٤٧/١٢/٦ حتى ١٩٤٧/١٢/١٨، وكان من بين هذه القرى، واد روشميا نسف منزل ونسفت كراجات الحافلات، وتم حرق ونسف عدد من حافلات خط حيفا بلد الشيخ، ومهاجمة بلد الشيخ، ومقتل عدد من العرب ومهاجمة طيرة حيفا ودخول القرية وسقوط (١٢) قتيلاً من العرب، وشن الهجوم من قبل منظمة الإيتسل (الأرغون) المعارضة*"[٥]

وورد في الرواية الإسرائيلية الرسمية لعام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ في ١٩٤٧/١٢/١٢ *يوم سبت عيد الحانوكا شن رجال الإيتسل خمس غارات على تجمعات سكنية عربية .. كما تسلل اليهود في أربع سيارات ووضعوا مواد متفجرة قرب عدد من البيوت وأشعلوها وانصرفوا، وفي غارة على طيرة حيفا قتل (١٣) عربياً*".[٦]

أما ذروة الأحداث فقد وقعت في أعقاب حادثة المصفاة. ففي معركة المصفاة التي بادر بها اليهود بالهجوم على العمال العرب المتواجدين أمام شركة مصفاة تكرير النفط للبحث عن عمل، فقد مرت في ذلك الوقت سيارة لرجال الإيتسل في الساعة العاشرة والنصف صباح يوم ١٩٤٧/١٢/٣٠ وألقوا قنبلة على مجموعة من العرب كانوا متجمهرين أمام بوابة المصفاة فقتل ستة أشخاص وجرح العشرات، وكان في المصفاة يعمل ما يقارب من (٤٧٠) يهودياً بين عامل وموظف من بين (٦٧٠٠) عامل عربي، وفور سماع العمال العرب في داخل المنشأة وخارجها بالحدث ثارت خواطر العمال وارتفعت صيحاتهم بالانتقام لأبناء جلدتهم فما كان منهم إلى أن هجموا على العمال والموظفين اليهود وقتلوا ٤١ منهم وجرحوا آخرين فقررت الهاجناة الرد على هذه الخسارة الفادحة بالهجوم على بلد الشيخ.[٧]

Digitized by Birzeit University Library

ونجد أن هناك مفارقة بين الرواة الاسرائيليين المدونة وبين الرواية العربية المدونة والشفوية، لحادثة الهجوم على الطيرة ومقتل ما يقارب ١٧ شخصاً، ضمن عملية خاصة قامت بها العصابات الصهيونية على طريقة القوات الخاصة والمستعربة، والتي أدت إلى هدم منزل مكون من طابقين وإلحاق أضرار بالغة في منازل أخرى.

فيقول عبد الصمد أبو راشد أحد سكان القرية: "*جاءت معركة المصفاة موجعة للصهاينة فقرروا الانتقام من القرى التي كان عمالها يعملون في المصفاة، وابتدأوا بقرية الشيخ، فقتلوا من أهلها ثلاثين شخصاً بين رجل وامرأة وطفل في عملية تسلل ليلي، وبعد ستة أيام من حادثة المصفاة ويومين من مهاجمة بلد الشيخ أي في ١٩٤٧/١٢/١٢ تسللوا إلى الطيرة في الظلام ونسفوا منزلاً من طابقين في الحارة الشمالية، وبلغ مجموع ضحايا هذا الحادث المفجع (١٧) نفساً من عائلة حجير، ثلاثة رجال، وشابين يافعين وخمس نساء، وأما الباقون فكانوا أطفالاً من الجنسين، وسلم من هذه العائلة بنت وطفل رضيع وجد بين الأنقاض*".(٨)

وتروي أم رياض بنت عبد القادر حجير إحدى سيدات القرية وبنت العائلة المنكوبة التي قامت العصابات الصهيونية بنسف بيتهم على ساكنيه. فتقول: "*كنا جالسين في أحد الأيام في أول الثماني وأربعين، بعد آذان العصر جاء علينا ثلاثة شباب ملابسهم رثة يشبهون الشحادين وقالوا بنا نوكل جعانين. قال أبوي هاتي حطي إلهم أكل يا بنت أنا كنت صغيرة، جبت أكل وحطيت قدامهم وأخذوا يأكلوا وينظروا إلى الدار بتمعن، وقالوا شوها الدار هذه مركز وكانت دارنه مطرفة شمال البلد ومرتفعة، ولما فرغوا من طعامهم وذهبوا قالت أمي لوالدي هذول مش شحادين انا خفت من هذول الزلام، قال لها إنت خايفة على حالك كل مدافع أوروبا بتقدرش تفوت على الطيرة، قالت له بس أنا خايفة. بعد ما نسينا الأمر بعد أكمن يوم ما*

أصبحنا إلا ودارنا مطوقة، إحنا دارنا كبيرة وواسعة ومكونة من طابقين، فوق إحنا ساكنين وتحت كان للغنم وبيننا وبين دار عمي سور إجا أخوي فتح الباب وراح عند دار عمي ولكن لم يتمكن من الوصول إليهم فاختبأ في الطابون الذي كان بالقرب من السور في آخر الدار لما شاف الدار بتتغل عسكر، خلعوا الباب علينا أنا وأختي وأمي وكنة لدار خالي جاءت من حيفا، ولما دخلوا الغرفة وضعوا صندوق، فخرجنا نحن إلى الخارج قسم على البرندة وقسم نزل، ضربوا اللغم وصارت الحجارة تصل لعند البيادر، لما طلع اللغم أنا كنت بريت الدار، انهدت الدار على اللي فيها إشي انجرح وانحرقت الدار، دار عمي لم تهدم، أمي ماتت وأختي ومات أخوي وأولاد أخوتي، أخوي ظل في الطابون وكنة دار خالي وأولادها اثنين وأختي ثم صاروا يطخوا على السكرة مات ابن عمي الذي بيتهم إلى جوارنا. اسم أمي زينب عبد الرحمن من حيفا وأبوي عبد القادر حجير. أختي غزالة بنت عبد القادر حجير. مرت أخوي حكمة موسى عويس، بنتها حورية صالح عبد القادر، أخوي أسمه صالح عبد القادر، ابنه اسمه محمد صالح عبد القادر كنة خالي من دار أبو الجراس من حيفا وأولادها، ثم قتلوا عم لي اسمه الحاج مسعد البردان، هذا لما سمع الانفجار حمل عصاته وخرج من بيته وقال بدي أشوف شو عملوا هذول العرصات حاولت نسوانه الثنتين منعه من الخروج وقلن له بتخاف يقوا يهود قال شو بدهم اليهود يعملوا هون. مبعدش كثيراً عن الدار شاف اليهود وهمه مروحين نهر عليهم وقال لهم شو هذا يا عرصات اللي عملتوه، أطلقوا عليه النار وتوفي في المستشفى ثاني يوم. فاتوا على ابن عمي دقوا عليه الباب مرظيش يفتح، حطوا السلاح اللي معاهم في السكرة وطخوه إجت فيه رصاصة وقتلته، ابن عمي اسمه محمد عبده، فاتوا على دار عمي الثاني خلعوا الباب وزتوا قنابل انقطعت إجر عمي سليم أبو شيخه وقتلوا ولده الصغير، ولا نعرف السبب، لكن أخوي كان متدين والدعايات كثيرة عنا إننا شرينا السلاح وبعناه للمناضلين".(٩)

Digitized by Birzeit University Library

أكدّ الراوي غازي حجير أحد أبناء القرية على الروايات السالفة التي أوردت تاريخ العملية في أواسط شهر كانون الأول من عام ١٩٤٧، رغم أن عدداً من الرواة من أهل القرية ذكروا أن التاريخ في أواخر كانون الثاني من عام ١٩٤٨ بعيد حادثة المصفاة.

فيقول غازي حجير الذي اتهم السلطات البريطانية أيضاً بالتواطؤ مع اليهود في تنفيذ مهمتهم: "*في أول المناوشات دخل علينا اليهود ومعهم جيش بريطاني من شمال القرية وأخذوا يسكبون بترولاً تحت عتبات البيوت، وبلغ مجموع البيوت التي طالها شرهم ثمانية، وأخذوا يطلقون النار ويشعلون الحرائق وكان أغلب أبواب البيوت من الخشب في ذلك الوقت، في جماعة استبسلوا من أهل البلد وأخذوا يطلقون النار على المعتدين، فشردوا وانفردوا في بيت سليم حجير حيث أطلقوا النار عليه من خلف البوابة من خلال فتحة سكرة الباب فقتلوا ابنه وقطعوا رجله وأصيبت زوجته، ثم نسفوا بيت أخيه عبد القادر حجير الملقب بالدبور، وكانت هذه الحادثة في ١٩٤٧/١٢/١٢*".[١٠] ومن شهداء القرية عام ١٩٤٧ عبد الرازق عبد النور علوة، حيث استشهد في سوق الخضار المركزي بحيفا.

تنبه الطيراويون لخطورة الموقف فهبوا لجمع الأموال وشراء السلاح والدفاع عن أنفسهم، وشكلوا لجنة كلفت بشراء السلاح من الدول العربية الشقيقة، وأخذوا يتدربون على السلاح، ونشط فريق النجادة الذي كان أساساً فريقاً كشفياً ونادياً اجتماعياً، فبادر إلى تنظيم الشباب من أجل النضال، فقسم الشباب إلى مجموعات، وأخذ الخبراء في استعمال السلاح في تدريبهم وكان من بينهم إنجليزي لجأ إلى القرية فأعلن إسلامه وتطوع في صفوف مقاتليها، وتركي من بقايا سرايا الدولة العثمانية.

ونظم رجال القرية أنفسهم في مجموعات أخذت تسهر على أمن القرية وتقوم بالحراسة على مدار الساعة ليل نهار، وبدأ اليهود في قصف القرية بالمدافع ثم راقبوا ردة فعل أهل القرية التي لم تحرك ساكناً لأنهم لا يملكون السلاح. ثم توجهت لجنة من أهل القرية إلى مصر لشراء السلاح الذي كان عزيزاً ونادر الوجود في فلسطين.

ويقول عبد الله السلمان مختار القرية: "*قمنا بجمع (١٢٥٠) جنيهاً فلسطينياً وحولناهن عن طريق البنك العربي للقاهرة للحج أمين الحسيني من أجل شراء السلاح، وأخذت معي تنكتين زيت وسافرت بمركب، وعند القناة حجزوهن لأنهم فكروهن حشيشة، قلت له هذول ميخذهن هدية إلى أبو صلاح للحج أمين، فاتصلوا به فأكد لهم صحة كلامي، فسمحوا لي بالمرور، ومن هناك سافرت بالقطار وكان معي في اللجنة عدد من أهلي القرية وهم راجح الفهد وحافظ النجم، وخضر الدريس، ويوسف الراشد، وبدأنا في جمع وشراء الأسلحة، وشاركنا في ذلك الحاج أمين الحسيني، وبعد ما ابتعنا السلاح وسلمناه إلى الحاج أمين الذي قام بدوره بشحنه إلى لبنان، ومن ثم قمنا بدورنا بتهريبه عن طريق الحدود اللبنانية الفلسطينية عند البصة، ثم حملناه في شاحنة محمد سعيد وأتينا به إلى الطيرة، ومن ثم قمت بتوزيعه على قرى المنطقة فكان نصيب الطيرة (٥٠) بارودة، و(٢٥) لبلد الشيخ، و(١٠) للياجور، و(٥٠) اجزم، و(٢٥) لأهل جبع، و(٤٧) لعين غزال، و(١٥) لعين حوض، و(١٠) للمزار*".[١١]

ويتابع عبد الله السلمان قوله عن قصة الإنجليزي الذي أعلن إسلامه ولجأ إلى الطيرة فيقول: "*جاء جندي إنجليزي وأعلن إسلامه وسميته محمداً، وكان جندياً في سلاح المشاة في منطقة الياجور، وعندما سمع أن أخاه قتل على أيدي اليهود ولاقاه مشنوقاً في الخضيرة، قدم إلى الطيرة وانضم لصفوف المقاتلين وأخذ يدرب*

Digitized by Birzeit University Library

الشباب على السلاح. وبقي هذا الجندي صادقاً أميناً في عمله شارك أهل القرية في الصلاة والصيام وأخذ يتكلم اللغة العربية فقاتل معنا قتال الأبطال، وبعد رحيلنا إلى جنين رحل معنا وأخذ يدرب المقاتلين، حتى انفجر به لغم في ١٠ آب من عام ١٩٤٨ حين تفكيكه في معسكر التدريب في مدينة جنين وتوفي على الفور"

ويقول عبد الرحمن مصباح البطل بهذا الصدد: *"لقد نسف عدد من بيوت الحارة الشمالية مما أدى إلى مقتل عدد من النساء والأطفال من عائلة حجير مما حفز أهالي القرية إلى تشكيل حرس وطني ينتشر حول القرية وبشكل خاص في الحارة الشمالية وفي شرق القرية على قمة المرقصة المطلة على القرية من الشرق والشمال الشرقي، ثم أوفدوا رجالاً على مركب أستؤجر من ميناء عكا على المملكة المصرية آنذاك، وقاموا بشراء كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر، من مخلفات الحرب العالمية الثانية، وعادوا بالشحنة إلى لبنان ثم إلى ساحل الطيرة، حيث تم نقل الأسلحة إلى القرية وكان من بينها أجهزة هاتف ميدانية تعمل على البطاريات ومتطلباتها من الأشرطة "الكوابل". ولكن اعتداءات العصابات اليهودية لم تتوقف، فقد بدأت عصاباتهم تهاجم سيارات النقل (باصات رقم ٩) وهي في طريقها من الطيرة إلى حيفا. وقد استشهد وجرح العديد من جراء ذلك".*(١٢)

حادثة قتل رجل الايتسل:

في خضم الصراعات والخلافات ما بين الهاغاناه والإيتسل قامت الأولى بخطف يديديا سيغل برتبة ملازم من قوات الإيتسل مع عضو آخر، وتم احتجازهما في منزل صيفي في جبل الكرمل كانت تستخدمه الهاغاناه لسجن المعتقلين، وهناك تم استجوابهما بالعنف، وقبيل الفجر طلب سيغل إذناً بمغادرة الفرقة لقضاء حاجته فك قيده وسمح له حارسه بالخروج لقضائها، لكنه غافل الحارس وفر هابطاً الجبل

في اتجاه قرية الطيرة فأطلق مسؤول الحراس النار عليه، لكنه اختفى في الظلام بين الأشجار والصخور، ولم يعلم أحد أنه أصيب من الطلقات أم لا. وفي صبيحة يوم ١٩٤٨/١/١٢ اتصل عربي من سكان الطيرة بالمحامي سلومون هاتفياً، وأخبره أن حُراس القرية قبضوا على يهودي وقتلوه بالرصاص، ونقلت جثة القتيل في اليوم التالي إلى المستشفى الحكومي في المدينة حيث تعرف عليه أبناء عائلته واتهم رجال الإيتسل الهاغاناه بقتل سيغل، على يد التكتل المتطرف في الهاغاناه، وجاء مقتله من أجل إفشال الاتفاق والمفاوضات بين الهاغاناه والإيتسل، وشكلت لجنة تحقيق في الحادث، وتوصلت اللجنة بعد أن دُرست ملابسات الحادث وشهادات الشهود أنه لا دليل لديها يدين رجال الهاغاناه بقتله.(١٣)

كما حاول اليهود التسلل إلى القرية من أجل استكشاف قوة القرية ويقظتها فأرسلوا بشاحنة بها عدد من اليهود (جنود ومجندات) وكان ذلك في أوائل آذار من عام ١٩٤٨ وقدمت الشاحنة من جهة خروب قاسم وقد أطفأت أضواءها، لكنها كشفت عن نفسها بهدير محركها، فسارعت فرقة الحراسة القريبة من المنطقة إلى محاصرتها وأمروا سائقها بالتوقف فهرب من كان بداخلها من اليهود وتم إلقاء القبض على السائق الذي قتل في صبيحة اليوم التالي.

وفي حادثة أخرى أطلق اليهود من إحدى سياراتهم المسلحة النار على باص كان ينقل النساء ما بين الطيرة وحيفا فقتلوا امرأة وجرحوا أخرى وأصيب الباص بأضرار.

معركة الزيتون:

رد أهل الطيرة على العصابات الصهيونية رداً مؤلماً، ففي الأول من آذار سنة ١٩٤٨ يقول عبد الرحمن مصباح البطل: "تواجدت فئة مقاتلة طيراوية متخفية

Digitized by Birzeit University Library

بلباس البوليس الفلسطيني ومعها الدراجات النارية زيادة في التمويه على جسر يقع على طريق يافا – حيفا في نقطة ما بين مسلية وتل خريس، وكانت الأوامر لديهم بإيقاف السيارات اليهودية وكذلك الشاحنات بحيث يقوم قناصون طيراويون شرق الطريق العام بقتلهم وتقوم الدورية الطيراوية بإبعاد الشاحنة أو السيارة عن الطريق العام وإحراقها، ورفض سائق باص ايجد الوقوف واجتاز الدورية الطيراوية غير أن هذا كان في مخطط المهاجمة حيث لاحقت الباص شاحنة طيراوية كان يختبئ في صندوقها خمسة مقاتلين مع أحدهم رشاش ستن، ومع الأربعة الباقين بنادق كندية، وكانت الشاحنة في حراج الزيتون الشرقية، وقامت بملاحقة الباص اليهودي وفتحت عليه النيران واستمرت المطاردة حتى بئر عسقول على الطرف الجنوبي لسكة الحديد، استشهد من المقاتلين الطيراويون في ذلك الهجوم المرحوم محمد دلول الذي كان أحد المقاتلين على الشاحنة الطيراوية المطاردة للباص من رصاصة أطلقت عليه من الباص المذكور. تمت هذه العملية في وضح النهار وكانت نتيجة المعركة حرق (٢٨) شاحنة وسيارة يهودية بما فيها من حمولة وبشر، وكان هذا الدرس كافياً لليهود وعصاباتهم بالابتعاد عن أهل الطيرة وسكانها وحافلاتها".[١٤]

ويروي عبد الصمد أبو راشد عن ردة فعل أهالي الطيرة عندما تعرض باص رقم (٩) الطيراوي لإطلاق النار عليه وأصيب بعض ركابه بجروح واستشهاد إحدى النساء فيقول: "*بلغ الخبر القرية فجلجل صوت الجهاد في كل أركان الطيرة، وعلى الفور تحرك عدد غفير من أهالي القرية ومعهم أسلحتهم راجلين باتجاه الزيتون واستقلت مجموعة من ستة أفراد شاحنة حديثة وسبقوا غيرهم فلحقوا بباص لشركة ايجد مملوءاً بركابه من الرجال، وطلب سائق الشاحنة موسى نمر أبو راشد من المسلحين المختبئين في صندوق الشاحنة الخلفي وهم أحمد حمد أبو غيدا ويمنى عبد المعطي السلمان، ومحمود حسن الزهرة وعمورة، ومحمد حسن العبد عمورة.*

وطلب إليهم أن لا يطلقوا النار على سائق الباص، لئلا يختل الباص وتصطدم السيارتان، فيلحقهم أذى بسبب ذلك وأبقى إلى جانبه مرعي عبد المجيد، كسائق احتياطي، وأصبحوا بمحاذاة الباص فأمطر المسلحون في الصندوق ركاب الباص وابلاً من الرصاص بالرشاشات السريعة، وساروا معها مسافة طويلة وهم يشاهدون الدماء ويسمعون الصراخ، فخرجت قوات بريطانية من معسكراتها وتصدت للشاحنة، لكنها سرعان ما قفلت راجعة. وحاول البريطانيون إدراكها، إلاّ أن الشاحنة دخلت بين الزيتون من خلال الطرق الترابية الوعرة، ووقفت غير بعيد عن ميدان المعركة الضارية، التي نشبت مع قوات الحراسة الصهيونية التي ترافق القوافل اليهودية المتوجهة إلى حيفا والخارجة منه. وانضمت إليها قوات المعسكرات البريطانية التي خرجت من المعسكرات الشمالية، وكان يوماً مشهوداً سجل فيه الطيراويون نصراً يشبه الأساطير، فقد كانت القافلة كبيرة بحراسة قوية ومن المجاهدين من اتخذ من جذوع الزيتون متاريس، ومن أغصانه مظلة، ومنهم من تقدم بجسمه وسلاحه حتى أنه لا يلبس خوذة على رأسه، ذهل الصهاينة من هذا المشهد ومن بسالة وصمود أهل الطيرة، وأخذوا يغادرون بسياراتهم التي أعطبت ويفرون نحو البحر هاربين، فصاروا يلحقونهم ويجهزون على كل من يدركون، ثم استولوا على سيارات العدو التي لم يقوموا بإحصائها، وراحوا يذرعون الشارع جيئة وذهاباً، بين طريق معمر ومعسكر العديل، وشكوا في حمولة شاحنتين كبيرتين فساقوهما إلى الطيرة ولما تبين أنهما محملتان تبغاً خاماً أتوابهما إلى وادي أبو الجاع وأحرقوهما بحمولتهما، أما سيارات الحراسة من آل بك آب والتاكسي فقد صفت على الشارع المؤدي إلى معسكر المدرسة من جهة مسلية وأحرقوها جميعاً، وكانت سبع سيارات وفي رواية أخري عشر.

Digitized by Birzeit University Library

توالت نجدات الجيش البريطاني حتى لم تعد المعركة متكافئة، فاضطر المجاهدون إلى الانسحاب بشهيد واحد أصيب في جبهته وهو محمد صالح منصور عبد القادر، وبجريح واحد وهو محمد حسن الزهرة عمورة الذي أصيب بعيار ناري اخترق إحدى كليتيه، غير أنه نُقل بحافلة الفولفو إلى المستشفى الحكومي بحيفا، وقدر له العيش.

" لقد أثبت المقاتل الطيراوي للعصابات الصهيونية والقوات الإنجليزية قدرته على المناورة والصمود وإثبات نفسه في المعركة، مما جعل اليهود يفكرون ألف مرة قبل أن يقتربوا من الطيرة، كما غيروا خط سيرهم وأخذوا يتنقلون بقوافلهم عبر الطريق الفرعي التي تمر عبر الجبل وتصل بين الهدار والحي اليهودي في حيفا مروراً بأخوزا والشلالة ومعسكرات الجيش البريطاني فوق متن الكرمل حتى يتخطوا الطيرة، ثم يستأنفون السير بعدها على الطريق العام ما بين حيفا ويافا. وقد اعترف الصهاينة من خلال كتاباتهم كما أسلفنا في الرواية الإسرائيلية الرسمية أن أهالي الطيرة وسكان القرى المحاذية للطريق الرئيس استطاعوا شل حركة المواصلات اليهودية رداً على الأعمال التي كانت تقوم بها العصابات الصهيونية وبقي الصراع على طرق المواصلات مستمراً إلى منتصف حزيران حيث قويت شوكة اليهود " .(١٥)

ويقول جمعه غنام أحد سكان القرية: "*لقد كان اليهود يتبعون أساليب إرهابية من أجل ترهيب الناس ودب الرعب في قلوبهم، فلجأوا إلى وضع القنابل الموقوتة في سوق الخضرة في حيفا الذي كان يجتمع به الناس من قرى القضاء مما أدى إلى دب الرعب في قلوب عامة الناس، ولتحيز الإنجليز الواضح الذين لم*

* عمل أهل الطيرة على تصفيح إحدى حافلات البلدة بصفائح الحديد المقوى وكانوا يستعملونها للحالات الطارئة أوقات التوتر حتى يتمكنوا من الوصول إلى حيفا.

يحاولوا وضع حد للأعمال التي تقوم بها العصابات الصهيونية، فكان لا بد لسكان القرى العربية إلا الرد على هذه الأعمال، فلجأوا إلى السيطرة على الطرق الرئيسة حتى يقطعوا سير قوافل اليهود، وأهم هذه الطرق حيفا – يافا، فتزعم شاب اسمه عبد الرحيم عدداً من الشباب الطيراويين وأخذوا يومياً يتعرضون لسيارات اليهود حتى تمكنوا من شل حركتهم، لكن اليهود لم يسكتوا على هذا العمل، بل قام شاب يهودي يدعى ابن ماتود ابن مختار عتليت يتزعم مجموعة من الشباب اليهود، يركبون مجموعة من السيارات ومعهم الأسلحة الحديثة والأوتوماتيكية يتجولون في المنطقة وعلى الشارع العام وأخذوا يتعرضون للسيارات العربية المارة ويرشقونها بالقنابل والطلقات مما أوقع عدداً من الإصابات في صفوف العرب من جميع القرى المحاذية للطريق الرئيس. فتنبه العرب لهذه العصابة وأخذوا يتربصون لهم، لكنهم في كل مرة كانوا يفلتون من بين أيديهم ومن نيرانهم، وفي يوم من الأيام كانت حافلة تعود لأهل اجزم عائدة من حيفا يقودها محمد المدني ومعه مساعد اسمه عوض، وكانا يحملان خرتوشاً فصادفهم في الطريق ابن ماتو، فحاول التعرض للحافلة لكن بمهارة السائق العربي محمد المدني أنقذت حياة ركابها من الموت المحقق، فما كان منه إلا أن ضيق الطريق على ابن ماتو، ومن ومعه، مما جعل الهرب له مستحيلاً فانقلبت سيارته وسحقت وقتل ابن ماتو، ومرافقوه وعددهم اثنان، كما أدت الصدمة إلى جنوح الحافلة العربية وفي هذا الأثناء صادف وجود عدد من شباب الطيرة على البحر وهم مسلحون فهبوا لنجدة الحافلة وركابها وصادروا أسلحة ابن ماتو، ومن معه وفكوا عجلات سيارة ابن ماتو وأعطوها لسائق الحافلة حتى يبيعها ويصلح حافلته. وفي الأثناء مرت سيارة عسكرية من نوع Dodge بريطانية في الشارع بها شاويش إنجليزي وحده فأمره شباب الطيرة بالتوقف، وطلب منه جر الحافلة حتى قرية اجزم تحت تهديد السلاح، ففعل وركب بجواره عوض مساعد سائق الباص ولم يبد الشاويش الانجليزي أي معارضة وفعل ما أمر به وجر الحافلة

Digitized by Birzeit University Library

إلى اجزم ثم أطلق سبيله بعد ذلك ومن معجزات القدر أن ركاب الحافلة العربية لم يلحق بهم أي أذى سوى بعض الرضوض أو الخدوش نتيجة الصدمة".

ويتابع جمعه غنام قوله: "*لقد كانت الحرب بيننا وبينهم كراً وفراً وكان هدفهم إرهاب الناس وتهجيرهم من أرضهم حتى يتمكنوا من السيطرة عليها بلا ثمن*"(١٦)

معركة الخريبة :

استمر شباب الطيرة في مهاجمة قوافل العدو الصهيوني حتى بعد أن استبدلوا الطريق الساحلي بالجبلي، وحاولوا في البداية رصد مواعيد هذه القوافل سواءً الخارجة من حيفا أو العائدة من تل أبيب مساءً. وقدروا كم يستغرق وصول النجدات العسكرية الإنجليزية أو اليهودية من مستعمرات أخوزا أو تل الزعرور في حالة مهاجمة أي قافلة يهودية، وأفاد عيون المناضلين بأن القوافل لا تسير إلا تحت الحراسة البريطانية، فاختارت مجموعات مناضلة من شباب الطيرة موقع الحربية في أعلى واد العين من أجل الانقضاض على إحدى هذه القوافل نظراً لتوسطه بين معسكرات أخوزا في الشمال وتل الزعرور في الجنوب ولوجود الشجر الكثيف والسلاسل الحجرية من أجل نصب كمين خلفها، وعندما قاربت الساعة على الواحدة من ظهيرة يوم ٢٧ آذار ١٩٤٨ مرت قافلة يهودية تتقدمها دورية حراسة، وبعد أن انعطفت قوة الحراسة الأمامية انقض المناضلون على القافلة التي كانت مكونة من حافلة ركاب وسيارتي تكسي، فقتلوا وجرحوا عدداً من ركابها، وأما فرق الإسناد والدفاع فشغلت دورية الحراسة التي توقفت في مكان بعيد، ولم تمر بضع دقائق حتى وصلت سيارات الإسعاف وفرق النجدات من المعسكرات القريبة.

استمرت المعركة أكثر من عشر دقائق ولم يخسر المناضلون أثناء الهجوم أحداً، ولكن عند الانسحاب سقط بضعة منهم وهم: نمر المنصور باكير، وفيصل خضر الكزلي، ومصلح خليل غنام، وأخفى المجاهدون شهداءهم ثم عاودوا الهجوم مرة أخرى واستمر الهجوم الثاني إلى ما بعد الغروب. هذا ما أفادنا به عبد الصمد أبو راشد نقلاً عن رواة من أهل القرية ويتابع أبو راشد حديثه: "*إن هذه المعركة كانت نصراً مادياً ومعنوياً للمجاهدين من أهالي الطيرة، حيث فرضت هيبتها وهيمنتها على الطرق الرئيسة والفرعية في المنطقة مما جعل العصابات الصهيونية تحسب لهم ألف حساب*".

سباق التسلح :

بذل اليهود قصار جهدهم من أجل سرقة وابتياع الأسلحة بكافة أنواعها من الجيش البريطاني، فجندوا فرقاً خاصة لتحقيق هذا الهدف، ولم يتكاسل أهالي الطيرة في هذا المجال بل عملوا على تحقيقه بكل ما أوتو من قوة، ولكن لم يحالفهم الحظ ولم تتسن لهم الفرص كما سنحت لليهود. وذلك لأسباب عدة منها: تواطؤ بعض الجيش الإنجليزي مع اليهود، السبب الثاني حذر الإنجليز من العرب وخصوصاً أهالي الطيرة وتفتيشهم حين الدخول والخروج من المعسكرات الإنجليزية.

ويقول عبد الله السلمان مختار القرية: "*لقد خف مجموعة من شباب الطيرة وقاموا بنهب عدد من البنادق الحديثة من أحد المعسكرات الإنجليزية الواقعة على أرض الطيرة، كما كان عدد كبير من شباب الطيرة يتقن السياقة فتسلل عدد منهم ليلاً إلى أحد المعسكرات البريطانية الواقعة على أرض الطيرة وسرقوا تسع دبابات، وأحضروهن إلى الطيرة، وذهبنا أنا وعدد من رجال القرية وسلمناهن إلى فوزي*

Digitized by Birzeit University Library

القاوقجي في منطقة جبع جرار، واستقبلنا هناك مختار قباطية وفوزي القاوقجي ومعه ابنته ومعه الدكتور محمد حجازي وتم تسليم الدبابات له".(١٧)

ويضيف عبد الصمد أبو راشد أحد سكان القرية فيقول: *"لقد كان التنسيق العسكري بين اليهود والإنجليز واضحاً، بل إن بريطانيا أخذت تخلي معسكراتها من الدبابات والمصفحات والذخائر وقطع السلاح تدريجياً للصهاينة، وكان العرب يشاهدون اليهود بأم أعينهم وهم يجرون تغييرات في الدهان ورسم الشعارات على الدبابات اليهودية في مرائبهم".*

ووضعت قيادة المناضلين في الطيرة خطة للحصول على بعض الدبابات وناقلات الجند والسلاح والذخائر، وفي عملية تسلل ليلي إلى معسكر الحديد حصلت على أربع مصفحات وبعض الناقلات وسيارات الجيش والدراجات النارية، وعلى جهاز كشاف ضخم يعمل بالبنزين، وكانت بريطانيا تفحص به الأجواء وتتعقب الطائرات المعادية أثناء الحرب العالمية الثانية، أما مستودعات الذخيرة فقد أخليت من قذائف المدفعية ولم يبق فيها غير بقايا ذخيرة للبنادق والرشاشات، ولم يستطيعوا الخروج إلا بقذيفة واحدة لكل مصفحة، وهي المعدة للإطلاق في برجها.

وبعد أيام أستأذنت شاحنتان عسكريتان بريطانيتان بالدخول إلى الطيرة ووقفتا قبالة أرض القطعة وعرضت باسم قائد القوات البريطانية "ستوكديل" بيع حمولتها من الذخائر والأسلحة بمبلغ ألفي جنيه تدفع خلال أربع ساعات، وإلا بيعتا لليهود. ولما سئل الضابط عن قذائف مدفعية قال: ذلك ما لا تحتاجون إليه بعد دخول الجيوش النظامية.

اكتفي الطيراويون بمصفحتين اثنتين، وأهدوا جيش الإنقاذ الباقي حيث سارع الطيراويون إلى تغيير الدهان ودخلت مجال الخدمة العسكرية حتى نفد الوقود وأصبح نادراً بعد احتلال حيفا.

ويضيف عبد الرحمن مصباح البطل أحد سكان القرية بشأن نهب الأسلحة والمعسكرات البريطانية فيقول: *"بدأ شباب القرية بتشكيل مجموعات اقتحام صغيرة تهاجم تلك المعسكرات وتحصل منها على الكثير من سيارات الجيش العسكرية والمئات من براميل البنزين، نجحوا كذلك في الاستيلاء على مجنزرتين ركبوا عليهما رشاشات ثقيلة. واستطاعوا التسلل إلى مخزن الأسلحة في "كمب الحديد" حيث استولوا على كميات كبيرة من البنادق ذات المناظير المستعملة للقناصة رشاشات حديثة BROWNING MACHINEEUN ذات المدى البعيد للرمي مع ذخائرها".*(١٨)

ويروي الإسرائيليون في مذكراتهم السياسية وتقاريرهم العسكرية عن سباق التسلح والسيطرة على الموقف فيذكرون أنهم بذلوا جهوداً خاصة للاستيلاء على قسم من السلاح البريطاني، فقد شكلوا فرقاً للمشتريات لهذا الغرض وأقاموا العلاقات مع بعض العسكريين البريطانيين حيث قدموا الرشوة لهم، وأسقطوا القسم الآخر للتعاون معهم. وخصوصاً سائقي النقل منهم، وكان قسم من السلاح البريطاني يتلف ويلقى في عرض البحر وخصوصاً الذي كان من مخلفات الحرب العالمية الثانية، وكان نقل السلاح يتم في ميناء حيفا، وفي أثناء تفريغ الشاحنات البريطانية منه وتحميله على متن زوارق تلقيه في عرض البحر، وفي هذا الأثناء كان زورق مزود بمحرك تابع لـ "هعوغني" يقتفي آثار الزوارق البريطانية لمعرفة أماكن إلقاء السلاح.

كما أنشئت فرقة وحدة الغطاسين الذين كانوا يتتبعون أيضاً أثر البريطانيين الذين يرمون السلاح في البحر، وبعد ابتعاد البريطانيين عن المكان كان الشباب

Digitized by Birzeit University Library

وبينهم أعضاء في مجموعة هعوغين وصيادون من مجموعة غوردنيا معبيليم من عتليت يغوصون في البحر وينتشلون ما يمكن انتشاله وخصوصاً المواد المتفجرة والقنابل. كما بذل رجال المشريات العسكريون التابعون للهاغاناه جهداً خاصاً لسرقة المصفحات البريطانية.

وتم إسقاط ثلاثة جنود بريطانيين فروا من وحداتهم العسكرية وعملوا على خدمة الهاغاناه، وكانوا يرسلون وهم مرتدون زيهم العسكري لتعقب المصفحات العسكرية وعندما كان سائقوها ينزلون منها لغرض تناول الطعام أو السباحة في البحر كان هؤلاء الجنود يسرقونها ويفرون بها، وكانوا يخفونها في أماكن خفية داخل المغاور في شارع رويني في حيفا أو بين أكداس القش، ثم يتم تغير دهانها، وإدخالها ضمن سلاح الهاغاناه.(١٩)

في النصف الأول من نيسان من عام ١٩٤٨ حدث انعطاف حاسم في الوضع العسكري لصالح اليهود نتيجة لمعركتين دارتا على مشارف القدس وحيفا، ففي الأولى قتل عبد القادر الحسيني وتم احتلال (استعادة) جبل القسطل، وفي حيفا فشل فوزي القاوقجي في حماية مشارف حيفا واحتلال مشمار هعيمك* (٤ نيسان) لكن الكيبوتس صمد أمام هجمات جيش الإنقاذ، مما ساعد الهاغاناه على ترتيب وحشد قوتها مما ساعدها على شن هجوم مضاد على قوات القاوقوجي بعد أربعة أيام من هجومه، أي ليلة الثامن من نيسان مما أدى إلى تراجع القوات العربية حتى اللجون. مما أتاح الفرصة لقوات الهاغاناه وباقي التنظيمات اليهودية لإحكام السيطرة على منطقة حيفا.(٢٠)

* مشمار هعيمك تقع إلى الجنوب الشرقي من حيفا على بعد ٣٠كم وعلى ارتفاع ١٠٠م.

وبدأت القوات الصهيونية تنفيذ خطة دالة وهي أول خطة استراتيجية بهدف السيطرة على مناطق واسعة، واشتملت الخطة على قطع طريق المواصلات واحتلال قرى عربية وطرد سكانها والاستيلاء على جميع الأملاك والخدمات الحكومية وطرد السكان العرب من الأماكن التي توجد فيها تجمعات يهودية.

يقول بن غوريون: "منذ منتصف نيسان إبريل تزايدت وتيرة العمليات الهجومية لألوية الهاغاناه، فتم احتلال القسم السفلي من طبريا، وفتح طريق الجليل الأعلى بعد ترتيب مع البريطانيين في حيفا قضى بعدم تدخلهم حتى بعد مهاجمة القوات العربية المدنية واحتلالها".(٢١)

ومن الجدير ذكره أن تركيز الهاغاناه على قصف القرى المحيطة لمدينة حيفا وخصوصاً القرى الواقعة إلى الجنوب منها أمثال الطيرة، وبلد الشيخ لأنهما كانتا تعدان القلعة الجنوبية لحيفا، فإن إسكاتهما، يعني السيطرة على المدينة والطريق الرئيسي الذي يصل حيفا بتل أبيب، ومن الأهمية بمكان أن نذكر أنه كلما كان يحصل هجوم من قبل العصابات اليهودية على أي موقع عربي أو قرية أو مدينة تنتظر القوات البريطانية حتى ينتهي الهجوم، فإن حقق هدفه قامت وحدات بريطانية معززة بالدبابات بالتوجه للمنطقة من أجل عمل مفاوضات بين الطرفين حتى لا يقوم العرب بهجوم مضاد.

يقول بني مورس الكاتب الإسرائيلي في هذا الصدد: "*في ٢٤ نيسان هاجمت الهاجاناه قرية بلد الشيخ التي كان يسكنها حوالي ٥٠٠٠ عربي، وبعد يومين أي في السادس والعشرين منه هاجمت بلدة الطيرة. وبناء على أسلوب الهجوم والمفاوضات التي جرت بعده بين اليهود والعرب والبريطانيين، تبيّن أن غاية الهاجاناه من الهجوم كانت أرغام السكان العرب على الخروج من هاتين القريتين*

Digitized by Birzeit University Library

واحتلالهما، وهكذا كان رأي المراقبين البريطانيين الذين لهم علاقة بالقضية .. بعد مهاجمة بلد الشيخ وقصفها بالمدفعية دخلت قوات بريطانية وأجلت قسماً من النساء والأولاد تحت حماية الوحدات البريطانية .. وهنا تحقق الهدف من الهجوم ونجح التنسيق مع البريطانيين، وكانت النتيجة إخراج النساء والأطفال والشيوخ وهذه بداية التهجير ونجاح المؤامرة. وفي اليوم التالي هاجمت قوات الهاجاناه الطيرة إلى الجنوب من حيفا، في الطيرة لم تكن مفاوضات أبداً. ففي الساعة ١,٤٠ صباحاً شرعت قوات الهاجاناه بقصف شديد على القرية، وتوقف القتال بعد أن وصلت وحدة بريطانية إلى المكان، بعد ذلك أخلى رجال القرية قسماً من النساء والأولاد تحت حماية الوحدة البريطانية ".

استأنفت الهاجاناه هجومها في ٢٦ نيسان، لكنها أوقفت الهجوم ثانية بعد وصول وحدة بريطانية. حيث رتب رجال الوحدة عملية إخلاء النساء والأولاد، وفي الخامس من أيار نقلوا حوالي (٦٠٠) مواطن عربي آخرين من القرية إلى جنين ونابلس. ومع ذلك بقي في القرية بضع مئات من الرجال حيث نجحوا في الدفاع عن قريتهم حتى شهر تموز".(٢٢)

ويذكر محمد نمر الخطيب في كتابه من أثر النكبة أنه في التاسع من أيار عام ١٩٤٨ شوهدت سيارات ودبابات الجيش االبريطاني وشاحنات للجيش العربي معبأة بالنساء والأطفال من سكان قرية الطيرة في العفولة ينتظرون التصريح لهم بالمرور. كما قطع رتل آخر من السيارات من حيفا إلى جنين عن طريق البر، كما غادر القسم الآخر عن طريق البحر.

خيانة بريطانيا للعرب ومأساة حيفا :

وصف عبد الله التل مأساة حيفا والمنطقة الشمالية بشكل عام وكيفية تجلي خيانة بريطانيا للعرب وانحيازهم للصهاينة. بقوله: "*كانت مأساة حيفا أول عمل كبير تجلت فيه خيانة الإنجليز وتآمرهم مع اليهود، ولقد كانت الحكومة البريطانية قد قررت البقاء في حيفا لغاية ١٩٤٨/٨/١ مع أنها قررت إخلاء فلسطين ١٩٤٨/٥/١٥، ومع ذلك فقد أقدمت على فعلتها النكراء وسلمت المدينة إلى اليهود بطريق بشعة ودنيئة، ففي صباح الأربعاء ١٩٤٨/٤/٢١ أخبر الجنرال ستكول* السلطات العربية في المدينة أنه قرر إخلاء جميع المراكز التي كانت تحتلها القوات البريطانية وتفصل العرب عن اليهود ولم ينتظر حتى يستعد العرب ويجهزوا القوات لاحتلال هذا الموقع بل انسحبت القوات الإنجليزية بخطة مدبرة وتقدم اليهود واحتلوا المواقع المحصنة وراحوا يشنون الهجمات على العرب الذين فوجئوا بهذه الخديعة الماكرة، ولم يكن المناضلون في موقف يمكنهم من الثبات أمام اليهود الذي أعدوا أنفسهم لهذه الساعة المتفق عليها مع الإنجليز، ودب الرعب في قلوب العرب وأخذوا ينزحون عن المدينة، ويهجرون منازلهم بغير وعي، ومرت على سكان حيفا العرب ساعات مرة ذاقوا فيها أقسى أنواع العذاب والفزع، ووقعت المأساة أمام عيون الإنجليز وبتدبير منهم. وأمعن الإنجليز في لؤمهم فمنعوا النجدات العربية من الوصول إلى المدينة وحالوا دون اشتراك سرية الجيش العربي من إنقاذ الموقف ومساعدة العرب، ولم يستطع قائد السرية الرئيس محمد موسى أن يفعل شيئاً إلا إيواء بعض العائلات الهائمة على وجوهها".*

ويعزو محمد نمر الخطيب أحد أسباب سقوط حيفا وعدم تمكن العرب من نجدة إخوانهم داخل المدينة إلى محاصرة القوات البريطانية المدينة من جهاتها

* جنرال بريطاني قاد قوات العدوان الثلاثي على بور سعيد سنة ١٩٥٧.

Digitized by Birzeit University Library

الثلاث، الفرقة الأولى في الجهة الشرقية لمنع مناضلين بلد الشيخ أو عكا أو شفا عمرو من الوصول إلى حيفا، والفرقة الثانية في الجهة الغربية لتحول بين حيفا وبين الإمدادات والنجدات العربية القادمة من ناحية الطيرة وإجزم وجبع.[٢٤]

ويقول بن غوريون: "*في العاشرة وعشرين دقيقة سقطت حيفا في أيدينا، ثلث الميناء في أيدينا، والثلث في أيدي الجيش، جمعت (٧٠٠) بندقية، سيطرنا على مخازن الطيرة التابعة "ستيل" وبقيت ورش للجيش البريطاني المفاوض في أيدي الجيش لكن من الجائز أنه سيسلمنا اياه*".[٢٥]

لم يقف سكان القرى العربية المحيطة بحيفا موقف المتفرج إزاء الجريمة النكراء التي ارتكبها الإنجليز واليهود على حيفا والمجازر التي فعلوها وتشتيت السكان الأمنين، فقد هبت أغلب القرى هبة مستميتة من أجل الدفاع عن حيفا، لكن بعد فوات الأوان، فقد تكاتفت قوى الاستعمار بعضها مع بعض وحققت القوات البريطانية إنجازات لم تستطع العصابات الصهيونية تحقيقها لنفسها، فقد حارب الإنجليز المناضلين من سكان القرى الذين هبوا لنجدتها ومنعتهم من الوصول إليها ولم تكتف بذلك بل قصفت من سلك درب الجبل منهم بالطائرات، مما أدى إلى استشهاد عدد منهم.

ويقول عبد الرحمن مصباح البطل أحد سكان القرية وممن وعوا تلك الأحداث: "*في نهاية الأسبوع الثالث من نيسان ١٩٤٨، وتحت نظر وبتشجيع ميداني على أطراف ومنافذ مدينة حيفا من القوات البريطانية، قامت القوات البريطانية بتسليم حيفا، حيث قامت المليشيات اليهودية بمهاجمة حيفا منطلقين من مستعمرة إجوزا من على متن الكرمل، وتم احتلال المدينة الوادعة في يوم واحد، وقبل ثلاثة أسابيع على انتهاء الحكم البريطاني لفلسطين أي أن الإنجليز قاموا فعلاً بتسليم حيفا لليهود، وهب شباب الطيرة للنجدة ولكنهم وكما حدث في العشرينيات من*

هذا القرن اصطدموا بقوات بريطانية على طريق حيفا عسفيا والدالية الجبلي، وبقوات بريطانية على مشارف كامب الحديد على الطريق الساحلي لحيفا – يافا حيث منعت هذه القوات تقدم النجدات الطيراوية. وفي المحاولة الجبلية على طريق الدالية عسفيا – حيفا استشهد المقاتل فيصل البدوي أحد المناضلين الطيراويين على أيدي قوات الحامية البريطانية".[٢٦]

ويقول عبد الله السلمان مختار الطيرة: "*بدأ أول الحرب في حيفا فدعاني بالتلفون الشيخ عبد الرحمن مراد ابن مفتي حيفا طالباً النجدة والمساعدة، فهب أهل الطيرة هبة رجل واحد، وبالفعل خرج (٢٥) رجلاً مسلحاً سبقوا جموع الناس وتم الهجوم من قبل هؤلاء على مستعمرة أخوزا لتخفيف الضغط على حيفا وبدأت المعركة بين هؤلاء وأهل المستعمرة استشهد أناس من أهل الطيرة أذكر منهم: يوسف غنام، ونمر منصور باكير، ولحق بهؤلاء المناضلين (٣٠٠) مسلح من الطيرة، لكن نيران الطائرات والقوات البريطانية حالت دون وصولهم إلى حيفا*".[٢٧]

وأكد بيان نويهض الحوت ومحمد نمر الخطيب على هذه الرواية وهي عدد المناضلين الطيراويين.[٢٨]

ويذكر الأستاذ عبد الصمد أبو راشد أحد سكان القرية عن معركة الجبل التي دارت بين القوات البريطانية وأهالي الطيرة الذين سارعوا لنجدة إخوانهم في حيفا. فيقول: في ليلة ١٩٤٨/٤/٢٠ قرر أهالي الطيرة مد يد العون لإخوانهم مجاهدي حيفا، وعن طريق أخوزا، لتكون مفاجأة تجبر العدو على الانسحاب، وفي الصباح الباكر توجهت قوة قوامها ثلاثمائة مقاتل تسلقوا الجبل من جهة قرش المرقصة ورأس المهلك إلا أن الإنجليز كانوا يحكمون الطوق على حيفا واضطروا المجاهدين على الرجوع بعد مناوشة قصيرة ولو ركبوا عنادهم لأبيدوا جميعاً.

Digitized by Birzeit University Library

وبعد آذان الظهر استشهد المناضل أمين سعيد عويس من عناصر حراس المرقصة واضطروا لإخلاء الموقع لنقل الشهيد ودفنه، لكن قوة صهيونية من خمسين إرهابياً تسللت إلى الموقع ونصبت المواقع الرشاشة والهاون وانهالت عليها التعزيزات، وراحوا يقصفون الأحياء السكنية في المنزول، فاستشهد علي سليمان إدريس بقذيفة مباشرة واستمر القصف العشوائي حتى الساعة التاسعة ليلاً، حيث دخلت القرية مصفحتان للجيش العربي الذي ينزل في باب النهر، وأخذت تقصفان المرقصة موقع كمنت به مجموعة من العصابات الصهيونية ومستعمرة أخوزا حتى انسحب أفراد العصابات وعم الهدوء.

وأضاف عبد الصمد أن العديد من العائلات خرجت من بيوتها في البلد ١٩٤٨/٤/٢١ مع أطفالها ونسائها وافترشوا الأرض بالقرب من باب النهر بالقرب من القوات العربية المرابطة وفي الليلة الثانية خرج أكثر من (٩٥٪) من سكان الطيرة وافترشوا الأرض خوفاً من القصف المدفعي، وبدأت بعض العائلات تتسرب إلى خارج القرية راحلة.

المحاولة الأولى لاحتلال الطيرة :

أفاد عبد الرحمن مصباح البطل عن محاولة احتلال القرية قائلاً: "*في نهاية الأسبوع الرابع من نيسان ١٩٤٨، تحركت نفس القوة اليهودية التي احتلت حيفا قبل ذلك بأسبوع واحد لمهاجمة قرية الطيرة واحتلالها. قام مركز الحراسة على متن المرقصة شرق القرية بإعلام كل نقاط الحراسة بواسطة الهاتف الميداني بوجود تحركات راجلة كثيفة إلى الشرق من نقطة الحراسة المذكورة وإلى الشمال منها في وادي عبد الله. ودارت معركة رهيبة بعد منتصف الليل، استطاع اليهود فيها أن يتقدموا على سفوح المرقصة الشمالية، ومنعوا بشكل بات من التسلل من وادي عبد الله في شمال القرية، وكان المقاتلان الطيراويان المرحومان إسماعيل حجير وعبد*

***الرحمن** مصباح البطل، وكلاهما تدربا في قوات حرس حدود شرق الأردن، يتبادلان الرمي والتعليم للرشاش الثقيل الذي بحوزتهما والذي نقلاه إلى بركة صخرية صغيرة من بيت دار عويس في أقصى شمال البلدة، واستطاعا منع دخول أي جندي صهيوني من وادي عبد الله إلى القرية. ولكن هذا لم يكن كافياً، فقد استنجد وفد من مقاتلي الطيرة بقائد معسكر الراشون في زيتون البحري بعد أن انبلج الصباح، وأصوات القادة اليهود تنادي كاديما كاديما (تقدموا .... تقدموا) استجاب ذلك الضابط النبيل لطلب النجدة وقدم ثلاث مدرعات بمدفعيتها واشتركت من محيط نفس المعسكر بقذف القوات اليهودية على سفوح جبل المرقصة ولمدة تزيد عن عشر دقائق، تراجع بعدها اليهود وكرّ المهاجمون وراقتهم مجموعات من المقاتلين الطيراويون إلى مشارف مستعمرة أخوزا اليهودية، وكان هذا الدرس الثاني الذي لقنه المقاتل الطيراوي لليهود".*

وبقيت نتائج هذه المعركة ومخلفاتها ماثلة للعيان ممثلة بعشرات الآلاف من الطلقات الفارغة في نقاط الدفاع الأساسية حول القرية، وبخاصة الحارة الشمالية، وكذلك بخطوط التيار الكهربائي المعطوبة والمقطوعة، مطلقة شرارتها الكهربائية بين الحين والآخر، وكذلك الكثير من بقع الدماء، وضمادات الجروح في موقع المعركة حيث كان اليهود قد وصلوا إلى مشارف المرقصة، وبالطبع وحسب عاداتهم، سحبوا كل قتلاهم وجرحاهم حين انسحابهم، وقد تمت تغطية نتائج هذه المعارك آنذاك، معركة قطع طريق حيفا – يافا ومحاولة الاستيلاء على قرية الطيرة في العناوين الرئيسية لكل من جريدتي الدفاع وفلسطين، وللمقارنة فقط، فقد تم أيضاً الاستنجاد بقائد حامية الجيش العربي والمرابطة في باب النهر، وكان قائدها إدريس بك، فقال نائبه بأن إدريس بك يحضر اجتماعاً مع القادة الإنجليز في حيفا، وهو لا يستطع التدخل دون أخذ إذن من القائد كلوب باش (John Club) وعلم فيما بعد من المعتقلين العرب في حيفا، ومن عاش منهم، بأن قائد الهجوم وكان برتبة عقيد

Digitized by Birzeit University Library

"كولونيل" يهودي روسي قد لقي حتفه في ذلك الهجوم الفاشل. وقد انتقم اليهود لخسارتهم من المعتقلين الفلسطينيين والعرب لديهم في حيفا. في حادثة فريدة، وعلى قمة جبل اسكندر المقابل لبدة الكبابير إحدى ضواحي الطيرة قال شهود عيان بأن الميليشيات اليهودية قتلت أكثر من عشرين معتقلاً أو أسيراً عربياً بالفؤوس في عملية انتقامية بربرية. وعرض قائد الحامية الأردنية خدماته لحماية الأطفال والنساء والمسنين والمرضى، ومن يرغب في البقاء ليقاتل ويتمنى الموت سبيلاً للحياة، وبقي في القرية حوالي خمسماية شاب مقاتل شديدي الاعتزاز بأمتهم وعروبتهم".(٢٩)

وأضاف عبد الرحمن البطل عن حادثة فريدة من نوعها حصلت في الأول من أيار من عام ١٩٤٨ حيث قام وفد يمثل التنظيم الكشفي في قرية الطيرة بزيارته إلى قائد المعسكر البريطاني والذي قام بنجدتهم قبل أيام قليلة وطلبوا منه، باسم حسن الجيرة والحق والعدل، بأن يسلمهم المعسكر، وقد تمكنوا من إقناعه بذلك واستجاب لطلبهم وأخلى المعسكر من الجند البريطانيين، وقامت ثلة من شباب الطيرة بتوديعهم بشكل شبه عسكري على بوابة المعسكر، ووضع ذلك المعسكر تحت إشراف أبناء القرية وبإدارة المقاتل عبد الرحمن مصباح البطل والمفاوض الرئيس مع قائد المعسكر، ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن موقع هذا المعسكر كان استراتيجياً لإشرافه على طريق حيفا – يافا ويستطيع المرابط فيه أن يقطع خط سكة الحديد المحاذي للبحر أيضاً، فهو ذو أهمية للمعركة القادمة.

واستقر في هذا المعسكر عدد من المقاتلين عرف منهم عبد الرحمن البطل المشرف الأول، ومحمد سلوم من الطيرة والمتطوعون العرب من لبنان وسوريا، ويذكر أهالي القرية منهم عباس من جنوب لبنان وسميح من نابلس وهو مسرح من الجيش العربي والجندي الإنجليزي المتطوع والفارمن كتيبة واسمه جورج وسماه أهالي القرية محمداً، وبلغ عدد هذه المجموعة حوالي ١٥ مقاتلاً.

ويروي عبد الرحمن مصباح البطل عن إحدى المعارك التي شارك فيها مع إخوانه المناضلين قائلاً: "أصبحت القرية شبه مهجورة، وأدى ذلك إلى الإحساس بالعزلة خاصة وقد فارقنا أهالينا من أمهات وأخوة وأطفال، رحل أصحاب المواشي والدواجن والأبقار عن القرية إلا ما ندر، وقد استقر قسم منهم في سفوح الجبال بعيداً عن مرمى القذائف، فلم يجد المقاتل الطيراوي من يطهو له الطعام، فأصبحت الوجبة اليومية للمقاتلين هي اللحم المشوي واللبن والخبز في الأيام الأولى ثم أصبح نادر الوجود.

كان الانتظار صعباً ونحن نصغي إلى الأخبار بواسطة الراديو عن سقوط القرى والمدن العربية واحدة تلو الأخرى، عكا، وحيفا، ويافا واللد والرملة، والناصرة، وطبريا، وكنا نتساءل كيف يحدث هذا ؟ ونحن نشكل أغلبية سكان فلسطين وقدمت إلينا سبعة جيوش عربية، ولكن غاب عنا أن قائد هذه الجيوش غلوب باشا هو ضابط غير عربي.

لم يثن هذا الوضع المتردي عزيمتنا بل بقي المقاتل الطيراوي رافعاً الراية شامخ الهامة. وكانت تراودنا أفكار سامية وكنا نقول: ماذا لو أعلنا قيام دولة في بقعة أرض الطيرة التي تقدر بـ (٥٠)كم ولتصبح الدولة العربية الثامنة.

في هذا الأثناء وفي كل ليلة كانت تقوم طائرة واحدة بمهاجمة مواقع المقاتلين وتقصف القرية بشكل عشوائي، لكنها كانت تجابه من (٢٥) موقعاً جبلياً وسهلياً، وكنا ننير سماء القرية من غزارة نيراننا، وخصوصاً أن هذه المواقع كانت مزودة بكشافات كهربائية، استولى عليها شباب الطيرة من المعسكرات البريطانية وكانت تشغل بواسطة مولدات كهربائية صغيرة تعمل على الوقود وتوجه للسماء للكشف عن الطائرات المنخفضة.

Digitized by Birzeit University Library

في أواخر أيار انتقلنا من الدفاع إلى الهجوم، بعد أن تشاور جميع المقاتلين من خلال اجتماع حاشد لهم في معسكر البراشوت الواقع على أرض الزيتون البحري، قررنا الهجوم على مواقع المعسكرات البريطانية السابقة المجاورة في ثلاثة مواقع: الجورة، والعديل، وكمب الحديد، أولاً لإخافة وإرهاب العدو الصهيوني، ومن أجل عنصر المباغتة لما لها من أهمية عسكرية، والسبب الثانيُ الذي اضطررنا إلى الهجوم بعدما أشرف مخزون الوقود لدينا على النفاد، قررنا القيام بهذه العملية إذ لم يكن هناك بد من القيام بها، وكان المعارض الوحيد للعملية الجندي البريطاني جورج الذي أسميناه (محمداً) بحجة أننا قليلو العدد، فراودتنا الشكوك بولاء الجندي، فتم نقل الجندي البريطاني إلى موقع آخر هو عراق المسالمة في الشمال الأقصى لدفاعات القرية.

وفي الساعة الثالثة من فجر ٣٠ أيار ١٩٤٨ قمنا بمهاجمة هذه المعسكرات مستعملين مجنزرة يقودها المناضل الطيراوي حسن السعدي وسيارات جيب مسلحة برشاشات ثقيلة، واقتحمنا الـ A.T.S البريطاني المحاذي لمعسكرنا، وتم احتلاله دون مقاومة، ثم انتقلنا إلى معسكر الجورة الواقع غربي عراق المسالمة واحتليناه أيضاً، وفر الجنود اليهود المدافعون عنه، عندها أطلقت قذيفة خضراء من مسدس للقذائف المضيئة في السماء، وكانت هذه إشارة متفقاً عليها بيني أنا عبد الرحمن البطل ورفيقنا في القتال إسماعيل حجير، ليعلم بأن السيطرة أصبحت بأيدينا، وكان إسماعيل من عناصر نقطة حراسة أرض غنيم التي يملكها مصباح وقاسم البطل، وخلال دقائق كانت عناصر المساندة قد قطعت المسافة بين الموقعين ثم بدأنا في تنفيذ المهمة الثانية من الخطة التي رسمت للهجوم وهي احتلال أكبر أحد معسكرات بريطانيا في فلسطين وهو كامب الحديد، وبزغ الفجر، وإذا ببعض نساء قادمات إلينا حاملات اللبن والطعام والماء والزغاريد تنطلق من حناجرهن رغم أننا حسبنا أن القرية قد خلت منهن.

وكان لا بد إلا أن تجتاز النساء نقطة حراسة يهودية في الزاوية الجنوبية الشرقية لكامب الحديد كانت مقامة على بيت قديم محاذٍ للمعسكر بجانب بئر عسقول، ثم تبرع المقاتل سميح النابلسي بتولي السيطرة على هذا الموقع مستعملاً مدفعاً مضاداً للدروع من نوع BEATGUN ، قمنا نحن بتقديم التغطية النارية المناسبة والكثيفة له حتى يتمكن من الاقتراب من الموقع والإلتفاف عليه حتى يتمكن من السيطرة عليهم. وتم رسم خطة هجوم بحيث نهاجم نحن الموقع من غابات الزيتون فيصبح تدميره موكداً وتم تحقيق ذلك خلال دقائق معدودة لم تتجاوز خمس دقائق، وفر المقاتلون اليهود وأطلقت صفارات الإنذار في ذلك المعسكر الجبار، وفر اليهود منه في الوقت الذي كانت فيه مجزرتنا الوحيدة تتقدم على طريق حيفا- يافا.

في ذروة الانتظار هذا دخلت سيارتا جيب بيضاء إلى معسكر البراشوت وطلبوا إذناً لدخول للقرية بحجة إننا خرقنا الهدنة، ولكننا منعناهم من الدخول رغم أننا كنا نسمح لهم بالدخول في السابق وقلت لهم: وكيف لي أعرف بأنكم لستم يهوداً أو مرسلين من طرفهم؟ ثم تبعت مجنزرتنا الوحيدة سيارتي الجيب على طريق حيفا – يافا، وتم دخول المعسكر ونقل كل ما نحتاج إليه من بنزين وغيره من الوقود اللازم الذي كان مخزناً في تنك سعة ٢٠ لتراً أو في براميل .

وفي ذلك اليوم أعلنت محطة الـ B.B.C من لندن خبراً لمراسلها المتواجد في حيفا بأن قوات عراقية نظامية تقوم بهجوم مباغت وشديد على مدينة حيفا، وعلمنا فيما بعد أنه لم يكن موجوداً في حيفا سوء النساء، ولو استجاب الجيش العراقي وحامية الجيش العربي لنداءاتنا وقدمت من وادي عاره وعرعره ومن الشرق من جنين لكنا قد استطعنا استعادة أهم مدينة في فلسطين "حيفا"، ومن حسن حظنا أنه لم يصب أي مقاتل منا بأي أذى، سوى انفجار حقيبة عسكرية كان يحملها المقاتل حسين مصباح البطل وهو في نقطة الدفاع الشمالية في عراق المسالمة، حيث

Digitized by Birzeit University Library

ألقاها عندما أحس بشئ غير طبيعي في داخلها ولكنها انفجرت غير بعيدٍ عنه مما أدى إلى إصابته بجروح بالغة بقي يعاني من أثرها حتى أواخر السبعينيات.(٣٠)

الهدنة وعواقبها السلبية:

يقول عبد الصمد أبو راشد: "*حاولت بريطانيا بعد أن فرغ اليهود من احتلال حيفا وسيطروا على منافذها ومداخلها وضواحيها. فرض هدنة ابتداءً من ١٩٤٨/٦/١١، وابتسم الكل وهلل للكونت فولك برنادوت وسيطاً دولياً يشرف على وقف إطلاق النار ولتسوية النزاع بالطرق الدبلوماسية، ووضع قرارات وتوصيات لم ترض بها أطراف النزاع. وفي الطيرة محاربون مشكلتهم أنهم لا يتعاطون بالسياسة وقلما يحفلون بها وبالهدنة*".

ولكن حال أهالي الطيرة أصبح يسير من سيئ إلى أسوأ. يحاصرهم اليهود من كل ناحية وصوب، فعملوا على عزلهم عن العالم الخارجي أصبح سلاحهم محدوداً، وبدأت ذخيرتهم تتناقص، ونفد الوقود وعادوا إلى الحطب، والزناد والفتيل وحجر الصوان، قل الطعام، وكادوا يأتون على الطيور الداجنة التي لم يبق لها علف ولا عالف، ثم تلفت المحاصيل الزراعية وخصوصاً النائية منها، وإذا خرجت مجموعة إلى حقولها فتحت حراسة المناضلين.

لم يلتزم اليهود بالهدنة فبدأوا يزحفون نحو الطيرة واحتلوا الكبابير بعد قصفها ورحيل أهلها عنها وبعد الحرب عاد سكانها إليها وما زالوا، وهي الآن من القرى العربية القائمة في لواء حيفا.

سنحت الفرصة لكثير من عائلات الطيرة بمساعدة القوات العربية بالرحيل وتسلل البعض تحت جنح الظلام خوفاً من العار أو اتهامه بالجبن. وللحقيقة أن أغلب العائلات التي رحلت كان السواء الأعظم منها من النساء والأطفال والشيوخ.

وللحقيقة والتاريخ نذكر أن البعض قد خان وطنه وأمته في اللحظات الأخيرة، فيروي لنا الأستاذ عبد الصمد أن أحد أهالي الطيرة بكى وهو على فراش الموت لأنه نقل السلاح مع بضعة رجال آخرين للعدو من المعسكرات الشمالية من أخوزا إلى الشلالة لقاء جنيهات معدودة، حتى لا يتعرض للخطر عند رحيلهم عن القرية، وكانت وسائل النقل على الحمير والخيول. لكن هذه الرواية لم تؤكد لي من أي راو أخر ممن قابلت من أهالي القرية.

والحق يقال إن بضع مئات من شباب الطيرة بقيت تساندهم النساء صمدوا أكثر من شهرين ولم يمكنوا العدو من احتلال قريتهم. وجاء هذا باعتراف اليهود أنفسهم فورد في الرواية الإسرائيلية الرسمية على لسان القادة العسكريين عن رحيل ما يقارب ٢٠٠,٠٠٠ عربي حتى نهاية عام ١٩٤٨ وخصوصاً بعد المجازر التي ارتكبتها العصابات الصهيونية، لكن في أمكنة قليلة نجد استثناءات قرى وتجمعات سكانية صمدت في طوفان الذعر هذا. وينبغي هنا التنويه من الناحية العسكرية، إلى صمود قرى الطيرة وعين غزال وإجزم وجبع في منطقة الكرمل الجنوبي لحيفا. فقد صمدت هذه القرى لمدة طويلة بعد سقوط حيفا، ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب، وإنما استمر رجالها أيضاً في إزعاج وسائط النقل اليهودية المتجهة إلى حيفا وأرغموها على المرور عبر وادي المالح. ولم تستطع قوات جيش الدفاع الإسرائيلي احتلال الطيرة إلا في ١٩٤٨/٧/١٦".(٣١)

يقول سكان القرية بقيت القرى المجاورة لنا جبع، واجزم، وعين غزال، تنتظر قرار الطيرة وقال وجهاء من هذه القرى إذا رحلتم رحلنا وإذا صمدتم صمدنا وحاربنا. وجاء القرار الطيراوي الصعب في اختيار الحرب بدل الاستسلام.

Digitized by Birzeit University Library

المفاوضات والقرار الصعب:

قبيل الهجوم على القرية حاول اليهود جس نبض معنويات المناضلين الطيراويين فعملوا مناورة المفاوضات التي استهدفت تحطيم معنويات أهلي القرية من جهة وإخفاء نوايا العدو من جهة أخرى، رغم أن العدو كان قد جهز خطة الاحتلال قبيل أسابيع وأيام، وركز قواته في كمائن بالقرب من حدود القرية، ورابطت زوارقه الحربية قبالة شاطئ الطيرة وكانت طائراته الحربية على أهبة الاستعداد تنتظر ساعة الصفر.

فأرسل الصهاينة رسولاً من أهالي الطيرة كان قد اعتقل في معارك حيفا اسمه عبد الحفيظ الأحمد يحمل رسالة إلى مختار ووجهاء القرية يطلبون التفاوض معهم وحددوا الزمان والمكان. وجرت مفاوضات صورية فرض اليهود شروطاً ظالمة على أهالي الطيرة منها تسليم السلاح والمناضلين القاطنين في الطيرة من غير سكانها، وأعطى اليهود مهلة ساعتين للرد عليهم وإلا الحرب، وكانت هذه الشروط مقابل عدم مهاجمة الطيرة. وكان القرار الطيراوي الصعب بعدم الاستلام لهذه الشروط الجائرة واتخذ القرار بالرد على أي هجوم محتمل من قبل اليهود.

وكان هذا رأي الشباب قبل الشيوخ الذين باركوه رغم أنهم يدركون مخاطره وأيدت قرى إجزم وجبع وعين غزال هذا القرار ودعمته. وبعد انقضاء المدة المحددة لاستلام الرد بدقائق معدودة بدأت القذائف المدفعية والطلقات الرشاشة تنهال على الطيرة من الشرق والشمال، وبدأت الزوارق الحربية المرابطة قبالة الطيرة تقصف القرية دون تمييز بين مدني وعسكري.

يقول عبد الله السلمان مختار القرية بهذا الصدد: *"بعد سقوط حيفا بدأ اليهود يهاجمون البلد ولكن أهالي الطيرة صمدوا وكانوا يردونهم على أعقابهم، وشكلت في القرية لجنة قومية في البلد، كان من أعضائها عبد الله السلمان، وأبو صالح الفهد،*

ويوسف الراشد، ونايف العبد المحمود، وأسعد درباس، ومصباح البطل، وعندما جاء اليهود وهم سبكتر مختار اخوزا ثم رئيس بلدية حيفا وكرستين ضابط عسكري يريدون مقابلتي رفضت الذهاب لأني أعرف نواياهم يريدون منا التسليم، وذهب يوسف الراشد وأبو صالح، ونايف العبد المحمود ومصباح البطل، وأبلغت اللجنة أني مع أي قرار تتخذونه فإن حاربتم فأنا أمامكم. وعندما وصل الوفد الطيراوي إلى مكان اللقاء سأل سبكتر أين المختار عبد الله السلمان ؟ قال له يوسف الراشد المختار مريض، قال سبكتر إن كان مريضاً ندعو له بالشفاء، فقال يوسف الرشد هل أصبحتم مؤمنين تدعون للناس بالشفاء ؟ قال سبكتر دعونا الله أن نحتل حيفا فاستجاب لنا ثم دعونا أن نحتل اللد والرملة فاستجاب لنا.

فعرض اليهود على أهالي الطيرة التسليم مقابل أن نبقى في أرضنا على شرط أن نسلم الأسلحة والمقاتلين، لكن رفضنا وقال لهم يوسف الراشد سنقاتلكم ولو بالباكورة، رغم أنه جاءني أناس من أهل الطيرة طالبين مني أن نسلم لكن رفضت ذلك خوفاً من أن يقال عني إني خائن، وفضلت أن أضحي بكل شئ على أن نسلم. وبدأ الهجوم على القرية براً وبحراً وجواً وشرد كثير الناس واستشهد منهم قسم". (٣٢)

وأفاد عبد الصمد أبو راشد عن جلسة المفاوضات قائلاً: "عمل الصهاينة على محاصرة القرية بعد سقوط حيفا حتى أواسط تموز على أمل أن يستسلم أهل القرية، فاستعاض الصهاينة عن الحصار بالقصف المدفعي المتقطع والغارات الجوية بين حين وآخر، حتى يئسوا من أن ينالوا من الروح المعنوية للمجاهد الطيراوي، وعلى الرغم من انتكاسات الجيوش العربية، وبوادر الإخفاق السياسي فقرر العدو طلب التفاوض من مركز القوة وذكاء المفاوض تجنباً لوقوع خسائر بشرية في صفوفه، فأطلقوا سراح عبد الحفيظ الأحمد المعتقل الطيراوي لديهم من أيام سقوط حيفا، وحملوه رسالة شفوية وحددوا الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر

Digitized by Birzeit University Library

١٩٤٨/٧/١٤*، وحددوا المكان بين معسكر المدرسة ومنازل الطيرة الجنوبية، توجه إلى الاجتماع يوسف الراشد وأحمد حمد أبو غيدا، ونايف العبد المحمود وحسن الدودة، وأحمد سليمان الصادق، وسلمان عبد العال حجير، وكرم الفهد وآخرون من المناضلين. واختار الصهاينة شخصيات بارزة ومعروفة لدى أهل الطيرة منهم سبتاي ليفي رئيس بلدية حيفا، وسبكتر مختار اخوزا وكرستين ضابط بارز في الهجناه.

بدأ الحديث رئيس البلدية وأكد قيام دولة إسرائيل كواقع يجب الاعتراف به وعلى حسن الجوار وأشار إلى ثمار الطيرة وخيراتها وقال لمن تتركون هذه الخيرات ؟! سقطت حيفا، وهي الراس فسلموا، ورجاهم بعدم الاستماع إلى الإذاعات العربية ثم لخص مطالبه: ألقوا السلاح وسلموه لنا وأخرجوا الغرباء، وفي رواية أخرى سلمونا الغرباء، وعندها وقف أحد المناضلين واسمه سميح* وبصق في وجهه قائلاً له اخرس فمسح ليفي وجهه بمنديله وقال له أنت لست من الطيرة أهل الطيرة لا يفعلون هذا أبداً. وعلق يوسف الراشد على حديث ليفي بقوله أنتم قوم لا عهد لكم، وعلق الحضور على كلام ليفي بالاستنكار. وأخيراً وقف ليفي ليقول أنتم أحرار أمامكم ساعتان فقط للرد النهائي ولن أكون مسؤولاً عما يحدث بعدها.

* ورد خطأ في التاريخ الذي أورده الأستاذ عبدالصمد أبو راشد حيث قال ١٩٤٨/٨/١٤ والصحيح ١٩٤٨/٧/١٤ من خلال كتابه والمقابلة التي أجريناها معه بتاريخ ١٩٩٤/٩/٢٠ في إربد.

* سميح: هو مناضل من نابلس تطوع في صفوف المناضلين بعد أن سرح من الجيش العربي.

ولم يسفر الاجتماع عن شئ ولم يتخذ فيه قرار، ولما رجع المفاوضون إلى الشارع سمعوا هيجاناً واستنكروا فيه تسليم المناضلين الغرباء فيا للعارا، وتعالت الأصوات الحرب الحرب، نريد الحرب ولا الدنية، وهكذا اتخذ الشارع العام قرار الحرب وعدم الاستسلام، ولم يتلق الصهاينة جواباً وعدم الجواب جواب".

احتلال القرية :

لم يكن من عادات أهل الطيرة الغدر ولا الخيانة، ولم يكن بوسعهم تسليم المناضلين ولا السلاح الذي بحوزتهم، فقال الشباب منهم: الحرب بيننا وبينهم سجال، وتعالت زغاريد النساء وكبر المناضلون والرجال، وصاح الشجعان الموت ولا المذلة، أن ترتوي أرض الطيرة بدمائنا خير لنا من أن يسيل عرقنا ونحن هاربون.

بلغت الساعة الثانية وخمس دقائق من بعد ظهر ١٩٤٨/٧/١٥ أي مضت الساعتان المحددتان فانهالت القذائف على الطيرة من جهاتها القريبة والشمالية والشرقية وبدأت الطائرات تقصف من الجو وظل القصف البري والبحري والجنوبي على الطيرة مستمراً حتى ساعات الغروب، كانت حصيلة ذلك القصف استشهاد سبعة رجال وثلاثة أطفال: وهم محمد عبد الحفيظ الأحمد، وعلي حسين حجير، وعمار المغربي، وحسن ابو حمدة، ومحمود حسني المص، ومحمود الدحنوس وولده أحمد، وأما الأطفال فهم خليل أحمد محمد سعيد، وخالد هاني علوة وشقيقته. وأدى القصف كذلك إلى جرح عدد من أهالي القرية تركوا دون إسعاف عرف منهم: حسين مصباح البطل، وراضي عبد القادر السمير، وأحمد محمود باكير (أبو شقرة) الذي استشهد متأثراً بجراحه عام ١٩٤٩.

واعترف بن غوريون بأن الهجوم على القرية كان من أشرس وأكبر الهجمات التي شنت على القرى العربية، ومع هذا فيروي أن الذي قام بالهجوم

Digitized by Birzeit University Library

هداري "لوبلين" في الساعة السادسة صباحاً حيث تم الاستيلاء على استحكاماتهم على جبل الكرمل، كان أهالي القرية قد أعدوا خط دفاع أول، ورغم القصف البري والجوي والبحري إلا أن أهل القرية صمدوا وظلوا يسيطرون على خط دفاع آخر. ويتابع بن غوريون قوله: *"لقد هاجمت قواتنا حيفا والطيرة في ليلة ١٥ - ١٦ تموز واستعانت ضمن ما استعانت بنيران سفن سلاح البحرية، واحتلت الطيرة يوم ١٦/ من الشهر نفسه".*(٣٣)

وورد في كتاب الرواية الإسرائيلية الرسمية لحرب فلسطين أنه ضاقت سيطرة العرب في الكرمل، حيث احتلت بلد الشيخ وعسفيا الدرزية ودالية الكرمل، واحتلت الكتيبة الرابعة في ٥/١٥ أم الزينات، وفي ٥/٢٣ احتلت الطنطورة" وسقطت الطيرة الواقعة جنوبي حيفا في أيدينا خلال معارك الأيام العشرة في ٧/١٦ ، واستعانت القوات البرية في هذا الهجوم للمرة الأولى بنيران من البحر اذ شاركت السفينة "ايلات" في قصف المكان تمهيداً لاحتلاله، وفي اليوم نفسه شاركت حانة سانش و "تكفا" بنيران موجهة من أسلحة خفيفة".(٣٤)

ويبدو أن الصهاينة قد رسموا خطة محكمة لمنع قرى ساحل الكرمل من مساعدة أو إنقاذ أهالي الطيرة فبدأوا بقصف صرفند وكفر لام والطنطورة وعتليت وعين غزال وعين حوض.

واستعملت إسرائيل الحرب النفسية في الهجوم على الطيرة بحث ألقت طائراتهم قصاصات من الورق كتب عليها "سلموا تسلموا، إننا عملنا معاهدات مع جميع الدول العربية ولم يبق من يساعدكم" إلا أن أهالي القرية لم يأبهوا لهذا الكلام وأبقوا اليد على الزناد.

ويروي لنا عبد الرحمن مصباح البطل عن مشاهدته وتجربة رفاقه في الدفاع عن القرية وصمودهم أمام أحدث الأسلحة مقارنة مع أسلحتهم الخفيفة التي

أكل عليها الدهر وشرب، إلا أنهم صمدوا وجهاً لوجه ولم يولوا الأدبار إلا عندما نفدت آخر طلقة من مخازن بنادقهم فأصبح لا حول لهم ولا قوة فيقول: "*وهكذا وحتى نهاية تموز عام ١٩٤٨، بقيت قرية الطيرة صامدة شامخة بتضحية أبنائها ورغبتهم في الدفاع عن تراث الأجداد، وكانت الغارات الإسرائيلية قد بدأت في رمي قصاصات ورق تقول، سلموا تسلموا دولة إسرائيل وجيش الدفاع الإسرائيلي هزم كل الجيوش العربية، سيهاجمون القرية بكل قواتهم المحاربة، بعد أن عقدوا هدنة مع جميع الدول العربية المحيطة بفلسطين، وبأنهم سوف يهاجمون القرية في الساعة الرابعة من بعد الظهر لاحتلالها بالقوة. وبالفعل فقد بدأوا الهجوم برمايات مدفعية مكثفة وبمعدل قذيفة واحدة كل عشر ثوان على معسكر البراشوت في الزيتون البحري، نظراً لموقعه الاستراتيجي ولمدة ساعة ونصف مما أجبر المقاتلين والمدافعين عنه بالانسحاب إلى مواقع أقرب إلى القرية، ثم تبين أن الجندي الإنجليزي جورج "محمد" والذي عاد وانتظم في صفوف المدافعين عن المعسكر لم يكن بين المنسحبين، وعادت إلى المعسكر مفرزة انضم إليها فهد أكرم الفهد العباس الزيدان ونبيه زيدان الفهد إضافة إلى مقاتلي المعسكر المنسحبين واشتبكوا مع القوات الإسرائيلية التي بدأت طلائعها تدخل المعسكر من ناحيته الشمالية بشكل مباغت، واستطاعوا دحر هذه الطلائع والوصول إلى مبنى الحمام. في المعسكر الواقع في الجهة الغربية منه وجدوا الجندي البريطاني جورج مختبئاً تحت مغسلة الحمام مصوباً مسدسه إلى رأسه وقد احتفظ بآخر رصاصة معه ليقتل نفسه قبل أن يأسره اليهود. وعاد جميع المقاتلين ومعهم الجندي البريطاني إلى موقع دفاعي في بستان العسل، غربي القرية".*

وفي نقطة الدفاع الشمالية في أرض غنيم العائدة لبيت البطل، تناوب المقاتلان إسماعيل حجير وأخوه إبراهيم على تشغيل المدفع الرشاش، طيلة بعد الظهر ومساء ذلك النهار، مغلقين المدخل الشمالي للقرية إغلاقاً تاماً أمام تقدم المشاة

Digitized by Birzeit University Library

اليهود من معسكرات الجورة والعديل الواقعين في شمال البلدة، وقال إسماعيل حجير للراوي فيما بعد، بأنهم اضطروا لتغير سبطانة الرشاش عدة مرات بعد أن كانت قد سخنت من كثافة إطلاق النار من خلالها، مستعملين قمصانهم للفها قبل الفك.

وفي موقع المرقصة والزلاقة الواقعتين على متن وادي عبد الله ووادي العين "أبو الجاع" استمر المقاتلون الطيراويون الأشداء في الدفاع عن القرية مانعين تقدم القوات اليهودية كل في منطقته.

غير أن القوات المهاجمة كانت تفوق المدافعين عدة وعدداً بشكل كبير وخصوصاً باستعمالها راميات من مدافع الهاون المختلفة العيارات، إضافة إلى أن اليهود استعملوا طائرتين وبشكل مستمر لقصف القرية ونقاط الحراسة من حولها.

وبالتفاهم والتنسيق مع كافة نقاط الدفاع عن القرية وبواسطة الهواتف الميدانية، تقرر أن ينسحب جميع المقاتلين من نقطة تقع شرقي وادي أبو الجاع بعد أن تبين أن اليهود لم يحكموا تطويقها وهكذا بدأ الانسحاب في منتصف الليلة ذاتها باتجاه جنوب شرق، وبقي في القرية المصابون بإصابات خطيرة نذكر منهم: حسين مصباح، ورضا السمير في جامع القرية الذي حول إلى مستوصف للإسعاف أثناء القتال بإدارة المقاتل الممرض أحمد محمود عباس الزيدان.[٣٥]

وورد على لسان عبد الصمد أبو راشد بأن أحد الضباط الإنجليز الذي تآمر على تسليم حيفا لليهود روى لأحمد أبو غيدا أحد أبناء القرية عام ١٩٥٨ عندما التقى به في إربد بأنه أشار على اليهود ترك الجهة الجنوبية الشرقية للقرية مفتوحة لئلا يضطر المقاتلون الطيراويون إلى القتال المستميت فيخسر اليهود خسارة بشرية فادحة.

وكان من عادة اليهود تطويق أي قرية من جهات ثلاث ويبقوا جهة مفتوحة حرة كي يستطيع الناس الرحيل من خلالها وهذا ما حصل في قرى عدة من بينها طيرة حيفا.

خلال القصف البري والبحري والجوي الذي تعرضت له القرية فر عدد من الناس منها هائمين على وجوههم لا يجدون مأوى ولا طريقاً للنجاة سوى الجهة الجنوبية الشرقية، ولم يدعهم الأعداء بل لاحقتهم الطائرات وأخذت تقصف كل تجمع لهم وكل قافلة راجلة منهم، وتقول أم محمد زوجة أحمد الزير: " *عندما وصلنا إلى عين حوض وكنا في شهر رمضان المبارك ونحن صيام غربت الشمس وصعد المنادي ينادي لصلاة المغرب جاءت طائرة وبدأت تقصف وتلقي بقذائفها علينا، وما أن كبر المؤذن حتى سقطت قذيفة عليه شطرته نصفين، وهدمت جزءاً من مئذنة المسجد، وكانت رحلتنا شاقة ومريرة، والشيء المبكي والمضحك الذي حصل معي أننا أثناء رحيلنا عن البلد ونحن في الطريق متوجهين إلى عين حوض وجدت مخدة "وسادة" في الطريق فالتقطها وأخذتها معي وبعد دقائق شاهدها زوجي معي فقال مستنكراً فعلتي ! الله أكبر تركنا كل شئ وراءنا وحاملة معك وسادة، فأخذها مني ورماها من على الجبل، وعندما وصلنا إلى إجزم وجدنا أحد أبناء قريتنا اسمه حسن الصروة، يصيح ويبكي ويسأل عمّن وجد وسادة صفاتها كذا وكذا وله جائزة (١٠٠) جنيه، وعندما استوضحنا عن سر اهتمامه بهذه الوسادة رغم معرفتنا بغناه ويسر حاله قال لنا: إنها مليئة بآلاف الجنيهات الفلسطينية، وإنه وضع كل ثروته فيها حيث أفرغ صوفها ووضع النقود مكانه فنظر إليّ زوجي ونظرت إليه نظرة عتاب*".

وتتابع ام محمد حديثها عن ويلات الرحيل فتقول: "*هربنا حافيين مشلحين من الطيرة قسم طلع من البلد قبل سقوطها وقسم بعد الهجوم عليها، وقسم ظل فيها وخلوا طريق من الجنوب الشرقي مفتوحة من أجل أن يرحل الناس منها، واحتلوا*

Digitized by Birzeit University Library

البلد وقتلوا عدد من أبناء البلد وشرد اللي شرد وأسروا عدد من الشباب. أثناء الرحيل ضاع إبني مني وكان عمره سنتين ونصف أخذوا خالوه أسير وتركوه هائم على وجهه، وبعدين وضعوا على صدره شريطة وكتب عليها اسمه محمد بن أحمد الزير من طيرة حيفا، أخذوا اسمه من أخوي الذي أسروه ووضعوا الولد على طريق اللجون والناس أخذوه معهم إلى جنين ومن واحد إلى واحد حتى وصلني بعد ١٥ يوم".(٣٦)

أجمع سكان القرية على أن اليهود لم يجرؤوا على دخول القرية إلا بعد ثلاثة أيام من رحيل المقاتلين وبقي عدد من السكان في منازلهم رغم انسحاب المقاتلين منها ولجأ البعض الآخر إلى الكهوف حتى يحتموا من نيران الرشاشات وقصف الطائرات، وفي صبيحة ١٩٤٨/٧/١٧ دخل اليهود القرية وأخذوا يجمعون الرجال والنساء ساحة القرية فأسروا عدداً منهم ووضعوا الباقين في شاحنات أفرغوها على طريق جنين بالقرب من اللجون وأمروهم بالذهاب مشياً على الأقدام إلى جنين وهناك تلقاهم الجيش العراقي، ويروي بعض الناس أن الطائرات الإسرائيلية أخذت تقصف عليهم عندما أصبحوا على مشارف جنين خوفاً من رجوعهم.

فتقول الحاجة منوى محمود عيسى عبد الوهاب: *"بعدما سقطت القرية أخذ عمي الشيخ أحمد ينادي علينا حيث كنا مختبئين في مغارة الشقيف فنزلنا، وعندما وصلنا إلى وادي العين وجدنا اليهود هناك يستحمون ويرقصون محتفلين بسقوط القرية وبنصرهم فقادونا ونحن رافعو أيدينا إلى أعلى مستسلمين، مررنا بجوار بيتنا فوجدناه مملوءاً باليهود، وقد أخرجوا. الكراسي من داخله وكان عندهم ابن قاسم الموسى أبو حسين وقد وقع في الأسر، وبقي اليهود يقودوننا حتى وصلنا إلى قهوة حمودة، فجاء إلينا مختار حيفا واليهود يبارك بعضهم لبعض ويرقصون فرحاً بهذا*

النصر، ثم طلب منا المختار أن نذهب إلى بيوتنا وإحضار ما يمكن حمله من طعام وملابس بالشاحنات والباصات حتى وصلنا إلى اللجون وهناك حطونا وقالوا: إذهبوا من هنا ونقلتنا إلى جنين، وعندما وصلنا مشارف جنين جاءت طائرات وأخذت تقصفنا حيث رمت علينا ٣٥ قيزاناً وهدمت بيتاً مكوناً من ثلاثة طوابق، لم نخف في الطيرة كما خفنا في جنين، ثم وضعونا في مدارس ومن ثم نقلونا إلى نابلس وقسمونا على البلاد".(٣٧)

حرق كبار السن والمذبحة النكراء :

أكد لي جميع من قابلت من القرية أن اليهود قاموا بحرق عدد من كبار السن والعجز المقعدين ويقدر عددهم بـ (٢٧) شخصاً، وروى أهالي القرية أن اليهود عندما جمعوا من تبقى في القرية من نساء وأطفال وشيوخ وأركبوهم في شاحنات وتركوهم عند اللجون أمروهم بالتوجه إلى جنين، كان من بين هؤلاء عدد من العجز والمقعدين الذين لا يستطيعون السير، كما كان من بينهم مكفوفون. فوضعهم اليهود في حقل بجانب الطريق به قش هشيم وسكبوا عليهم مادة مشتعلة كما أفاد الرواة، ويعتقد أنها مادة البنزين أوالكاز وأطلقوا عليهم رصاصاً حارقاً خارقاً فقتل من أصابه الرصاص وحرقوا جميعاً عندما اشتعل الحقل بهم، ونجت إحدى السيدات وهي التي كانت ترافق أخاها الضرير واسمها زليخة من دار سلوم التي نجت بنفسها وتركت أخاها، وذكر لي غازي حجير أحد أبناء القرية أن فارس الخوري مندوب سوريا في الأمم المتحدة قدم شكوى ضد اليهود، لكنه لم يجد آذاناً صاغية. ولم تستثر هذه الشكاوي ضمير العالم لأن الذين حرقوا وقتلوا هم من العرب وليس سواهم.

وللأسف الشديد فمع تفرق أهالي القرية وتشتتهم في بقاع الأرض وفي أغلب أنحاء المعمورة ومع مرور الزمان نسوا وغاب عن اذهانهم أسماء هؤلاء الشهداء

Digitized by Birzeit University Library

الذين قتلهم اليهود حرقاً واختلطت أسماؤهم بأسماء شهداء القرية الذين قتلوا أثناء القصف ولم يستطيعوا تذكر إلا بعض الأسماء أو الألقاب.

وسوف نعرض شهادات لبعض الرواة عن هذه الحادثة النكراء: منها ما رواه لنا غازي حجير أحد أبناء القرية: "*بعد سقوط القرية دخل اليهود على البلد مسكوا هالختايرة والأولاد والنسوان وركبوهم في باصات وظلوا سايقينهم لعند اللجون غرب جنين، وأنزلوهم من الشاحنات، ظلوا بطلع (٢٨) واحد من العجز اللي بقدروش على المشي، داروا عليهم بنزين وحرقوهم وأذكر أن فارس الخوري مندوب سوريا شكى عليهم في هيئة الأمم سنة ١٩٤٨. وأذكر واحد من هؤلاء الشيوخ كان كبير السن وعاجز من دار سلوم وواحد آخر لا أذكر اسمه هذا تصاوب في الهجوم على القرية وحملته أنا وزملاؤه من جبهة المعركة في الليل ونقلناه على دابة ووضعناه في بيته وضمدنا له جروحه وتركناه وحيداً في بيته، ونحن خرجنا من البلد وتركناه وجاء اليهود وأخذ من جملة ما أخذوا وعند اللجون حرقوهم*".[٣٨]

ويؤكد ياسين أحمد محمود غنام وشقيقه: "*عندما وضعوا كبار السن في الباصات وأنزلوهم عند اللجون من الحافلات، فمن تمكن من السير سار في طريقه متوجها نحو جنين، أما العجز من المقعدين الذين لا حول لهم ولا قوة فجلسوا على قارعة الطريق لأنهم لا يستطيعون السير فمخافة أن يعودوا بعد حين إلى القرية وضعوا عليهم كازاً وأحرقوهم وكان عددهم (٢٦) شخصاً، وكان من بينهم جدتي ليلى خليل غنام وواحد كان عمره ١١٠ سنوات اسمه دعاس ثم واحد من دار سلوم*".[٣٩]

وورد في شهادة جمعة أحمد غنام في سياق المقابلة التي أجريت معه ما يلي: "*بعدما رموا الناس من الشاحنات عند اللجون نجى من استطاع السير على قدميه ومن لم يستطع وكان مقعداً أو ضريراً أوعاجزاً يقال إنهم جاءوا بكاز أو*

بنزين وداروه عليهم وحرقوهم، واعرف منهم جدتي ليلى غنام وواحداً من دار سلوم، وحسن الدعاس ومحمود سلوم وزوجته، ويقدر عددهم ما بين ٢٦ – ٢٧ شخصاً، ويقال أن واحدة منهم اسمها الحاجة زليخة سلوم طلعت من النار مثلما خرج سيدنا ابراهيم سالماً منها والسبب في ذلك أنها كانت تقدر على السير بل بقيت في ذلك الوقت عند كبار السن لأنها كانت ترافق أخاها الضرير وعندما أشعل اليهود النار نجت بنفسها ولم تستطع مساعدة أخيها وهي التي أبلغت عن الحادث ثم طلعت عند أخوتها على سوريا".[٤٠]

ويقول عبد الله السلمان مختار القرية لقد قام اليهود بفعلة نكراء بحيث جمعوا عدداً من العجز من أهالي القرية ووضعوهم على طريق جنين في حقل من القش وأشعلوا فيهم النار فمات أغلبهم. وأكد محمد نمر الخطيب في كتابه من أثر النكبة هذه المذبحة وذكر أن عدد من الشهداء الذين سقطوا بها بلغ (٢٧) شهيداً.[٤١]

وذكرت ساهرة درباس في كتابها طيرة حيفا نقلاً عن أهالي القرية الذين أجرت معهم مقابلات ميدانية قولهم: "*إنه بعد سقوط القرية توجه فيكتور الخياط وأخذ رجال القوات الصهيونية إلى منطقة إجزم لاستشارة أهل البلدة بما يفعلوه بالمسنين الذين بقوا في البلد عاجزين عن مغادرتها فطلب أهل البلد منهم أن ينقلوهم إلى المناطق العربية المجاورة، فأخذوهم في حافة إلى اللجون ثم أنزلوهم هناك، وأطلق الصهاينة النيران باتجاههم لحثهم على الهرب فمنهم من فر بنفسه، أما العجز فأحرقوهم وأمتعتهم، وقسم منهم دفنوا في قبور جماعية في قرية سويلم وقسم حضر أهله ودفنه في مكان آخر*!![٤٢]

وروى لي عبد الصمد أبو راشد أحد أبناء القرية نقلاً عن رواة من أهل القرية كان قد قابلهم فقال: "*بعد دخلوهم القرية من قبل اليهود التي هابوها ثلاثة أيام بعد انسحاب المقاتلين جمعوا من بقي فيها من المسنين والمكفوفين والقائمين على*

Digitized by Birzeit University Library

خدمتهم وأخرجوهم بالناقلات العسكرية والمدنية إلى اللجون، وأصعدوهم ظهر تلة هناك وأنزلوهم من الشاحنات التي ابتعدت، ثم قامت مجموعة منهم برش البنزين حولهم على شكل دائري ثم ابتعدوا قليلاً وأطلقوا الرصاص الحارق على البنزين، فاشتعل بالأشواك الجافة، ثم أطلقوا الرصاص فوق الرؤوس ليعجلوا بالمغادرة، فهنيئاً لمن أصابته طلقة قاتلة فارق الحياة قبل أن يرى النيران تحرق جسده، ولا تسل عن ابتهاج اليهود وصيحاتهم الهستيرية وفرحتهم بالمنظر، مسنون مقعدون ومكفوفون يصيحون ولا يدرون أين المفر؟، ولا كيف يخترقون طوق النيران من حولهم؟، ومن قدر على المشي فيهم شغل بنفسه عن مخدومه ولاذ فراراً بنفسه وروحه، إذ لا طاقة للبشر ولا لأي مخلوق على احتمال آلام الحريق وتحمل لهيب النيران، وهكذا استشهد عدد من الشيوخ من أمثال حسن الدعاس، وعمره ١٢٠ عاماً ونجت زوجته، وعبد السلام محمود السلمان ١٠٧ سنوات، ومن المكفوفين فياض أبو راشد ومحمود السلوم الذي شغلت عنه شقيقته زليخة بإطفاء ثوبها الذي أصابته النيران." (٤٣)

وورد في شهادة الحاجة منوة محمود عيسى عبد الوهاب عن حريق كبار السن في القرية نقلاً عن الحاجة زليخة التي نجت من الحريق فتقول: "بالنسبة لحادثة حريق كبار السن في القرية هذول الناس كانوا مقعدين وعجزة وبقيوا في البيوت لأنهم لم يستطيعوا الهرب ولا الرحيل فجاء اليهود وطلبوا منهم الخروج طوعاً لكنهم رفضوا وقالوا نريد البقاء في بيوتنا لأننا لا نقدر على السير وفي اليوم الثالث للحرب بعدما رحل الناس عن القرية رجع اليهود وإليهم وحملوهم في باصات مثل ما عملوا فينا وعلى طريق اللجون أنزلوهم وقالوا لهم امشوا، وكان ذلك الموسم موسم حصاد فسار من استطاع السير ومن لم يستطع أنزلوه في وسط حقل قمح يابس فجلس وسط الهشيم وكان من بينهم المقعد والضرير والمريض والجريح، وجاء اليهود وسكبوا كازاً أو بنزيناً على القمح وعليهم وأشعلوا النار في الحقل

فالقوي منهم زحف وخرج من النار والضعيف التهمته النار، ومن الذين خرجوا الحاجة زليخه خرجت وهي دايخة وفي حالة يرثى لها وبقيت ثلاثة أيام لا تستطيع الكلام من هول ما شاهدت، واستشهد في حادثة الحريق كل من ليلى الخليل، وعبد السلام السلمان وزوجته، وحمدة موسى العلي وزوجها، وحسن الدعاس، وكان كبير السن أكثر من ١٠٠ عام حتى قيل إنه من كبر سنه في البلد طلع له أسنان إجداد بعدما خلع كل أسنانه، أنا أعرف ٧ - ٨ من الذين حرقوا من حارتنا وحدها. هذا ما حدثتنا به الحاجة زليخه بعدما صحيت." (٤٤)

وهكذا أضاف الصهاينة في سجلات تاريخهم الحافل بالإرهاب مذبحة جديدة ضد شعب فلسطين، لكنها من نوع آخر ليست كمذبحة دير ياسين ولا أبو شوشه بل تفنن الصهاينة في تنفيذها وإخراجها.

ومن الجدير ذكره أن الحركة الصهيونية خططت لعدد من المذابح في فلسطين في أماكن وأزمان مختلفة من أجل بث الرعب والإرهاب في صفوف العرب حتى يهجروا أرضهم. وهنا في الطيرة عمد اليهود إلى هذه الفعلة حتى تسمع باقي قرى حيفا من التي لم يتم احتلالها وتبدا بالرحيل قبل أن يصلها اليهود مثل عين حوض وإجزم وعين غزال وغيرها والتي سقطت بعد الطيرة بأيام معدودة.

ونقول أخيراً بصدد المذبحة: أن رحلة العذاب وتشتت الناس في معظم بقاع الأرض قد أنسى الرواة الذين قمنا بعمل مقابلات معهم أسماء شهداء المذبحة بمجموعهم أو لعلنا لم نهتدِ، ولم نستطع الوصول إلى من حفظوا تاريخ القرية كله كلمة أو حرفاً حرفاً، فنهيب بسكان القرية مجتمعين وكل من يعرف اسماً من أسماء شهداء المذبحة الذين تم حرقهم أن يزودنا بأسمائهم.

Digitized by Birzeit University Library

أسرى القرية ورحلة العذاب:

بعد ما استولى اليهود على القرية بدأوا بمساعدة عملائهم بالبحث عن الشباب الذين يعتقد أنهم حملوا السلاح وقاتلوا اليهود، ولم يستطع أحد من سكان القرية إعطاء رقم حقيقي لعدد الجرحى أو القتلى ولكن قدروا بالعشرات.

يقول جمعة غنام أحد سكان القرية: " *خلال دخول اليهود القرية أسروا عدداً من سكانها واللي هرب هرب ومن بين الأسرى خالي محمد صالح، محمد أبو علوة، كامل الشقرة، حسن أبو زيد، حمزة أمية وأخوه أحمد، وكنت أنا من بين الأسرى وتم فرزنا في الحال في الطيرة بحيث استجوبنا في قهوة المصاروة، في الحارة الشمالية واستعان اليهود باثنين من عملائهم العرب عندما دخلوا القرية على أنهم مناضلون فارون من اليهود، فأمسكنا بهم وبعد استجوابهم تبين لنا أنهم عملاء فتم احتجازهم عندنا، وقمت أنا وعدد من شباب القرية بحراستهم وعندما دخل اليهود القرية فروا من مكان احتجازهم وانضموا إلى القوات الإسرائيلية، وعندما بدأ الضابط باستجوابي قال لي أين بندقيتك وفردك؟ قلت له أنا مدني لا أملك شيئاً، فجيء بأحد العملاء وأشار عليه بأنني كنت أحرسه ومعي بندقية، فكرر الضابط سؤاله أين البندقية والفرد ؟ قلت له لقد أتلفتهن، فأخذوا يضربونني بلا رحمة، فشاهدهم والدي الشيخ أحمد غنام وكان أيضاً من ضمن الأسرى فحاول الاقتراب مني لتخليصي منهم لكنهم دفعوه إلى الوراء وشهد علي العميل الثاني أنني كنت أحمل مسدساً وله بيت أحمر، لكنني أنكرت معرفتي به ثم اقتادوني إلى سجن عكا والبسوني بدلة حمراء وباقي المساجين بدلاتهم بنية وقسم نقل إلى سجن عتليت. وبعد ساعتين في سجن عكا نقلوني إلى غرفة رقم (١١) فوجدت المعتقلين بهذه الغرفة بدلاتهم مثل بدلتي حمراء، فاستأنست بهم وقلت مثلي مثلهم فبدأنا نتعارف بعضنا على بعض، فعرفت على نفسي ولحقني من حضر وقال أحدهم أنا حسن*

المصري، ثم ضحك وقال هذه غرفة الزعامة يا جمعة وقال الثاني أنا أبو الحكم وكان رئيس بلدية عكا ثم طه من كفر كنا، وبعد سبعة أشهر من احتجازنا في سجن عكا تمّ نقلنا إلى سجن طبريا وخصوصاً ذوي البدلات الحمر، أما البدلات البنيات فقد تم نقلهم إلى سجن صرفند وسجن عتليت، وعندما وصلنا إلى سجن طبريا مكثنا شهراً ونصف الشهر من أجل المحاكمة، وكان في بعض الزنازين المقابلة لنا يهود مسجونون من عصابة شتيرن واليرغون على أثر خلافات كانت بينهم وبين الهاجاناه، وكانوا طوال الليل والنهار يتوعدون لنا ويهددوننا بالذبح، وكانت الفورة بالنهار نصف ساعة نخرج نصف ساعة ثم ندخل، فيخرج (السجناء اليهود) في وقت لاحق.

وكان يأتي علينا بين الفينة والأخرى ضباط يهود يسمون ضباط انضباط كانوا يركبون درجات نارية، يأخذون مفتاح السجن من حارس السجن ويشبعوننا ضرباً ويعذبوننا أشد العذاب.

وكانت أبشع ضربة علي عندما ضربني أحدهم ضربة مقص بكلتا يديه على خصري فأغمي عليّ، وكان بعضهم يضربني براحة يديه ويكيل لي اللكمات والكفوف. وكثيراً ما كان يسيل الدم من المعتقلين من شدة الضرب ".

مذبحة في ظل المحكمة :

تشكلت محكمة صورية في ساحة مركز الشرطة وكانوا يأخذوننا واحداً واحداً وكنا نسمع بعد أن يأخذوا الشخص منا بعد بضع دقائق صوت ثلاث رصاصات ولم نكن نعلم ماذا يحصل وفي نفس الوقت لا يرجع كل من يخرج من عندنا، وكنا نتكهن هل هذا إرهاب لنا من أجل تخويفنا أم إعدام كل من يخرج.

Digitized by Birzeit University Library

وصل الدور عندي فجاء اثنان من الجنود وقاداني إلى ساحة السجن فوجدت كل من ذهب قبلي حكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص فشاهدت الجثث غارقة بالدماء في الساحة، وقفت أمام القاضي وكانت هيئة المحكمة مكونة من ثلاثة ضباط وترجمان، فسألني رئيس المحكمة هل أنت مذنب ؟ أم غير مذنب ؟ فلم أجب ثم أعاد الذي بجواره وقال لي يقول لك القاضي هل أنت مذنب ؟ أم لا ؟ وصاح بي بصوت عال. قلت له: شو بدي أقول. قال: قل مذنب أم لا. قلت له: "قلت كل شئ عندي في التحقيق، فنظر رئيس المحكمة إلى القائمة والأوراق التي بين يديه وقال: هل أنت ابن الشيخ أحمد غنام، أجبت نعم. وفكرت في البداية أنه يريد أن يسخر مني لأني أعرف أن اسمي أمامه ثم تابع حديثه فقال: هل والدك موظف سكة الحديد، أجبت نعم، ثم قال لي هل تذكر عندما سقطت في البئر وأنت صغير، قلت له أي بئر قال بئر المحطة – هذا البئر كانت تفرغ به القطارات الزيوت التالفة والمياه الساخنة وكنت أنا مع أبي وعندما خيم الليل سقطت به واتقذني عمال المحطة وكان من بينهم يهودي اسمه الخواجه برومن قلت له نعم أذكر أني وقعت في هذا البئر. فقال لي: مش عارفني. قلت: لا قال أنا الخواجه برومن. فتذكرته، فعامل سكة الحديد أصبح قاضياً يحاكمني. فسألني عن والدي فقلت له لا أعرف أين هو. فقال أنا أعرف والدك وأعرفك وأنت صغير ولا أعتقد أنك حملت سلاحاً ولا قاتلت ضد اليهود. ثم تشاور مع من حوله وقال حكمت عليك المحكمة بالبراءة، ثم قال لي غير ملابسك هذه، أي أشار إلى البدلة الحمراء التي ألبسها فقلت له لا ملابس لي غيرها. فتكلم مع أحد الضباط بالعبرية وأحضر لي ملابس على الفور واستبدلت ملابسي، وجاء اثنان من الجنود واقتادني إلى غرفة السجن، فسألني الشباب الذي لم يلحقهم الدور شو صار معك قلت لهم: أنا برّئت لكن الشباب الذين سبقونا قد أعدموا فأخذوا يودع بعضهم بعضا وبعد أن فرغ اليهود من محاكمتنا بقينا حوالي (١٧) سجيناً من أصل (٣٦) سجيناً، أي أعدم منا (١٩) شخصاً ظلماً وبهتاناً دون محاكمة عادلة ولا

محامي دفاع، ثم نقلنا بعد ذلك إلى سجن عتليت وهناك ضُربنا حتى سال الدم من رؤوسنا ... وبعد خمسة شهور نقلنا إلى سجن صرفند ثم أعلمونا بالإفراج وأخذونا في اليوم التالي إلى القدس وسلمونا إلى قائد الجيش العربي هناك عبد الله بك التل. فسألنا عن حاجتنا وعن أهلنا وكنت في السابق أعرف أن أهلي في بلاطة نابلس عن طريق الصليب الأحمر. فسافرت من القدس إلى نابلس وعندما وصلت إلى بلاطة لاحظت واحداً يشبه أبي لكني لم أتأكد من ذلك وركبت بحنطور من نابلس إلى بلاطة حيث كانت حناطير خيل تسير من نابلس إلى بلاطة تعود ملكيتها إلى المهاجرين. فميلت على أحد المقاهي وسألت عن أهلي فعرفني أحد من بلدنا من دار أبي عيسى وسرّ بمشاهدتي وأرسلني إلى بيت أهلي وكان معي بالأسر ابن عمي وخالي وكم كانت فرحة الأهل وفرحتي، ولا أستطيع وصف تلك اللحظات مهما قلت. وبعد عدة شهور جاءني كتاب من متصرف نابلس يطلب مني الحضور إلى مكتبه وعندما ذهبت أخبرني أنّ لي نقوداً وقال لي كل أسير كان عند إسرائيل صرفت له سبعة دنانير ونصف".(٤٥)

ومن أسرى الطيرة الذين تم حصر أسمائهم بالإضافة إلى ما ذكر جمعة غنام، ومحمد زامل حجير، وأبو إسماعيل حجير، وتوفيق الرباني، ومحمد الفرعوني، وسعيد حسن عمدة، وصبحي الطيراوي، وموسى علوة، وأحمد جمعه حجير.

الرحيل :

أما عن رحلة العذاب التي ذاق طعم مرارتها أهالي الطيرة أثناء رحيلهم عن أرضهم ووطنهم، فيحدثنا عن ذلك عدد من أبناء القرية. فيقول غازي حجير أحد أبناء القرية: "كان الرحيل على شكل عائلات جماعية عبر الجبال في الأيام الأولى للحرب وبعد احتلال القرية تم ترحيل من بقي في الشاحنات والحافلات، طلعنا إحنا

Digitized by Birzeit University Library

بالليل ووقف ختيار من بلدنا على رأس الجبل وقال نودينا على السفر وبخاطرك يا بلادنا وإنت يا بلادنا ما عدتي تعودي لنا وهو يبكي، نحن سرنا على الأقدام عبر الجبال الوعرة على إجزم وكان معي برودة شريتها بـ (٢٠٠) جنيه حملتها معي وقيل لنا إن الجيش العراقي يأخذ السلاح، بعتها بتسع دنانير ونصف، كنا عبارة عن قوافل إشي سائر على الأقدام وإشي راكب، حتى وصلنا على أم الفحم وجدنا الناس هناك محضرة إلنا أكل، خبز، وقفاف من التمر، قعدنا أسبوع في أم الفحم وبعدين سرنا باتجاه جنين حتى وصلنا رمانة، وهناك وجدنا الجيش العراقي ركبنا الجيش العراقي بالسيارات حتى وصلنا إلى جنين وأصبح كل يسأل عن أهله لأن العالم تاهت بعضها عن بعض والناس لم يهاجروا في يوم واحد فأصبح الأب يسأل عن أبنائه وزوجته، والأم تسأل عن أطفالها وأولادها، وذهبت بعد ذلك إلى برقه نابلس ثم تفرق الناس بعد ذلك وكل ذهب يبحث عن مكان يأويه وعن عمل يعتاش منه".(٤٦)

ويروي ياسين غنام عن رحلته فيقول: "خرجت وخالي عوض غنام وابن عم أمي فعندما هاجم اليهود البلد واحتلوها جاء هؤلاء الرجال على المغارة التي كنا نختبئ بها مع النساء لأني كنت ولداً صغيراً فطلبوا من نسائهم مصاري وطلبوا منهن البقاء في المغارة وأخبرونا أن البلد قد احتلت وهم ينوون الهرب إلى الجبال، فعندما خفت أن أبقى بين النساء وطلبت منهم أن يأخذوني معهم، خرجت معهم فوجدنا الجبل محاصراً بأكمله من قبل اليهود وبدأنا التسلل من بين اليهود، وكنت أسمع على مدار الساعة كلمة "كديماً كديماً" من قبل اليهود وهم يخاطبون بعضهم البعض، وكلما أحسسنا بهم كنا نختبئ بين أشجار الحراج وأشجار السريس خوف أن ينكشف أمرنا، وعندما نزل اليهود من أعلى الجبل إلى البلد خرجنا نحن من مخبئنا وتوجهنا إلى وادي عين حوض، فوجدنا وادي عين حوض قد سقط أيضاً بيد اليهود وهو الذي كان يقطع الطريق عن جبع وعين غزال والطيرة، وتسللنا حتى وصلنا

إلى عين حوض فاستقبلنا أهلها بالترحاب وقدموا لنا الماء والطعام، وكانت عين حوض ما زالت بيد العرب رغم سقوط واديها. وبعد ذلك توجهنا إلى عين غزال وجبع ثم إجزم، فوجدنا أغلبهم قد رحل وتجمعوا في خربة اسمها قمبازة بالقرب من إجزم، ثم توجهنا بعد ذلك إلى الجنوب الشرقي فصادفنا كميناً من اليهود بين الذرة مستحكمين في الخنادق، وكانت الذرة عالية وصادف ذلك في العاشر من رمضان عام ١٩٤٨، أخذ اليهود يطلقون النار علينا فرجعنا إلى الوراء وعندما خيم الليل بدأنا في السير ولكن الدليل الذي كان معنا أخبرنا أنه قد ضل الطريق وطلب منا الانتظار والجلوس وذهب بمفرده يستوضح الطريق ثم عاد وبعد أن اهتدينا عليها، وإذا بامرأة تجلس على قارعة الطريق لا تدري أين تذهب فرافقتنا وكان الحر شديداً، فأعيانا الجوع والعطش واقتادنا الدليل إلى بئر كانت في المنطقة، لكننا لم نجد دلواً حتى نخرج الماء منه كي نشرب فربطنا أحزمتنا بعضها ببعض ثم ربطنا حزام المرأة في أسفل أحزمتنا وبدأنا نغمره بالماء ونخرجه ونعصره في أفواهنا حتى ينقط ما علق به من ماء. وبعد ذلك وصلنا إلى وادي عارة وهناك ونحن هائمون على وجوهنا في الطريق وإذا بوالدي يصيح من أعلى سيارة شحن كان قد استقلها هو وأمي، وكان يبحث عني وقد وصلته أخبار متضاربة عني، فقسم قال له إن ابنك قد مات، وقسم قال له قد اعتقل، لكن لم ييأس في البحث عني وعندما شاهدنا طلب من سائق الشاحنة الوقوف، وهجم وضمني إلى صدره ثم توجهنا بعد ذلك إلى نابلس، وفي نابلس أعياني العطش فطلبت من والدي ماء كي أشرب فأشار علي أن أذهب إلى القهوة فوجدت برميل ماء، فشربت منه حتى ارتويت وبعد دقائق ألمّ بي ألمّ شديد وأخذت تخرج من فمي رائحة التنباك وتبين لي فيما بعد أني شربت من البرميل الذي يفرغون به ماء الأراغيل فأخذني والدي عند أحد الأطباء وقام الطبيب بإعطائي دواء ثم توجهنا إلى بلاطه".(٤٧)

Digitized by Birzeit University Library

الطيرة بعد عام ١٩٤٨ :

بعد سقوط القرية وخلوها من أهلها وسكانها الأصليين في ١٩٤٨/٧/١٧ وتشريدهم وترحيلهم قسراً عن أرضهم ووطنهم،أبى قسم منهم مغادرة أطلال الديار فبقي قسم منهم يعيش في كهوف الجبال القريبة من القرية، والقسم الآخر لجأ إلى القرى المجاورة أمثال الدالية وعسفيا وأم الفحم ووادي عارة والفريديس وحيفا، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، عاد قسم من العائلات إلى القرية عام ١٩٤٩ إلى منطقة وادي العين في الطيرة وشكلوا نواة لقرية عربية صغيرة بيوتها من الخيام والبراكيات الخشبية والزنكية،ولجأ قسم آخر إلى الكهوف القريبة، وسكن البعض منهم في بركسات معسكر للجيش البريطاني، ولم تتعد هذه العائلات في البداية أصابع اليد وهم عائلة أبو عواد، وأبو جوهر علوة، وعيسى السرية، أبوعيسى عرسان ولكن تزايد العرب بعد ذلك ليصل عددهم إلى ما يقارب (٢٠٠) شخص عاشوا على تربية المواشي وزراعة الخضار واتخذوا من نبع وادي العين الشرقية مصدراً للماء لسد حاجاتهم، لكن الاستيطان الصهيوني مد أذرعة كالأخطبوط على بقية أراضي القرية، فبعد أن أقاموا مستعمرة طيرات هكرمل سنة ١٩٤٩ مكان طيرة حيفا وفي منازلها الجديدة التي استلمها اليهود بعد طرد أهلها منها وهدم بيوتها القديمة ثم أقيم موشاف ميجاديم سنة ١٩٤٨. ومن ثم أقاموا مستعمرة أخرى زراعية على أراضي القرية تدعى كفار تسفي عام ١٩٥٢ وبلغ عدد سكانها عام ١٩٦١، (٣٥٠) مستوطناً يهودياً، ثم أقيم في أرض سهل القرية على شاطئ البحر كيبوتس هخوتريم بجانب كفار جاليم.

ومع كل هذا الاستيطان فقد صمد العرب الذين أخذ يتزايد عددهم يوماً بعد يوم وشقوا طريقاً ترابية من أرض الجربوع إلى العين الشرقية لتصلهم بالطريق الرئيسي.

بدأ أبناء هذه العائلات يتلقون دروسهم التعليمية في عسفياً وأقام قسم هنالك رغم حداثة سنة، وفي عطلة نهاية الأسبوع كان يرجع إلى أهله عبر الجبال والطرق الوعرة سواء أكان في الأيام الماطرة أو البرد الشديد أو في لهيب الشمس المحرقة أيام الصيف، واضطر عدد من أبناء هذه العائلات إلى ترك المدرسة لمساعدة الأهل على رعي المواشي ولبعد المدرسة عنهم. لكن إصرار أهالي القرية على التعليم أقيمت مدرسة مكونة من صفين من الكرفانات عام ١٩٥٨ جمع فيها من الصف الأول حتى الصف الخامس الابتدائي، وقام الأستاذ جمال قحاوش من قرية أم الفحم على تعليمهم بالإضافة إلى زوجته، ثم انضم إلى الخدمة في هذه المدرسة المتواضعة كل من الأستاذ إبراهيم موسى من الفريديس ومعلم من طيرة المثلث.

بلغت المدرسة أوجها سنة ١٩٦٧ حيث تسلم إدارتها الأستاذ عبد طوقان من سكان حيفا، وتم بجهود أهالي الطلبة توسيع المدرسة ليصل عدد طلبتها إلى ما يقارب ١٢٠ طالباً تخرج حتى الصف الثامن إعدادي إلا أن اليهود لم يرق لهم هذا التطور الذاتي العصامي فقامت الحكومة بفصل الأستاذ عبد طوقان، ومن بعده الأستاذ أنور سلامه في بداية السبعينيات. وفي عام ١٩٧٩ تم إغلاق المدرسة من قبل الإسرائيليين.

تعرض العرب لمضايقات ومحاكمات من قبل دائرة أراضي إسرائيل ، وذلك بادعاء أنهم بنوا البراكيات على أملاك الغائبين التي حولت إلى أملاك دولة حسب قولهم. وفرضت عليهم غرامات مالية مع هدم البراكيات.

رفض العرب هذا الحكم الجائر، لكن بعضهم دفع الغرامة، فحوكموا مرة أخرى على أيدي دائرة أراضي إسرائيل وأجبروا على دفع غرامة جزائية مرة أخرى.

Digitized by Birzeit University Library

وفي ظل رئاسة عزرا لينيادو لمجلس طيرة هكرمل عرض عليهم هدم البراكيات وإنشاء وحدات سكنية في أرض الجربوع، ولم يكن هذا القرار لصالح السكان بل من أجل اقتلاعهم من أرضهم وترحيلهم بعيداً عن المستعمرة اليهودية. تراجع اليهود بعد أسابيع معدودة عن المشروع وفي حينها، طالب العرب بشق طريق صالحة للمواصلات تصل الطريق الرئيسي بمنطقة وادي العين لكن طلبهم رفض، رغم أنّ عددهم وصل في حينه أي عام ١٩٦٥ إلى ما يقارب (٨٠٠) عربي ، إلا أنهم شقوا الطريق على نفقتهم الخاصة حيث تبرع كل بيت منهم بمقدار (١٠) ليرات. رفض اليهود تزويد العرب بالماء ولا حتى بالكهرباء.[٤٩]

الرحيل الثاني :

في ظل المضايقات والاستفزازات التي تعرض لها العرب سكان وادي العين أصبح من الصعب عليهم العيش في هذه الظروف رغم أن عجلة التطور تدور بسرعة فائقة، إلا أنهم يزدادون تأخراً يوماً بعد يوم عن ركب الحضارة،فلا خدمات ولا ظروف صحية مناسبة، حتى مساكنهم الخشبية أصبحت بالية وأسقفها الزنكية أصبحت صدئة. بالإضافة إلى المضايقات اليومية والاستفزازات المستمرة والمحاكمات المتكررة لهم من قبل سلطة أراضي إسرائيل، حتى أصبحت حياتهم في جحيم، وأصبح البقاء في ظل هذه الظروف يشبه الانتحار مما دفعهم إلى الرحيل عن أرض الأجداد والآباء مرة أخرى، ففي عام ١٩٦٥ رحلت أول عائلة وهي عائلة حسن المزيد، وفي عام ١٩٦٦ رحلت عائلة رتيب أبو الهيجا، وتبعتها عام ١٩٦٨ عائلة حيدر جميل، وبعد عام ١٩٧٥ تم رحيل جماعي. وبعد إغلاق المدرسة لم يبق أحد منهم حيث هدمت بيوتهم الخشبية وبراكياتهم الزنكية عام ١٩٨١، وتشتتوا في حيفا، والكبابير والدالية وعسفيا والفريديس .

ويروى أن عائلة قدورة قد سكنت في القسم السفلي من البلدة القريبة من الحي اليهودي لكنها عانت من مضايقات وتم الاعتداء عليها بالحجارة وتعرضوا للضرب والشتائم مما اضطرهم للرحيل عن بيوتهم قسراً،ولم يصمد في البقاء في القرى اليوم سوى ثلاث عائلات وهي عائلة الباش، وخليل العودة، وعرسان.

وفي أواخر الثمانينيات أقيمت منطقة سكنية جديدة على أرض المرقصة أطلق عليها اسم دينياً، وسترتبط هذه المنطقة ببلدة هكرمل بحي جديد يدعى "أبيلت هكرمل" ومنطقة وادي العين.[٥٠]

وأكد غازي حجير أحد أبناء القرية ما ذكرته الكاتبة درباس وأضاف قائلاً: "

بعد ترحيل السكان العرب جاء اليهود من مختلف الجنسيات وسكنوا مكان العرب في القرية، وبعد الستينيات أخذوا يوسعون القرية ويعملون إسكانات لليهود "شكون" ويهدمون البيوت العربية حتى هدموا القرية عن بكرة أبيها عدا مقام، وبعض المحلات التجارية والمقاهي والمساكن العربية الحديثة التي شيدت في فترة الأربعينيات فاستوطنوا بها. لكن قسماً من سكان القرية الأصليين الذين لم يهاجروا معنا وظلوا في الجبال والقرى المحيطة بحيفا والتي لم ترحل أمثال القرى الدرزية وقرى وادي عارة رجعوا في سنة ٤٩ على البلد ومن هذه العائلات :

١- عائلة موسى القوصيني وله أربعة أولاد.

٢- عائلة أبو كمال موسى سرية وأولاده.

٣- عائلة حيدر - أبو جميل.

٤- عائلة مزيد الكزلي.

٥- عائلة محمد الكزلي.

٦- عائلة أبو الوليد، خالد العوض.

٧- عائلة عرسان أبو زيد.

Digitized by Birzeit University Library

٨- عائلة عبد الله محمد أبو عواد وأولاده.

٩- عائلة عيسى سرية.

١٠- عائلة أبو جوهر علوة.

١١- عائلة حسن الزعطوط.

١٢- عائلة محمود القاسم الياس.

١٣- عائلة محمود السلوم.

١٤- عائلة جمعة الحمد الدباس.

١٥- عائلة حسن أبو زيد.

١٦- عائلة الصيداوي.

١٧- عائلة الرسلان.

١٨- عائلة أبو الهيجا.

١٩- عائلة الفيصل.[٥١]

وخلال زيارة قمت بها لمنزل محمود قاسم الباش في طيرة حيفا اجتمعت بزوجته وأولاده الذين صرحوا بأنهم تقدموا بطلب ترخيص لبناء منزل على أرضهم في البداية لكن مجلس محلي طيرة هكرمل رفض هذا الطلب وبعد إلحاح ومعاناة أعطوه قطعة أرض نائية عن الأحياء اليهودية بدل أرضه، وبنى البيت على هذه الأرض لكن المجلس المحلي اليهودي ندم على فعلته وأخذ اليهود يضايقونه وحرموه من الماء والكهرباء، وتقول حرم محمود القاسم، كان أولادي وأحفادي يدرسون على القنديل، ولم يدخل التلفاز بيتهم إلا بعد عام ١٩٨٧، وعلمت من أفراد الأسرة التي ربت ونمت وتضاعفت أضعافاً مضاعفة أنهم منعوهم من عمل إضافات على المنزل.

وروت لي سيدة من العائلة سالفة الذكر قصة ظريفة تشبه الخرافة حصلت عندما حاول اليهود هدم مقام الشيخ خليل فقالت: "*بعد ما أقام اليهود الطيرة الجديدة هدموا كل البيوت القديمة في البلد وعندما جاءوا ليهدموا مقام الشيخ خليل، تقدم سائق الجرافة لهدمه لكن الجرافة عطلت، فجاءوا بجرافة أخرى فحاول سائقها هدم المقام لكن الجرافة انقلبت وكسرت رجل سائقها، ولم يجرؤ أحد منهم إلى هذا اليوم على هدم المقام الذي ما زال قائماً*" ،عند زيارتي للمقام برفقة أحد أفراد عائلة محمود قاسم الباش والدكتور شريف كناعنة المدير الأسبق لمركز الأبحاث شاهدنا المقام ما زال قائماً، وإحدى زواياه آيلة للسقوط وشاهدنا في داخله وعلى أرضه الترابية أعقاب السجائر، وعلمت أنه يأوي إليه الشبان اليهود المنحرفون والمتعاطون المخدرات.

تواجد ساكن القرية :

هام أهالي القرية على وجوههم بعد ترحيلهم لا يدرون إلى اين يذهبون، فقسم هُجِّر إلى لبنان عن طريق البحر، والقسم الثاني سلك طريق وادي عارة ومن ثم إلى جنين، والقسم الآخر نقل في الحافلات ووضعوا على طريق اللجون ثم توجه إلى جنين، ومن جنين توجه أهالي القرية الى نابلس، وأقاموا في بلاطة ومعسكر الفارعة، والقسم الآخر هاجر إلى الأردن وهناك تجمع أغلبهم في إربد.

وبقي عدد قليل من العائلات في القرى القريبة من القرية والتي لم تهجر وهي القرى الدرزية أمثال الدالية وعسفيا، وبعض القرى العربية مثل أم الفحم وقرى وادي عارة وبعضهم قطن حيفا في منطقة وادي النسناس. والقسم الآخر استقر في قرية الكبابير.

Digitized by Birzeit University Library

وورد على لسان بعض الرواة أماكن تواجد سكان القرية اليوم وأفادنا عبد الصمد أبو راشد الذي جمع أكبر قدر من المعلومات عن تواجد عائلات القرية اليوم بقوله:

(١) عائلة الأبطح
الأردن : إربد، عمان، الزرقاء.
لبنان : بيروت، عين الحلوة.
العراق : بغداد، الموصل.

(٢) عائلة الباش
الأردن : إربد.
سوريا : دمشق، مخيم النيرب.
لبنان : المية ومية، صيدا، شاتيلا.

(٣) باكير
الأردن : إربد، عمان.
سوريا : دمشق، اليرموك، دمر، النيرب / حلب.

(٤) البحيري
الأردن : اليرموك، حمص
سوريا : حلب.
لبنان :صور الرشيدية، صيدا، عين الحلوة ، بيروت صبرا، شاتيلا.

(٥) بدر
الأردن : إربد، عمان
سوريا : اليرموك، النيرب، حمص
لبنان : صيدا
العراق : بغداد

(٦) تيم
الأردن : إربد، عمان، العقبة
سوريا : اليرموك، دوما، دمر، النيرب، حلب
لبنان : طرابلس، البداوي

العراق : بغداد

(٧) حجير
الأردن : إربد، عمان
سوريا : اليرموك، حمص، النيرب .
لبنان : بيروت، عين الحلوة

(٨) درباس
الأردن : اربد
لبنان : اليرموك
العراق : بغداد

(٩) أبو راشد
الأردن : إربد، الزرقاء، عمان
سوريا : اليرموك، المزة، دمر، حماة، النيرب
لبنان : بيروت، عين الحلوة

(١٠) الريان
الأردن : إربد
سوريا : دمشق، اليرموك، حمص، حماة، النيرب
لبنان : بيروت، صيدا، صور

(١١) البطل، زيدان
الأردن : إربد
سوريا : اليرموك، حمص، النيرب ، يبرود
لبنان : بيروت، عين الحلوة، المية ومية
العراق : بغداد

(١٢) السعدي
الأردن : إربد
سوريا : اليرموك
لبنان : عين الحلوة ، النيرب

(١٣) سلوم
الأردن : إربد

Digitized by Birzeit University Library

سوريا : اليرموك، حمص، النيرب

لبنـان : صيدا، عين الحلوة

(١٤) السلمان

الأردن : إربد

سوريا : اليرموك، دمر

لبنـان : المية مية

(١٥) عبد القادر

الأردن : إربد، السخنة ، الزرقاء

سوريا : دمر، اليرموك، دمشق، حلب، النيرب

لبنـان : عين الحلوة

(١٦) العبويني

الأردن : إربد، عمان، الزرقاء

سوريا : اليرموك، المزة

العراق : بغداد

(١٧) علوة

الأردن : إربد، حوارة

سوريا : اليرموك، دمر

العراق : بغداد

(١٨) عموره

الأردن : إربد، عمان

سوريا : دمشق، اليرموك، دمر

لبنان : بيروت، حلب

العراق : بغداد

(١٩) عويس

الأردن : إربد

سوريا : اليرموك

لبنـان : صيدا

(٢٠) أبو عيسى

الأردن : إربد

سوريا : اليرموك، دمر، دوما، درعا، النيرب

لبنان : صيدا، صور

(٢١) الغبن

الأردن : إربد

سوريا : اليرموك، النيرب ، حمص، اللاذقية

لبنـان : صيدا، عين الحلوة، المية ومية

العراق : بغداد الكرادة

(٢٢) غنام

الأردن، سوريا، لبنان

(٢٣) أبو غيدا

الأردن : إربد، عمان

سوريا : دمشق، النيرب

لبنـان : بيروت

العراق : بغداد

(٢٤) الفار

الأردن : إربد

سوريا : دمشق، حمص

لبنان : طرابلس

العراق : بغداد

(٢٥) قبيعه

الأردن : إربد، عمان

سوريا : دمشق، اليرموك، حمص، أدلب

لبنـان : بيروت

(٢٦) أبو ليل

الأردن : إربد

سوريا : اليرموك، النيرب

لبنان : صيدا

Digitized by Birzeit University Library

(٢٧) المحمود
الأردن : إربد
سوريا : اليرموك
لبنان : صيدا
العراق : بغداد

(٢٨) المدردس
الأردن : إربد، حبكة
سوريا : اليرموك
لبنـان : شاتيلا
العراق : الحرية

(٢٩) المصاروه ومنصور
الأردن : إربد، عمان العقبة
سوريا : اليزب، اليرموك
لبنان : صبرا وشاتيلا صيدا، طرابلس، البداوي

(٣٠) الناجي
الأردن : إربد، عمان
سوريا : دمشق، اليرموك، دمر، النيرب
لبنـان : طرابلس
العراق : بغداد

ومن الجدير ذكره أن أفراداً من العائلات السالفة الذكر قد هاجرت للدول الأوروبية والأمريكية وكان الهدف من هجرتهم التعليم والعمل معاً ، وأن قسما آخر وجد فرصة عمل في دول الخليج العربي، ومن الذين هاجروا إلى الدول الأوروبية ونرى به مفخرة للإنسانية وللعروبة الدكتور يوسف حجير الطيراوي الأصل الذي هاجر إلى يوغسلافيا سابقاً ووقف طوال سنوات الحرب الثلاث أمام التحدي والتميز العرقي الصربي حيث أنشأ مستشفى ميدانياً في مخازن تجارية ، ورفض الخروج ليساعد جرحى ومصابي الحرب الدائرة هناك، والذي أجرى أكثر من ٢٥٠٠ عملية

جراحية بدون تحذير أو أسرة مرضى أو غرف عمليات، وبأدوات بسيطة وأنقذ حياة آلاف الجرحى ويعد حجير من النماذج التي يملأ أسمها الأسماع في البوسنة، والذي أنشأ مستشفى من اغرب المستشفيات في العالم، والذي عاش تجربة لا يملك الإنسان إزاءها إلا كل الاحترام والتقدير، وبطاقة حكيمنا الشخصية هي د. يوسف حجير فلسطيني والده من طيرة حيفا سكن حيفا، ولد يوسف عام ١٩٤٥ بعد موت والده وأخيه الأكبر، هاجرت والدته إلى سوريا، وسكنت مدينة حمص، حصل على منحة دراسية وسافر إلى يوغسلافيا السابقة عام ١٩٦٥ ودرس في جامعة سراييفو وتخصص في الجراحة.[٥٣] ثم صالح شعواطة أصبح نائباً في البرلمان الأردني وجميل الحاج حسين باكير خبير التدريب العسكري والرياضي في الجيش الأردني. وأول رئيس اتحاد رياضي عسكري في الأردن.

يتواجد بعض سكان القرية اليوم أي في العقد الأخير من القرن العشرين كما يروي سكان القرية في الضفة الغربية وأكثر تجمع لهم في مخيمات نابلس وهي مخيم بلاطة، ومخيم عسكر، وعين بين الماء، وبلاطه البلد، والفارعة، ومخيم نور شمس، ورام الله.

وحسب المسح الميداني الذي أجراه مركز الأبحاث في جامعة بيرزيت سنة ١٩٨١ تبين أن عدد العائلات الطيراوية التي تقطن مخيمات الضفة الغربية مقسمة على النحو التالي:

مخيم نور شمس	٤	عائلات
مخيم عقبة جبر	٤	عائلات
مخيم الفارعة	٢	عائلتان
عسكر الجديد	١	عائلة
مخيم بلاطه	٣	عائلات

Digitized by Birzeit University Library

الجلزون	١	عائلة
الأمعري	١	عائلة

وعند استقصائنا لأخبار هذه العائلات في نهاية عام ١٩٩٤ تبين أنه لا يوجد في مخيم الجلزون أي عائلة من طيرة حيفا، ولم تعد تسكن أي عائلة من الطيرة في مخيم عقبة جبر.

الحنين إلى القرية:

يحن كل مخلوق إلى وطنه، والطيراويون يعتبرون الطيرة جنة خلد الدنيا وما يزالون يتغزلون بجمالها، ويحنون لنسيمها العليل ولطعم زيت زيتونها، ولقد جف ريقهم بعدما حرموا من شرب مياه عينها العذبة.

وما زال كبار السن من أهالي القرية يتمسكون ويرتدون الزي الشعبي الذي اعتادوا أن يلبسوه في بلدهم، وما زال الغناء القديم يتردد على ألسنة سيدات القرية، والقسم الآخر علق مفتاح داره في رقبته، وأصبح الحلية الوحيدة لبعض النساء.

حافظ أهالي القرية حتى في أرض الشتات وبلاد المهجر على عاداتهم وتقاليدهم، ويروي الآباء للأبناء عن مغامرات الأجداد، وألفاظ ما زالت تخرج من خناجرهم عنواناً لهويتهم، العرس الطيراوي ام يطرأ عليه أي تغيير ، وصلة الرحم وذوى القربى ما زالت قائمة، تجمعهم كلمة طيراوية مهما صنفوا.

عمل أهالي الطيرة في الأردن مضافة على غرار دواوين الطيرة ففيها يجتمع الأحبة و الخلان والأقارب والأصدقاء، وفيها يتقبل أهالي الطيرة المعزين والمهنئين ، وفيها تحل الإشكاليات والمصاعب. عمل بعض أهالي الطيرة القاطنين في الأردن المستحيل حتى يزوروا الطيرة بعد عام ١٩٦٧ وتمكن بعضهم من

زيارتها عندما حصل على تصريح بواسطة أقاربه الذين بقوا صامدين في أكناف الطيرة.

وقد حصلت على صورة من بعضهم وهم يلتقطون صوراً لأطلال الطيرة وبيوتها القائمة وعيونها الجارية وزيتونها اليانع الأخضر. وكثير من كبار السن ممن ينتظر منيته يتمنى أن يدفن في مسقط رأسه ويوارى عليه تراب الطيرة.
وإذا سألت أحدهم من أين أنت كبيراً أم صغيراً يقول من الطيرة، أسكن في مكان كذا. وما زالت صور البلدة وطرقاتها وترابها مطبوعة في أذهانهم ، ينتظرون دق ناقوس العودة مثلما أجبروا على الرحيل.

وقال الشاعر جمعة حمد درباس هذه القصيدة يذكر فيها بلدته وأهله الذين رحلوا بعيداً عن الوطن عام ١٩٤٨، رغم أن الشاعر بقي يعيش في أكناف الطيرة في منطقة حيفا، والقصيدة من الشعر الشعبي الذي يستعمل في الحداد عادة:-

ناديت بصوت حتى يسمعوني	قرايبنا وحبايبنا اللي هوني
لكن البعاد ما سمعوش صوتي	بتمنا من الله يسمعوني
يا أهل الشهامة والكرامة	دوم الدوم انتوا اتذكروني
ولا تنسوا اليوم الذي كنا	فيه بظل الزيتوني
زيتوني كانت بقطعة الجامع	من شمال موقعها بكوني
عامود عمودي من عصر شاسع	يمكن من قبل قرن وقروني
وبظلوا من جميع الناس جامع	بيوم العرس فان وفنوني
الزمامير بتزمر والدبيكة تفزع	قرادي وشمالي ياعيوني
ياريت تلك الأيام ترجع	ونعيش كلنا تحت زيتوني
الصواهن بالقطعة عم اطارد	وإطارد الخيل في الوقانوني
سق الله ذلك الأيام سق الله	ونرجع لابلدنا هالحنوني

Digitized by Birzeit University Library

الجلزون	١	عائلة
الأمعري	١	عائلة

وعند استقصائنا لأخبار هذه العائلات في نهاية عام ١٩٩٤ تبين أنه لا يوجد في مخيم الجلزون أي عائلة من طيرة حيفا، ولم تعد تسكن أي عائلة من الطيرة في مخيم عقبة جبر.

الحنين إلى القرية:

يحن كل مخلوق إلى وطنه، والطيراويون يعتبرون الطيرة جنة خلد الدنيا وما يزالون يتغزلون بجمالها، ويحنون لنسيمها العليل ولطعم زيت زيتونها، ولقد جف ريقهم بعدما حرموا من شرب مياه عينها العذبة.

وما زال كبار السن من أهالي القرية يتمسكون ويرتدون الزي الشعبي الذي اعتادوا أن يلبسوه في بلدهم، وما زال الغناء القديم يتردد على ألسنة سيدات القرية، والقسم الآخر علق مفتاح داره في رقبته، وأصبح الحلية الوحيدة لبعض النساء.

حافظ أهالي القرية حتى في أرض الشتات وبلاد المهجر على عاداتهم وتقاليدهم، ويروي الآباء للأبناء عن مغامرات الأجداد، وألفاظ ما زالت تخرج من خناجرهم عنواناً لهويتهم، العرس الطيراوي ام يطرأ عليه أي تغيير ، وصلة الرحم وذوى القربى ما زالت قائمة، تجمعهم كلمة طيراوية مهما صنفوا.

عمل أهالي الطيرة في الأردن مضافة على غرار دواوين الطيرة ففيها يجتمع الأحبة و الخلان والأقارب والأصدقاء، وفيها يتقبل أهالي الطيرة المعزين والمهنئين ، وفيها تحل الإشكاليات والمصاعب. عمل بعض أهالي الطيرة القاطنين في الأردن المستحيل حتى يزوروا الطيرة بعد عام ١٩٦٧ وتمكن بعضهم من

زيارتها عندما حصل على تصريح بواسطة أقاربه الذين بقوا صامدين في أكناف الطيرة.

وقد حصلت على صورة من بعضهم وهم يلتقطون صوراً لأطلال الطيرة وبيوتها القائمة وعيونها الجارية وزيتونها اليانع الأخضر. وكثير من كبار السن ممن ينتظر منيته يتمنى أن يدفن في مسقط رأسه ويوارى عليه تراب الطيرة.
وإذا سألت أحدهم من أين أنت كبيراً أم صغيراً يقول من الطيرة، أسكن في مكان كذا. وما زالت صور البلدة وطرقاتها وترابها مطبوعة في أذهانهم ، ينتظرون دق ناقوس العودة مثلما أجبروا على الرحيل.

وقال الشاعر جمعة حمد درباس هذه القصيدة يذكر فيها بلدته وأهله الذين رحلوا بعيداً عن الوطن عام ١٩٤٨، رغم أن الشاعر بقي يعيش في أكناف الطيرة في منطقة حيفا، والقصيدة من الشعر الشعبي الذي يستعمل في الحداد عادة:-

ناديت بصوت حتى يسمعوني	قرايبنا وحبايبنا اللي هوني
لكن البعاد ما سمعوش صوتي	بتمنا من الله يسمعوني
يا أهل الشهامة والكرامة	دوم الدوم انتوا اتذكروني
ولا تنسوا اليوم الذي كنا	فيه بظل الزيتوني
زيتوني كانت بقطعة الجامع	من شمال موقعها بكوني
عامود عمودي من عصر شاسع	يمكن من قبل قرن وقروني
وبظلوا من جميع الناس جامع	بيوم العرس فان وفنوني
الزمامير بتزمر والدبيكة تفزع	قرادي وشمالي ياعيوني
ياريت تلك الأيام ترجع	ونعيش كلنا تحت زيتوني
الصواهن بالقطعة عم اطارد	وإطارد الخيل في الوقانوني
سق الله ذلك الأيام سق الله	ونرجع لابلدنا هالحنوني

Digitized by Birzeit University Library

يا ريت الليالي تعود إلنا — نعود وفيها تشوفك عيوني
هللي هجرنا بغير ذنب — وفيها كثير أي شجر زيتوني
أنا بعتز بالطيرة واسمها — وريحتها بها التاريخ زهر الليموني
نيال الذي قد سكن فيها — كانت للغريب حنوني
تنفموا بالصدق ما بين أيدها — ويتزوج ويخلف بنات مع بنوني
وإذا كان محترم لاقا احترامو — على مستوى عالي بالقانوني
وإذا بالعكس أي كانت أخلاقو — بيوم وليله ما هو بها الكون
ولا حد شاف ولاعلم عنوه — فوق الأرض وإلا في البطون
سلامة راس أي بيو وعمو — وتعازينا إلى أمو الحنوني
الطيرة عامري كانت بهلها — ولا تخشى المنية والمنوني
هذا جزاء اللي خان فيها — لانو وتصرف تصرف جنوني
ما عمل حساب ولا حدمنها — كانت فكرتو فكرة ملعونة
ومن الشبان ها الشجعان فيها — وكل واحد يعد في مليوني
وسلامي بالصدق مني لهلها — والي شيوخيها وللام الحنوني
ولا اصحابي وجيراني يوم ما بنا — وسلامي وأشواقي مقروني
وإلى من هو بالنصر وعدنا — إلا هي العرش قال أي إدعوني
اللهم نحن لك دعينا — فقول لشيء كن فيكوني
يتم بقدرتك أيضاً نصرنا — ولو بواسطة طيرا السنوني
وعلى السراء والضراء نشكر — الهي باسمكن قد تم نصرنا

ورفعنا العلم ما فوق الزيتوني . (٥٤)

الخاتمـــة

لقد تطرقنا في بحثنا هذا إلى جميع الجوانب الحياتية التي تخص طـيرة حيفا وعرضنا من خلالها موقع وجغرافية القرية وأهميتها الاستراتيجية على مر التـاريخ. ولقد تعرفنا من خلال ذلك على أهم المواقع الأثرية التـي أثبتت المسوحات الأثرية أنها من أوائل المواقـع الفلسطينية التـي عمرها الإنسان، فحضـارة مغائر الطـابون والسخول والجدي، ما زالت قائمة إلى يومنا هذا على أراضي القرية.

كما استعرضنا من خـلال فصـول هذا البحث أهميـة الاقتصـاد الطـيراوي وتأثيره في الاقتصاد الفلسطيني، و نشاط الفلاح وجده واجتهاده في إنجـاح زراعتـه، وحصوله على الجوائز التقديرية في المعارض الزراعية.

ولكن الأهم من هذا وذلك هو نضال أهالي الطـيرة وصمودهم. ومؤازرتهم لإخوانهم مـن سكان القرى المحيطـة بهم في الصمـود أمـام الاستعمار في أغلب مراحله وصوره وأشكاله مهما أختلفت أجناسه وألوانه. وكان قدرهم أن أكرهوا على الرحيل عـن بلدهم، إلا أنهـا مـا زالـت تعيش فـي قلوبهـم وليس غريباًولاعجيباً أن يستعمل معهم الصهاينـة أشد أنـواع العذاب، لا لشـيء إلا لأنهـم مـن الطـيرة، فمـن المعروف لدينا أن اليهود عملوا مذابح وخططوا لها أما رمياً بالرصاص أو بواسـطة تفجير القنابل أو ضرب الأعناق بالبلطات والفؤوس، ولكن استعملوا مـع شيوخ هذه القرية نوعاً آخر أشد وأكثر إرهاباً، حيث تمـت مذبحـة كبـار السـن الرجـال والنسـاء منهم بالرصاص الحارق والخارق، حيث تم حرقهم رغم أنهم عُجّز لا حول لهـم ولا قـوة. ومـع هذا كلـه رجـع قسـم مـن عـائلات القرية وتمسكت بـتراب الوطـن مـرة أخرى،ولكن قدر هذه القريـة كـان يختلـف عـن غيرهـا، فسـكان القـرى رحلـوا مـرة وسكان الطيرة رحلوا مرتين. ومن بـاب التحـدي مـا زال فـي أراضـي هـذه القريـة وعلى أطلال القرية العربية الكبيرة بضع عائلات طيراوية صامدة رغم حرمانها من

Digitized by Birzeit University Library

التطور العصري على أراضي القرية، أرض الآباء والأجداد، يرفضون كل الإغراءات والمساومات المادية والمعنوية، يرفضون كل بديل عن أرض الطيرة.

ونقول للقارئ الكريم بشكل عام والقارئ من أهل الطيرة بشكل خاص،إذا كنا أغفلنا ذكر بطل أو مناضل أو شهيد أو عائلة فذلك ليس إلا من باب السهو غير المتعمد، فعفواً، ونحن هنا لا نقدس أشخاصاً بل هدفنا أن نعرض تاريخ شعب، وحضارة قرية عربية، أصبحت ولم تمس أراد الصهاينة قلعها من جذورها، ولكن هيهات فمهما طال الليل فلا بد من بزوغ فجرٍ جديد.

الملاحق

Digitized by Birzeit University Library

ملحق رقم (١)

• رغم أن القائمة الاتية الذكر تعد أوفى وأشمل قائمة حتى الان حول شهداء طيرة حيفا فان الارقام والاسماء الواردة فيها تقريبية وغير نهائية نتيجة التقاضات الكبيرة في الكتابات والروايات المختلفة التي جمعناها بعد ٥٠ عاماً من الاحداث، فالزمن كفيل بمحو جزء من تفاصيل الحدث وبعض شخوصه، وهذا ما كان عندما حاولنا ايجاد قائمة نهائية ودقيقة وكاملة لشهداء القرية خلال حرب عام ١٩٤٨، وعلى سبيل المثال فخلال المجزرة التي حدثت في ١٩٤٧/١٢/١٢ لأبناء عائلة واحدة (عائلة عبد القادر حجير واخوانه) فقد تحدثت روايات أهل القرية عن ١٧-١٨ شهيد قتلوا في هذه الحادثة رغم اننا لم نستطع تسجيل إلا ١٢ اسماً منهم، وعلى ذلك تقول أم رياض بنت عبد القادر حجير التي قتل معظم افراد عائلتها ونجت من الحادث باعجوبة ان العدد الحقيقي للشهداء الذين قضوا في الحادثة كان ما بين ١٧-١٨ شهيداً، وعند سؤالنا عن الاسماء كاملة قالت إنها لا تستطيع تذكرها كاملة لان بعض الشهداء كانوا اطفالاً رضعاً لاقارب من حيفا كانوا قد نزلوا في تلك الليلة ضيوفاً عليهم وهي لا تعرف اسماءهم.

والملاحظة الاخرى الخاصة بهذا الملحق انه ليس من المعقول عدم حدوث احداث او سقوط شهداء ما بين اواخر شهر نيسان واواسط تموز حيث لم يرد ذكر اسم أي من أبناء القرية من بين اولئك الذين سقطوا شهداء خلال تلك الفترة. ولا نعرف السبب هل هو نسيان أحداث هذه الفترة التي تقارب ثلاثة اشهر أم ان اهل القرية تذكروا الاحداث المهمة امثال حادثة هدم البيت وحادثة حرق كبار السن فقط!! والذين لم نتمكن من حصر اسمائهم ولا عددهم الحقيقي .

Digitized by Birzeit University Library

أسماء شهداء القرية في حرب ١٩٤٨/١٩٨٧ كما ورد على لسان بعض الرواة من أهل القرية والمراجع المكتوبة:

الاسم	العمر	تاريخ الاستشهاد	مكان الاستشهاد
عبد القادر حجير	–	١٩٤٧/١٢/١٢	الطيرة
زينب عبد الرحمن زوجة عبد القادر حجير	٥٠	١٩٤٧/١٢/١٢	الطيرة
علي حجير	٥	١٩٤٧/١٢/١٢	الطيرة
حسن حجير	سنتان	١٩٤٧/١٢/١٢	الطيرة
فاطمة أحمد حجير	٦٥	١٩٤٧/١٢/١٢	الطيرة
محمد عبده حجير	٤	١٩٤٧/١٢/١٢	الطيرة
خليل شكري تركي	١١	١٩٤٧/١٢/١٢	الطيرة
الحاج مسعد قاسم حجير	٦٠	١٩٤٧/١٢/١٢	الطيرة
حكمت سليم عويس	١٨	١٩٤٧/١٢/١٢	الطيرة
حورية صالح حجير	١٢	١٩٤٧/١٢/١٢	الطيرة
لطيفة ابو الجراس	٢٠	١٩٤٧/١٢/١٢	الطيرة
غزالة حجير	٦	١٩٤٧/١٢/١٢	الطيرة
احمد عبد الرحمن العراق	–	١٩٤٧/١٢/٢١	صفد
عبد الرازق عبد النور علوه	٣٥	١٩٤٧	سوق الخضار المركزي
محمد دلول (محمد صالح منصور)	–	١٩٤٧/١/٩	قبالة الطيرة
نمر المنصور باكير	–	١٩٤٨/٣/٢٧	معركة الخريبة قرب الطيرة
فيصل خضر الكزلي	–	١٩٤٨/٣/٢٧	معركة الخريبة قرب الطيرة
مصلح خليل غنام	–	١٩٤٨/٣/٢٧	معركة الخريبة قرب الطيرة
فيصل البدوي	–	١٩٤٨/٤/٢٠	جبل الكرمل

امين سعيد عويس	–	١٩٤٨/٤/٢٠	جبل المرقصه
محمد اسعد	–	١٩٤٨/٧/٧	جبل الكرمل
علي سليمان ادريس	–	١٩٤٨/٧/١٥	الطيرة من اثر قصف القرية
محمد عبد الحفيظ الاحمد	–	١٩٤٨/٧/١٥	الطيرة من اثر قصف القرية
علي حسين حجير	–	١٩٤٨/٧/١٥	الطيرة من اثر قصف القرية
يوسف غنايم	–	١٩٤٨/٧/١٥	الطيرة من اثر قصف القرية
عمار المغربي	–	١٩٤٨/٧/١٥	الطيرة من اثر قصف القرية
حسن ابو حمدة	–	١٩٤٨/٧/١٥	الطيرة من اثر قصف القرية
محمود حسن المص	–	١٩٤٨/٧/١٥	الطيرة من اثر قصف القرية
سميح محمد سعيد	–	١٩٤٨/٧/١٥	الطيرة من اثر قصف القرية
محمود الدحنوس	–	١٩٤٨/٧/١٥	الطيرة من اثر قصف القرية
الطفل خليل احمد محمود سعيد	–	١٩٤٨/٧/١٥	الطيرة من اثر قصف القرية
الطفلان خالد هاني علوه وشقيقته	–	١٩٤٨/٧/١٥	الطيرة من اثر قصف القرية
زوجة البلعاوي	–	١٩٤٨/٧/١٥	الطيرة من اثر قصف القرية
احمد الحاج حسين	–	١٩٤٨/٧/١٥	الطيرة من اثر قصف القرية
علي سليمان ادريس	–	١٩٤٨/٧/١٥	الطيرة من اثر قصف القرية
محمد شواهين	–	١٩٤٨/٧	عتليت
محمود فالح	–	١٩٤٨/٧	الطيرة
ليلى خليل غنام	–	١٩٤٨/٧/١٩	طريق اللجون قتل حرقاً في مجزرة باص الشويخ والمقعدين
محمود سلوم	–	١٩٤٨/٧/١٩	"
زوجة محمود سلوم	–	١٩٤٨/٧/١٩	"
حسن الدعاس	–	١٩٤٨/٧/١٩	"
عبد السلام محمود السلمان	–	١٩٤٨/٧/١٩	"
زوجة عبد السلام السلمان	–	١٩٤٨/٧/١٩	"
فياض ابو راشد	–	١٩٤٨/٧/١٩	"
حمدة موسى العلي	–	١٩٤٨/٧/١٩	"

Digitized by Birzeit University Library

ظريفة الشيخ - ١٩٤٨/٧/١٩

احمد محمود باكير (ابو شقرة) - ١٩٤٨/٧ وادي النسناس/من جراء القصف

ملحق رقم (٢)

دليل الفلسطيني الحزين

في رحاب حيفا.. ووسط اشلاء طيرة الكرمل!

د. اسعد عبد الرحمن

(الورقة المائة وثماني)
وادي عارة.. وادي الانتفاضة

وقبل ان تمضي على وجودي اربع وعشرون ساعة، اقتضى ضغط الوقت الاسراع في الانتقال، وسط حقول الزيتون، الى بيت من بيوتات الكرم.. في طولكرم! وبرفقة الدكتور نايف سلامة يونس، وبعد ان شحنا هممنا بالعذوبة النضالية والروح الدعابية لشيخ التسعين الجليل سلامة يونس، وبعد ان شحنا بطارياتنا المعدية باشهى مسخن فلاحي في بيتهم العامر، تحركنا لزيارة منطقة وادي عارة (وعرعرة وكفر قرع وغيرهما) حيث وجدنا انفسنا في بيت كرم ثان لفلسطيني من فلسطيني ١٩٤٨: الصديق ماجد صعابنة. وما كدنا نتملى من وجوههم (على امل زيارتهم مدة اطول في عودة قادمة) حتى غادرنا تلك العائلة، المغطاة على الصعيد الوطني وغيره، في طريقنا الى حيفا. ولم يكن بالامر اليسير على النفس ان يخطف المرء نفسه من بين اهالي وادي عارة الذين — ربما هم اكثر من غيرهم من فلسطينيي ١٩٤٨ - شاركوا فعليا في امتداد انتفاضة «فلسطيني ١٩٦٧» في الضفة والقطاع.. الى ما وراء الخط الاخضر! لكن خيوط — بل حبال — حيفا، وطيرة حيفا، كانت تشدني!

(الورقة المائة وتسع)
حيفا: ايتها المهيبة!

ويا لهيبة حيفا! كل ما فيها مهيب! مدينة تجلس على شاطىء مهيب تعانقها رماله وامواجه من الغرب، في حين يعانقها جبل الكرمل الملاصق من الشرق! ما من شيء في حيفا غير مهيب! منطقة قمة الكبابير (حيث زرنا — في رحلة سابقة - انسباء لنا من آل قرق وآل شبلاق الكرام) مهيبة، وكذلك الصرح البهائي المذهب، وميناء حيفا، وسوقها القديم.. الخ! وحين لم نجد الصديقين القديمين امين خيبي وسميح القاسم، اللذين سبق وغمراني بالكرم وبالبشاشة الفلسطينية العربية الاصيلة في «عوداتي» السابقة، وحين ادركنا ان كلا منهما مشغول تماما في قضايا مجتمعية /وطنية ملحة وطارئة استدعت وجودهما خارج حيفا، غادرنا هذه الاخيرة المهيبة.. الى طيرة حيفا الحزينة!

(الورقة المائة وعشر)
البرغوثي الطيراوي

لن تصدقوني — بل ربما صدقتموني — لو اعترفت انني عجزت في «عوداتي» الست السابقة عن زيارة طيرة حيفا! فقد كنت سمعت ان بيوتاتها قد سويت تماما بالارض.. ودفنت في التراب! وما كان بمقدوري - وجدانيا - ان اشاهد في المرات السابقة ما آل اليه الحال بالبلدة التي شهدت مولد والدي، وجدي، ووالد جدي! لكن، بعد ان «تنمسحت» العواطف عندي قليلا، وجدتني هذه المرة قادرا على اقتحام ماساتها كي ارى كل شيء على الطبيعة! وفي طريقنا اليها، تذكرت تاريخا اعرفه - موثقا - عن الكيفية التي اصبحت فيها عائلتنا البرغوثية (نسبة الى عشيرة البرغوثي) عائلة طيراوية قبل ما يقرب من قرن ونصف! والغريب انه رغم الظروف «الدموية» التي اقتضت «الجلاء» عن دير غسانة الى طيرة الكرمل، لم ينس البراغثة - بعد ان وقع التقادم «وسقط حق الدم»!! - اقرباءهم فكانوا يزورونهم في الطيرة.. والعكس بالعكس! انه «جسر المودة» القبلي او «جسر المودة» العشائري او الحمائلي الذي يربطنا نحن العرب، تماما مثلما باتت تربطنا الهوية الوطنية الاوسع، والهوية القومية الاكثر اتساعا مع اننا نتمنى لهذه الاخيرة هذه الايام انبعاثا جديدا ورخما اقوى!

(الورقة المائة واحدى عشرة)
طيرة حيفا: يا وجعي!

في البداية، دخلنا الى الطيرة المتهودة تماما وقد غالبنا شعور غريب بالتلصص! فقد كنت التقط بعض الصور لبقايا بيوت اهلي التي درست والخوف يحتويني! كان مصدر الخوف ياتي من امكانية «اضبط» فاضرب او ان يصادر الفيلم مني! ثم، وبعد ان تذكرت حديث «سالم الشجعان»، وعلى الارجح بعد ان عاد الى النبض الطيراوي /البرغوثي المغموس غالبا بجنون المغامرة او الجرأة المغامرة، بادرت وصحبي الى السؤال (في دكان قديم يحتله بائع يهودي) عن عائلتين عربيتين كنت اعلم انهما لا تزالان تقيمان في الطيرة؟ وبتهذيب شديد لم نتوقعه، تم ارشادنا الى احد البيتين. وما هي الا لحظات حتى كنا في منزل خليل عواد (الباش) الذي - في لحظات ايضا - احسن وفادتنا بل رفض الحديث معنا قبل ان نشرب القهوة ونتناول الحلوى والفاكهة! وبعد حديث غير طويل استمع فيه كل منا لما لدى الاخر من حديث ولواجع، افترقنا على امل اللقاء بعد ان قادونا الى منزل العائلة العربية الاخرى (بيت ام حسين — هجر محمد سليم الابطح زوجة محمود قاسم الموسى الباش المقيمة والعائلة في منزل مسعد الردان بعد ان صودر منزلها ومنزل زوجها) والوالدة ام حسين في منتصف السبعينات وبالتالي فهي الوحيدة في الطيرة التي لا تزال تذكر ما قد يتذكر! وبعد ان استمعنا - ولو بالم شديد - برفقة العائلة وباستعادة الذكريات وبخاصة معها ومع ابنها الاكبر المقوه حسين، غادرنا في طريقنا الى غزة بعد ان تحول الوجع.. الى نزيف!

(الورقة المائة واثنتا عشرة)
الحاج اسعد: عليك رحمة الله

اصابني النزيف حين تذكرتك يا جدي الحاج اسعد! بل لقد توهمت ان تكون قرحتي، في معدتي المنقبضة بقوة ما سمعت وشاهدت، قد بدات تنزيفها! وكيف لا؟!! كيف لا يصيبني النزيف وانا ارى اشلاء - بل بقايا اشلاء - قريتك التي احببت! وكيف لا يصيبني الغم بعد ان تحول البيت المصادر للمختار عبد الله السلمان.. الى مدرسة لا يتعلم فيها اهل الطيرة الاصليون؟ وكيف لا يجرفني الحزن بعد ان داست اقدام بيوت المستوطنين الاسرائيليين مقرة البلدة وغطتها تماما؟! وكيف لا اتمزق - يا جدي الغالي - وانزف بعد ان رايت الـ ٣٤١ شجرة زيتون التي تملك (٣٤١ عرق زيتون - بعبارانك!) وقد تم اقتلاعها، مثلها مثل غابة زيتون الطيرة، لتصبح الارض الممسدة الممهدة (المسجاة كما الشهيد) جاهزة لاقامة بيوتات ثابتة ليهود صهيونيين جاءوها.. يوم امس فقط!! آه، ما اوضح ان المغاير البلدة التي شهدت مولد والدي وجدي ووالد جدي وانا مطاطيء الراس، منهوك القوى، حاملا صليب خذلان العرب والمسلمين، اجر ورائي نزيفا من الحزن.. والذل.. ذلهم جميعا!

Digitized by Birzeit University Library

ظريفة الشيخ - ١٩٤٨/٧/١٩

احمد محمود باكير (ابو شقرة) - ١٩٤٨/٧ وادي النسناس/من جراء القصف

ملحق رقم (٢)

دليل الفلسطيني الحزين

في رحاب حيفا.. ووسط اشلاء طيرة الكرمل!

د. اسعد عبد الرحمن

(الورقة المائة وثماني)
وادي عارة.. وادي الانتفاضة

وقبل ان تمضي على وجودي اربع وعشرون ساعة، اقتضى ضغط الوقت الاسراع في الانتقال، وسط حقول الزيتون، الى بيت من بيوتات الكرم.. في طولكرم! وبرفقة الدكتور نايف سلامة يونس، وبعد ان شحنا هممنا بالعذوبة النضالية والروح الدعابية لشيخ التسعين الجليل سلامة يونس، وبعد ان شحنا بطارياتنا المعدية باشهى مسخن فلاحي في بيتهم العامر، تحركنا لزيارة منطقة وادي عارة (وعرعرة وكفر قرع وغيرهما) حيث وجدنا انفسنا في بيت كرم ثان لفلسطيني من فلسطيني ١٩٤٨: الصديق ماجد صعابنة. وما كدنا نتملى من وجوههم (على امل زيارتهم مدة اطول في عودة قادمة) حتى غادرنا تلك العائلة، المعطاءة على الصعيد الوطني وغيره، في طريقنا الى حيفا. ولم يكن بالامر اليسير على النفس ان يخطف المرء نفسه من بين اهالي وادي عارة الذين — ربما هم اكثر من غيرهم من فلسطيني ١٩٤٨ - شاركوا فعليا في امتداد انتفاضة «فلسطيني ١٩٦٧» في الضفة والقطاع.. الى ما وراء الخط الاخضر! لكن خيوط — بل حبال — حيفا، وطيرة حيفا، كانت تشدني!

(الورقة المائة وتسع)
حيفا: ايتها المهيبة!

ويا لهيبة حيفا! كل ما فيها مهيب! مدينة تجلس على شاطىء مهيب تعانقها رماله وامواجه من الغرب، في حين يعانقها جبل الكرمل الملاصق من الشرق! ما من شيء في حيفا غير مهيب! منطقة قمة الكبابير (حيث زرنا — في رحلة سابقة - انسباء لنا من آل قرق وآل شبلاق الكرام) مهيبة، وكذلك الصرح البهائي المذهب، وميناء حيفا، وسوقها القديم.. الخ! وحين لم نجد الصديقين القديمين امين خيبي وسميح القاسم، اللذين سبق وغمراني بالكرم وبالبشاشة الفلسطينية العربية الاصيلة في «عوداتي» السابقة، وحين ادركنا ان كلا منهما مشغول تماما في قضايا مجتمعية /وطنية ملحة وطارئة استدعت وجودهما خارج حيفا، غادرنا هذه الاخيرة المهيبة.. الى طيرة حيفا الحزينة!

(الورقة المائة وعشر)
البرغوثي الطيراوي

لن تصدقوني — بل ربما صدقتموني — لو اعترفت انني عجزت في «عوداتي» البست السابقة عن زيارة طيرة حيفا! فقد كنت سمعت ان بيوتاتها قد سويت تماما بالارض.. ودفنت في التراب! وما كان بمقدوري - وجدانيا - ان اشاهد في المرات السابقة ما آل اليه الحال بالبلدة التي شهدت مولد والدي، وجدي، ووالد جدي! لكن، بعد ان «تنمسحت» العواطف عندي قليلا، وجدتني هذه المرة قادرا على اقتحام ماساتها كي ارى كل شيء على الطبيعة! وفي طريقنا اليها، تذكرت تاريخا اعرفه - موثقا - عن الكيفية التي اصبحت فيها عائلتنا البرغوثية (نسبة الى عشيرة البرغوثي) عائلة طيراوية قبل ما يقرب من قرن ونصف! والغريب انه رغم الظروف «الدموية» التي اقتضت «الجلاء» عن دير غسانة الى طيرة الكرمل، لم ينس البراغثة - بعد ان وقع التقادم «وسقط حق الدم»!! - اقرباءهم فكانوا يزورونهم في الطيرة.. والعكس بالعكس! انه «جسر المودة» القبلي او «جسر المودة» العشائري او الحمائلي الذي يربطنا نحن العرب، تماما مثلما باتت تربطنا الهوية الوطنية الاوسع، والهوية القومية الاكثر اتساعا مع اننا نتمنى لهذه الاخيرة السعيدات وبالتالي فهي الوحيدة في الطيرة التي لا تزال تذكر ما قد يتذكر! وبعد ان استمتعنا - ولو بالم شديد - برفقة العائلة وباستعادة الذكريات وبخاصة معها ومع ابنها الاكبر المفوه حسين، غادرنا في طريقنا الى غزة بعد ان تحول الوجع.. الى نزيف!

(الورقة المائة واثنتا عشرة)
الحاج اسعد: عليك رحمة الله

اصابني النزيف حين تذكرتك يا جدي الحاج اسعد! بل لقد توهمت ان تكون قرحتي، في معدتي المنقبضة بقوة ما سمعت وشاهدت، قد بدات بالتقيح! وكيف لا؟!! كيف لا يصيبني النزيف وانا ارى اشلاء - بل بقايا اشلاء - قريتك التي احببت! وكيف لا يصيبني الغم بعد ان تحول البيت المصادر للمختار عبد الله السلمان.. الى مدرسة لا يتعلم فيها اهل الطيرة الاصليون؟ وكيف لا يجرفني الحزن بعد ان داست اقدام بيوت المستوطنين الاسرائيليين مقرة البلدة وغطتها تماما؟! وكيف لا اتمزق - يا جدي الغالي - وانزف بعد ان رأيت الـ ٣٤١ شجرة زيتون التي تملك (٣٤١ عرق زيتون - بعبارانك!) وقد تم اقتلاعها، مثلها مثل غابة زيتون الطيرة، لتصبح الارض الممسدة المسهدة (المسجاة كما الشهيد) جاهزة لاقامة بيوتات ثابتة ليهود صهيونيين جاءوها.. يوم امس فقط!! آه، ما اوضع ان المادر البلدة التي شهدت مولد والدي وجدي ووالد جدي وانا مطاطيء الراس، منهوك القوى، حاملا صليب خذلان العرب والمسلمين، اجر ورائي نزيفا من الحزن.. والذل.. لهم جميعا!

هذه الايام اتبعاثا جديدا وزخما اقوى!

(الورقة المائة واحدى عشرة)
طيرة حيفا: يا وجعي!

في البداية، دخلنا الى الطيرة المتهودة تماما وقد غالبنا شعور غريب بالتقمص! فقد كنت التقط بعض الصور لبقايا بيوت اهلي التي درست والخوف يحتويني! كان مصدر الخوف ياتي من امكانية ان «اضبط» فاضرب او ان يصادر الفيلم مني! ثم، وبعد ان تذكرت حديث «سالم الشجعان»، وعلى الارجح بعد ان عاد الي النبض الطيراوي /البرغوثي المغموس غالبا بجنون المغامرة او الجرأة المغامرة، بادرت وصحبي الى السؤال (في دكان قديم يحتله بائع يهودي) عن عائلتين عربيتين كنت اعلم انهما لا تزالان تقيمان في الطيرة؛ وبتهذيب شديد لم نتوقعه، تم ارشادنا الى احد البيتين. وما هي الا لحظات حتى كنا في منزل خليل عواد (الباش) الذي - في لحظات ايضا - احسن وفادتنا بل رفض الحديث معنا قبل ان نشرب القهوة ونتناول الحلوى والفاكهة! وبعد حديث غير طويل استمع فيه كل منا لما لدى الاخر من حديث ولواجع، افترقنا على امل اللقاء بعد ان قادونا الى منزل العائلة العربية الاخرى (بيت ام حسين — هجر محمد سليم الابطح زوجة محمود قاسم الموسى الباش المقيمة والعائلة في منزل مسعد البردان بعد ان صودر منزلها ومنزل زوجها) والوالدة ام حسين في منتصف

Digitized by Birzeit University Library

هوامش الفصل الخامس

١) البطل، عبد الرحمن مصباح، مخطوط غير منشور عن تاريخ قرية الطيرة، بوسطن ١٩٩٤.

٢) بن غوريون، دافيد، يوميات الحرب ١٩٤٧- ١٩٤٨، ترجمة سمير حيدر، مدرسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٣ ص ٢٤٠.

٣) حرب فلسطين ١٩٤٧-١٩٤٨ الرواية الإسرائيلية الرسمية، ترجمة أحمد خليفة، نقوسيا قبرص، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ ص ٣٠٧.

٤) أبو غربية، بهجت، في خضم النضال العربي الفلسطيني ١٩١٦-١٩٤٩، الطبعة الأولى. مؤسسة الدراسات بيروت ١٩١٣ ص ١٧٨.

٥) بن غوريون، دافيد، يوميات الحرب ١٩٤٧-١٩٤٨، ترجمة سمير حيدر، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٣. ص. ٧٢-٧٣.

٦) حرب فلسطين ١٩٤٧- ١٩٤٨ الرواية الإسرائيلية الرسمية، ترجمة أحمد خليفة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٥.

٧) المصدر السابق ص ص ٤٣٥-٤٣٦.

٨) مقابلة مع عبد الصمد أبو راشد من مواليد الطيرة سنة ١٩٣٣، إربد بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢١.

٩) مقابلة مع أم رياض بنت عبد القادر حجير ٥٥ سنة، مخيم الفارعة، بتاريخ شباط ١٩٨٧.

١٠) المصدر السابق.

١١) مقابلة مع عبدالله السلمان من مواليد الطيرة عام ١٩٠٥، إربد بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢٠.

١٢) البطل، عبد الرحمن مصباح، مخطوط غير منشور عن تاريخ الطيرة. مصدر سبق ذكره.

١٣) حرب فلسطين ١٩٤٧-١٩٤٨ الرواية الإسرائيلية الرسمية، ترجمة أحمد خليفة. مصدر سبق ذكره، ص ص ٤٥٠-٤٥١.

١٤) البطل، عبد الرحمن مصباح، مصدر سبق ذكره.

١٥) مقابلة مع عبد الصمد أبو راشد، مصدر سبق ذكره.

١٦) مقابلة مع جمعة أحمد غنام من مواليد الطيرة سنة ١٩٣٠ مخيم بلاطة بتاريخ ١٩٩٤/١/٢٩.

١٧) مقابلة مع عبد الله السلمان، مصدر سبق ذكره.

١٨) البطل، عبد الرحمن مصباح مصدر سبق ذكره.

١٩) حرب فلسطين ١٩٤٧-١٩٤٨ الرواية الإسرائيلية الرسمية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٢.

٢٠) بن غوريون، يوميات الحرب، مصدر سبق ذكره ص ٢٤٤.

٢١) المصدر السابق، ص ٢٤٦.

٢٢) مورس، بني، طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين، ترجمة دار الجليل الطبعة الأولى ١٩٩٣. ص ص ٩٦-٩٨.

٢٣) التل، عبد الله "مذكرات" كارثة فلسطين الجزء الأول الطبعة الثانية دار الهدى ١٩٩٠. ص ٢٢-٢٣.

٢٤) الخطيب، محمود نمر. من أثر النكبة المطبعة العمومية دمشق ١٩٥١ ص ٢٨٤-٢٨٥.

٢٥) بن غوريون، يوميات الحرب ١٩٤٧-١٩٤٨. مصدر سبق ذكره ص ٢٧٨.

٢٦) البطل، عبد الرحمن مصباح، مصدر سبق ذكره.

٢٧) مقابلة مع عبد الله السلمان، مصدر سبق ذكره.

٢٨) الحوت، بيان ،القيادات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨. دار أسوار عكا. الطبعة الثانية ١٩٨٤. ص ٦٢٩.

Digitized by Birzeit University Library

٢٩) البطل، عبد الرحمن مصباح. مصدر سبق ذكره.

٣٠) المصدر السابق.

٣١) حرب فلسطين الرواية الرسمية الإسرائيلية، مصدر سبق ذكره ص ص ٢١٨-٢١٩.

٣٢) مقابلة مع عبد الله السلمان. مصدر سبق ذكره.

٣٣) بن غوريون، يوميات الحرب مصدر سبق ذكره. ص ٤٥٦.

٣٤) حرب فلسطين الرواية الرسمية الإسرائيلية. مصدر سبق ذكره. ص٥٨٢.

٣٥) البطل، عبد الرحمن مصباح. مصدر سبق ذكره.

٣٦) مقابلة مع أم محمد حرم أحمد الزير، ٧٠ سنة مخيم الفارعة شهر شباط ١٩٨٧.

٣٧) مقابلة مع الحاجة منوة محمود عيسى عبد الوهاب، ٧٤ سنة، بلاطة البلد ١٩٩٤/٣/٥.

٣٨) مقابلة مع غازي حجير ٥٩ سنة مخيم عسكر شباط ١٩٨٧.

٣٩) مقابلة مع ياسين أحمد محمود غنام ٥٧ سنة، مخيم بلاطة بتاريخ ١٩٩٤/١/٢٢.

٤٠) مقابلة مع جمعة غنام، مصدر سبق ذكره.

٤١) الخطيب، محمد نمر، مصدر سبق ذكره. ص ص ٣٢٦.

٤٢) درباس، ساهرة، طيرة حيفا وطن عصيّ على النسيان، مصدر سبق ذكره. ص ٤٠.

٤٣) عبد الصمد أبو راشد، مصدر سبق ذكره.

٤٤) مقابلة مع الحاجة منوة محمود عبد الوهاب، مصدر سبق ذكره.

٤٥) مقابلة مع جمعة أحمد غنام، مصدر سبق ذكره.

٤٦) مقابلة مع غازي حجير، مصدر سبق ذكره.

٤٧) مقابلة مع ياسين أحمد غنام مصدر سبق ذكره

٤٨) درباس، ساهرة، طيرة حيفا وطن عصيّ على النسيان الطبعة الأولى ١٩٩١ ص ٤١.

٤٩) المصدر السابق ص ص ٤٣-٤٤.

٥٠) المصدر السابق ص ص ٤٥-٤٦.

٥١) مقابلة مع غازي حجير، مصدر سبق ذكره.

٥٢) دراسة مقابلة مع عبد الصمد أبو راشد، مصدر سبق ذكره.

٥٣) جريدة القدس العدد ٩٠١٠ بتاريخ ١٩٩٤/٩/٢٨ ص ١٦.

٥٤) درباس، ساهرة، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٥-٢٨.

٥٥)عارف العارف، نكبة فلسطين والفردوس المفقود، الجزء السادس إصدار دار الهدي ص ص ١٧-١١٢.

Digitized by Birzeit University Library

المصـــادر والمراجـــع

Digitized by Birzeit University Library

المقابلات الشفوية

اجريت المقابلات الشفوية المسجلة والموجودة في ارشيف مركز الابحاث مع التالية اسماؤهم مشكورين على تقديمها :-

١- غازي حجير من مواليد ١٩٣٣، مخيم عسكر بتاريخ ١٩٨٧/٢/١ .
٢- ام رياض بنت عبد القادر حجير ٦٢، مخيم الفارعة ١٩٨٧/٢/٥ .
٣- أم محمد حرم المرحوم احمد الزير ٧٧ سنة، مخيم الفارعة، بتاريخ ٨٧/٢/٥ .
٤- محمود خضر الشامي من مواليد ١٩١٤، مخيم نور شمس، مقابلة بتاريخ ٨٧/٧/٥ .
٥- ياسين احمد محمود غنام ٥٧ سنة، مخيم بلاطة، بتاريخ ١٩٩٤/١/٢٢ .
٦- جمعة احمد محمود غنام ٦٣ سنة، مخيم بلاطة، بتاريخ ١٩٩٤/١/٢٩ .
٧- منوه محمود عيسى عبد الوهاب، ٧٤ سنة، بلاطة، بتاريخ ٩٤/٣/٥ .
٨- طه قزق ٧٠ سنة، عمان، بتاريخ ١٩٩٤/٧/١٦
٩- اسعد عبد الرحمن، ٥٠سنة، عمان، ١٩٩٤/٧/١٦ .
١٠- حرم طه محمد قزق ٦٥ سنة، عمان، بتاريخ ١٩٩٤/٧/١٦ .
١١- محمد نجم، ٥٠ سنة، عمان، ١٩٩٤/٧/١٧ .
١٢- بهجت ابو غربية ٧٠ سنة، عمان بتاريخ ١٩٩٤/٧/١٧ .
١٣- عبدالله السلمان ٨٩ سنة، إربد بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢١ .
١٤- عبد الصمد ابو راشد ٦٢ سنة، اربد بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢١ .
١٥- سليمان عبد العال حجير ٦٥ سنة، اربد، بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢٢ .
١٦- عبد الروؤف نايف العبد المحمود من مواليد ١٩١٢، اربد، ١٩٩٤/٧/٢٢ .
١٧- وجيه عبدالله السلمان، ١٩٩٤/٧/٢٢ " قدم صور عن البلدة من تصوير " .
١٨- عبد الرحمن مصباح البطل، رسالة جوابية تحوي على معلومات عن تاريخ طيرة حيفا بناءا على طلبنا مرسلة من بوسطن عام ١٩٩٤ .
١٩- علي فهد علي باكير من مواليد عام ١٩٤٧، اربد، ١٩٩٥/٨/١٣ .
٢٠- محمود سليم عويس من مواليد ١٩٣١، عمان، ١٩٩٥/٨/١٣ .

Digitized by Birzeit University Library

٢١- وليد احمد محمود باكير، ٥٨سنة، عمان، ١٩٩٥/٨/١٤ .

٢٢- محمود احمد باكير من مواليد ١٩٣٦، عمان، ١٩٩٥/٨/١٤ .

٢٣- سمير حسن باكير من مواليد ١٩٣٥، عمان، ١٩٩٥/٨/١٤ .

٢٤- د. جميل الحاج حسين باكير من مواليد ١٩١٩، عمان، ١٩٩٥/٨/١٤ .

المراجع والمصادر

١- د. البخيت محمد عدنان والحمود، نوفان رجا، دفتر مفصل لواء اللجون، دفتر طابو (١٨١)، ١٥٩٦، الجامعة الاردنية، عمان ١٩٨٩ .

٢- بخيت، محمد عدنان ونوفان الرجا المحمد. دفتر مفصل ناحية مرج بن عامر ولواحقها سنة ١٥٣٨ الجامعة الاردنية، عمان ، ١٩٨٩ .

٣- البعلبكي، منير، المورد قاموس عربي انجليزي، طبعة جديدة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٦.

٤- بن غوريون، دافيد، يوميات الحرب ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ترجمة سمير حيدر، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٩٣ .

٥- التل عبدالله، مذكرات كارثة فلسطين، الجزء الاول، الطبعة الثانية، دار الهدى، ١٩٩٠ .

٦- الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦ - ١٩٣٩، الرواية الرسمية الاسرائيلية. ترجمة احمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان بيروت، ١٩٨٩ .

٧- حرب فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٤٨ الرواية الاسرائيلية الرسمية، ترجمة احمد خليفة، نقوسيا "قبرص" الطبعة الاولى، ١٩٨٤ .

٨- د. حمودة، احمد عبد الرحمن، قصة مدينة حيفا من سلسلة المدن الفلسطينية "٢"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية .

٩- حمودة، سميع، الوعي والثورة، الطبعة الاولى، القدس، ١٩٨٥.

١٠- الحوت، بيان نويهض، القيادات السياسية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨ دار الاسوار عكا، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ .

١١- الحوت، بيان نويهض، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية من اوراق اكرم زعيتر، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٧٩ .

١٢- الخطيب، محمد نمر، من آثار النكبة، المطبعة العمومية، دمشق، ١٩٥١ .

١٣- الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين الجزء السابع، القسم الثاني في ديار الجليل، دار الهدى كفر قرع، طبعة جديدة ١٩٩١ .

Digitized by Birzeit University Library

١٤- درباس، ساهرة، طيرة حيفا وطن عصيّ على النسيان، الطبعة الاولى، ١٩٩١ .
١٥- ابو راشد، عبد الصمد، طيرة الكرمل، الارض والانسان، الاردن، اربد ١٩٩٣ .
١٦- سجل احصاء نفوس فلسطين عام ١٩٣١أ. ملز. القدس، ١٩٣٢ .
١٧- سعيد، محمود احمد، طيرة حيفا ١٩٠٠ - ١٩٤٨، قدسية للنشرة والتوزيع، اربد / الاردن، ١٩٩١ .
١٨- شراب، محمد، معجم بلدان فلسطين، دار المأمون للتراث، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٨٧ .
١٩- د. صبري، بهجت، فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى وما بعدها ١٩١٤ - ١٩٢٠، جمعية الدراسات العربية، القدس، ١٩٨٢ .
٢٠- الطاهر، علي نصوح، شجرة الزيتون تاريخها، زراعتها امراضها صناعتها، مطبعة الاردن، عمان ١٩٤٧ .
٢١- عارف، العارف، نكبة فلسطين والفردوس المفقود، الجزء السادس، اصدار دار الهدى، كفر قرع .
٢٢- عبوش، واصف. فلسطين قبل الضياع، لندن، ١٩٨٥ .
٢٣- عودة، عبدالله اسعد. الكبابير بلدي، اصدار المشرق للترجمة ١٩٨٠ .
٢٤- ابو غربية، بهجت، في خضم النضال العربي الفلسطيني ١٩١٦ - ١٩٤٩، الطبعة الاولى، مؤسسة الدراسات، بيروت ١٩٩٣ .
٢٥- الكرد، محمد علي، خطط الشام، الجزء الثالث، دمشق، ١٩٢٥ .
٢٦- كـــرمل، الكس، تاريخ حيفا في عهد الاتراك العثمانيين، معهد دراسات الشرق الاوسط، صيف ١٩٧٩ .
٢٧- المنجد في اللغة والاعلام، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦ .
٢٨- مورس، بني، طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين، ترجمة دار الجليل، الطبعة الاولى، ١٩٩٣ .
٢٩- الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الاول، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٩٠ .
٣٠- الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثالث، الطبعة الاولى ١٩٨٤ .
٣١- يزبك، محمود، الهجرة العربية الى حيفا في زمن الانتداب، الطبعة الاولى، ١٩٨٨ .

المصادر والمراجع الاجنبية

1- Conder and Kithchenet, The Survey of Western of Palestine, Sheet V. Jerusalem 1970 .

2- Encyclopedia, of Arcloelogical Excauations in the Holy Land. V.3, Jerusalem, 1975 .

3- Hadawi, Sami, Village Statistics Classification of Land Area Owner ship Palestine, Beirut, Lebanon 1970 .

4- Report and General Abstracts of the Census of 1922. Palestine Government, Jerusalem, 1923 .

5- Sokolof, Michael, Adictionary of the Byzantine period, Ramatgan, 1990 .

6- Statistical Abstract of Palestin, 1943, compiled in the government, Department of Statistic, seventh Edition, Jerusalem, 1994 .

7- Wolfand Abdel Fatah, Historical Geography of Palestine Trans Jordan and southern Syria in the Late 16th servy, Erlanen 1977 .

Digitized by Birzeit University Library

الوثائق ، الصور والخرائط

Digitized by Birzeit University Library

ازل في بيشتاني وادي النسناس . ديروا بالكم
ومن اخوتكم واجلبوا اخوكم محمد عندنا
اعتنوا بالجيمس عبد الفتاح والدة ازى السلام
واهدلكم جميعاً يا والدي قبلاتي على يد الطيب
التمنيا . . . . . وديت . .

لوالدي :
احمد محمود باكير

Date 29 [illegible] الطابع

Signature الامضاء

Adresse : عادل احمد باكير
دير - الاسلام
بيت محمد التويسي

نرجوكم التكرم بالبحث عن واقادنا باخبار

Nous vous prions de bien vouloir rechercher et donner des nouvelles de :

Please inquire and give news of :

HAIFA Wadi el NISNASS PALESTINE

AHMAD MAHMOUD BAKIR

والدي العزيز والدتي عمتي انه سالة تكتبه بخير
وعافية كهلا منهم السلام جميعا بخير والسلام

الداعي : عادل احمد باكير

العنوان :

بناء على طلب : دير الاسلام بيت محمد التويسي

At the request of :

الى حيفا - وادي النسناس : احمد محمود باكير

Prière de répondre au verso Reply overleaf الرجاء الاجابة خلفه

رسالة من أحمد محمود باكير بواسطة الصليب الاحمر إلى اولاده بعد رحيلهم الى مخيم دمر في سوريا عام ١٩٤٩ والرد عليها .

Digitized by Birzeit University Library

حكومة فلسطين

نمرة المجلد ١٤

نمرة الصحيفة ٦٨

شهادة تسجيل

دائرة تسجيل الاراضي في

نمرة العرضحال ٢٧/١٨٠٠

نمرة العقد ٢٧/٢٤٧١

القضاء	حيفا	المدينة او القرية	الطيره	الموقع او المحلة	ارض الملاوحه
نوع الارض	اميريه				ملحوظات
بيان العقار	غرزه واشجار وبيدار				
شمال	ارض احمد الدبل				
جنوب	سعيد احمد الناجي وشركاه				
شرق	طريق				
غرب	الرمل				
المساحة	دونم ٢ و ٥٥ ر ٢٩٨ قدوري				
الحصة	٥/٢٤				
مقاطعة					
اسم المالك او المتصرف السابق					
نوع المعاملة	تسديل				
القيمة او الثمن					

ان العقار المدونة تفاصيله اعلاه مسجل باسم محمود حسين بكر ومحمد الشيخ احمد القاطن في الطيره
وقد اعطيت له هذه الشهادة اشعاراً بالتسجيل المذكور.

ان شهادة التسجيل هذه قد اعطيت طبقاً لنصوص :—

(اولا) المادة ٣ من « قانون التصرف بالاموال غير المنقولة المؤرخ في ٥ جمادي الاول سنة ١٣٣١ الموافق ٣٠ مارت سنة ١٣٢٩ »

(ثانياً) المادة ٩ من « قانون انتقال الاراضي لسنة ١٩٢٠ »

والنصوص المشار اليها هي كما يأتي :—

(اولا) « ان السندات المخاتية معتبرة ومعمول بها مع كل ما يتصل بمضمونها ومضمون قيودها في المحاكم الشرعية والنظامية ما لم يحكم ببطلان سند خاتاني الا بحكم محكمة وليب قانوني »

(ثانيا) « لا يستفاد من موافقة الادارة وتسجيل العقد ضمان الملكية او ضمان صحة المعاملة »

شهادة تسجيل أرض تابعة لقرية الطيرة صادرة عن حكومة فلسطين عام ١٩٣٧ .

حكومة فلسطين

نمرة الاستدعاء ٧٦١٢ — ٤٢/١١/٩

نمرة سند الملكية

نمرة المجلد

نمرة الصحيفة

شهادة تسجيل

دائرة تسجيل الاراضي في حيفا

اللواء	القضاء	المدينة او القرية	القطعة		نمرة القسيمة ١٧
			نمرتها	اسمها	نمرة المطارحة
حيفا	حيفا	الطيره	١٠٧٢٩	—	

نوع الملك	ميري			ملحوظات
المساحة	دونمات	امتار	دسيمتر	
	١٠	٢٨		
الحصة	١٦ من ٢٨٤			
مقاطعة				
اسم المالك السابق				
نوع المعاملة	تسجيل			
القيمة او الثمن				

ان العقار المدونة تفاصيله اعلاه مسجل باسم محمود حسين بكر القاطن في الطيره
وقد اعطيت له هذه الشهادة اشعاراً بالتسجيل المذكور.

قد اعطيت شهادة التسجيل هذه طبقا لنصوص قانون تسوية الاراضي لسنة ١٩٢٨.

التوقيع

مسجل الاراضي

ختم دائرة تسوية الاراضي

شهادة تسجيل أرض تابعة لقرية الطيره صادره عن حكومة فلسطين عام ١٩٤٤.

Digitized by Birzeit University Library

من — القيادة العراقية

الى — المناضل عبد الله سلمان

قائد حامية الطيرة

الرقم / ٢٥٤

التاريخ / ٢١/٦/١٩٤٨

تحية العروبة والجهاد

١.) اجمعنا كل من المناضلين شبلي علي الشعبان وعبد الفتاح يوسف والسيد نايف خليفة وأخوتنا بالعمل البطولة والكفاح التي قام بها مناضلو قرى الطيرة وألحقوا وجيش وعين حوض والقرى المناضلة الأخرى .

٢.) يؤسفنا أننا لم نتمكن من الأتصال بكم منذ أول وصولنا لفلسطين لمعاونتكم في الحرب المقدسة .

العراقيين لمناضليكم الأشاوس وأن تخبروهم جميعا بأعجابنا وتقديرنا لكفاحهم النبيل وبطولتهم الفذة في سبيل حرية وسلامة الأراضي المقدسة .

واننا واثقون أن التاريخ سيخلد ذكرى هؤلاء الأبطال كدرس في البطولة والوطنية والأخلاص للأجيال القادمة .

٤.) وأخيرا نرجو أن نلتقي قريبا محتفلين بأنقاذ الوطن العربي المجاهد !!!

الزعيم

قائد القوات العراقية

في فلسطين

صورة منه الى

القيادة العامة للجيوش العربية

مدير العمليات

الخطيب/٢١

رساله من قائد القوات العراقية في فلسطين موجهة الى عبد الله السلمان مختار القرية يشيد بها ببطولة وكفاح اهل الطيرة والقرى المجاورة لها عام ١٩٤٨ .

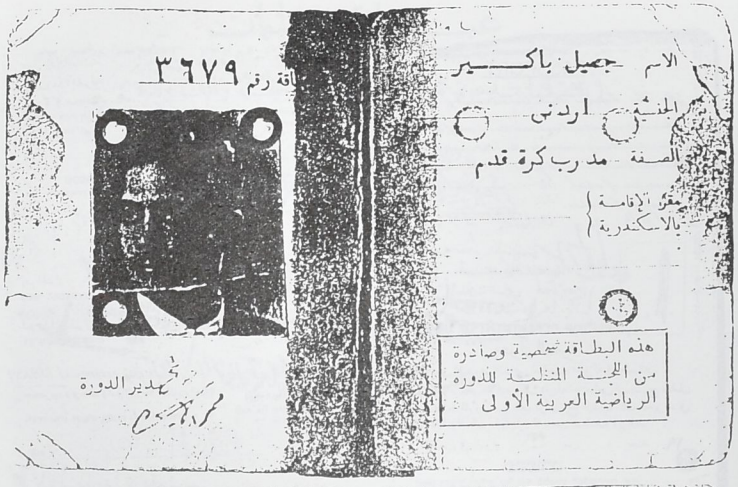

بطاقة هوية عضوية تشير الى الدورة الرياضية العربية الاولي والمنعقدة في الاسكندرية عام ١٩٥٣، تعود الى خبير التدريب العسكري والرياضي د. جميل الحاج حسين باكير احد ابناء قرية الطيرة .

Digitized by Birzeit University Library

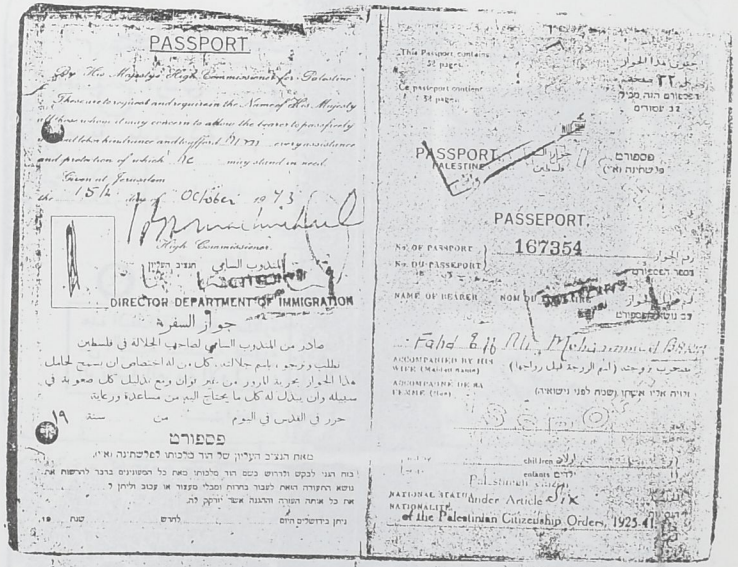
PASSPORT

Palestine

PASSEPORT

167354

Fahd Ali Mohammad Basa

Palestinian

Under Article 5(1)

of the Palestinian Citizenship Orders, 1925-41

DIRECTOR DEPARTMENT OF IMMIGRATION

جواز السفر

פספורט

DESCRIPTION SIGNALEMENT

PHOTOGRAPH OF BEARER

PHOTO

WIFE

CHILDREN ENFANTS

صورة عن جواز سفر فلسطيني يعود الى فهد علي محمود باكير صادر عام ١٩٤٣.

عبد الله سلمان

يتشرف بدعوة حضرتكم لحضور حفلة زفاف ولده :

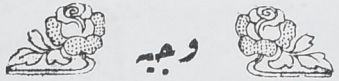

وجيه

وذلك يوم الأحد في ٧ محرم سنة ١٣٦٦ الموافق في ١

كانون أول سنة ١٩٤٦ في منزله بالطيرة

لا زالت الافراح بديارکم زاهره ؟

بطاقة دعوة لحضور حفلة زفاف نجل مختار القرية وجيه عبد الله السلمان عام ١٩٤٦.

Digitized by Birzeit University Library

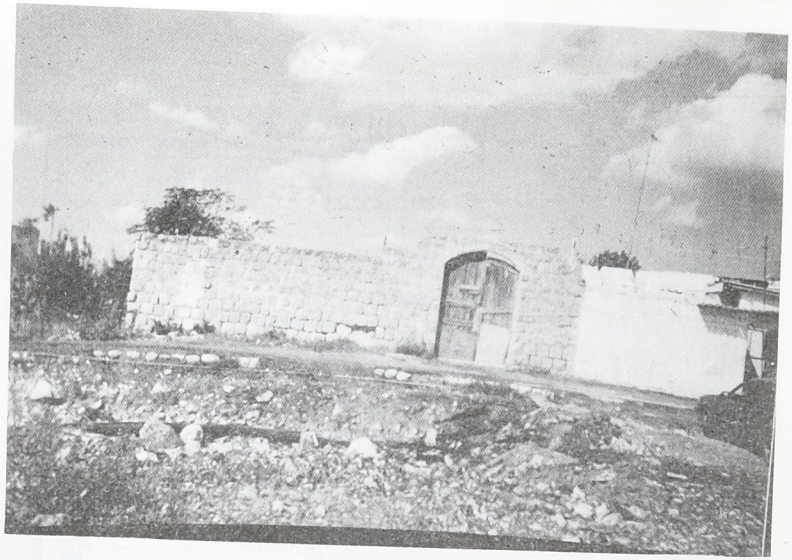

احد مبـاني القريـة المهجورة والتـي كـانت تعرف بالعليـة .(أخـذت الصـورة عـام ١٩٨٧) .

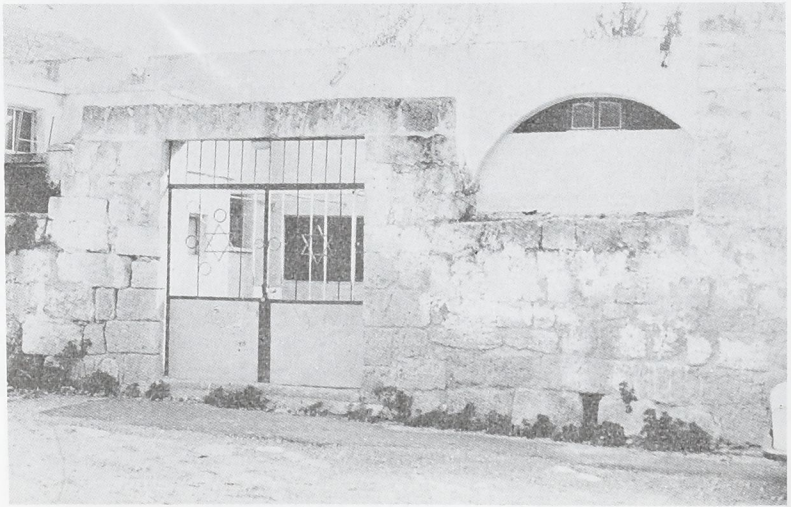

مسجد القرية القبلي وقد حوله اليهود الى كنيس .(أخذت الصورة عام ١٩٨٧)

طيرة حيفا صورة اخذت من سفح الكرمل ، وتظهر مستعمرة طيرات هكرمل التـي اقيمت على موقع القرية . (أخذت الصورة عام ١٩٩٤).

Digitized by Birzeit University Library

وادي العين وتظهر في الصورة عين المغارة التي كان اهالي الطيرة يستسقون منها

وادي الكساب او ما يعرف بوادي ابو الجاع .

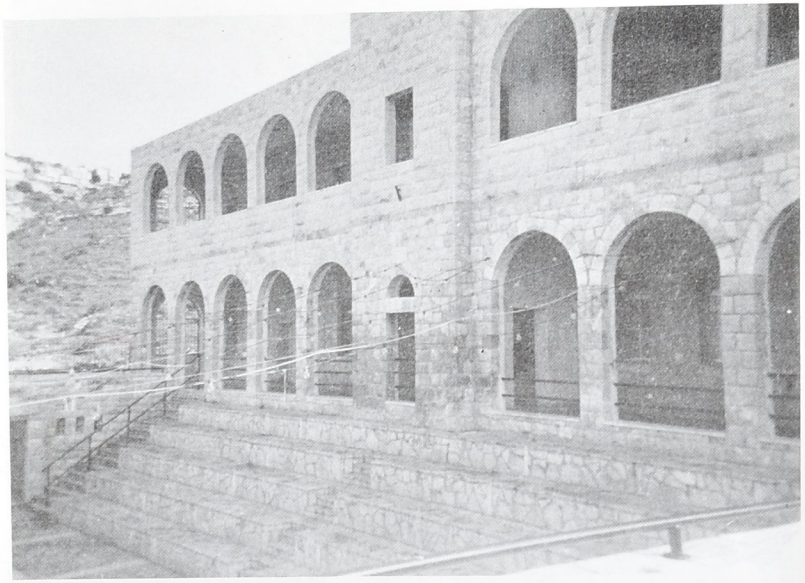

مدرسة الذكور الاعدادية وهي مكونة من طابقين

مدرسة الذكور الابتدائية

Digitized by Birzeit University Library

احدى مقابر البلدة

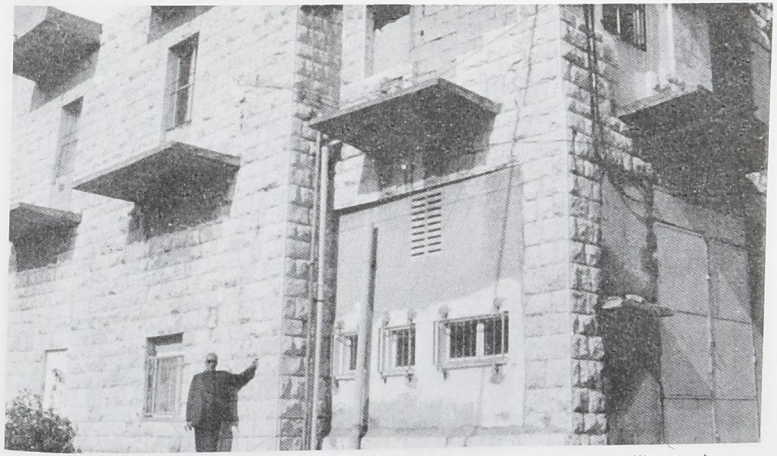

منزل عبد الله السلمان مختار القرية وقد حوله اليهود الى مركز شرطه وهو مكون من طابقين

Digitized by Birzeit University Library

ميناء الطنطورة في سنة ١٨٨٧/ اخذت الصورة من كتاب لواء اللجون للدكتور محمد عدنان البخيت ورجا نوفان الحمود .

خريجوا الدفعة الاخيرة من طلاب المدرسة الابتدائية عام ١٩٤٧.(أخذت الصورة من الاستاذ عبد الصمد ابو راشد) .

شبان من الطيرة يتدربون على حمل السلاح في وادي ابو الجاع (اخذت الصورة من الاستاذ عبد الصمد ابو راشد) .

Digitized by Birzeit University Library

صورة الشهيد أحمد محمود باكير (أبو شقرة) وأولاده وأنجال أخاه حماده باكير، فوق معصرة الزيت التي كان يملكها عام ١٩٤٥ ويظهر في الصورة فرش الزلاقة في الجهة الجنوبية من الطيرة .

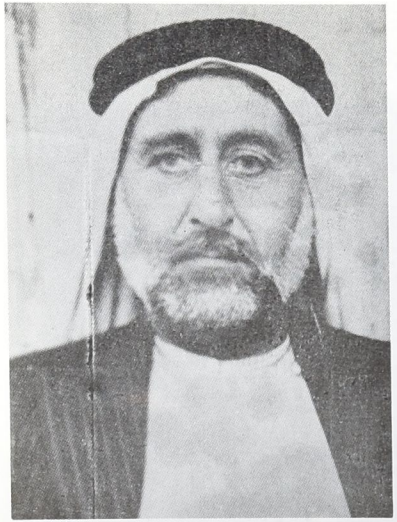

صورة عبد الله السلمان مختار القرية وأحد زعمائها . يوسف الراشد احد أعضاء اللجنة القومية في القرية

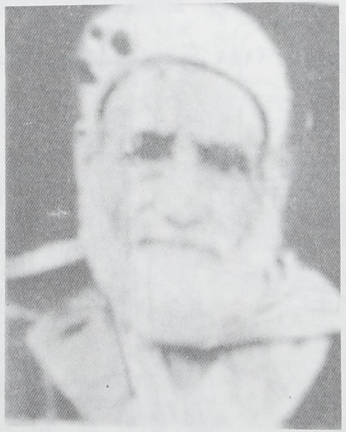

الشيخ أحمد محمود غنام أحد أعوان الشيخ عز الدين القسام .

Digitized by Birzeit University Library

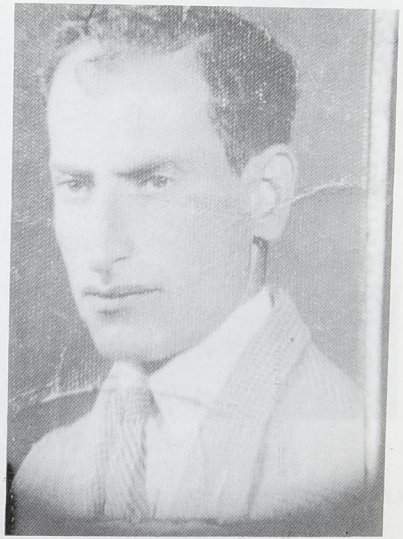

جمعة الشيخ أحمد غنام/ أحد الاسرى الفلسطينيين عام ١٩٤٨ . الحجة منوة محمود عيسى عبد الوهاب .

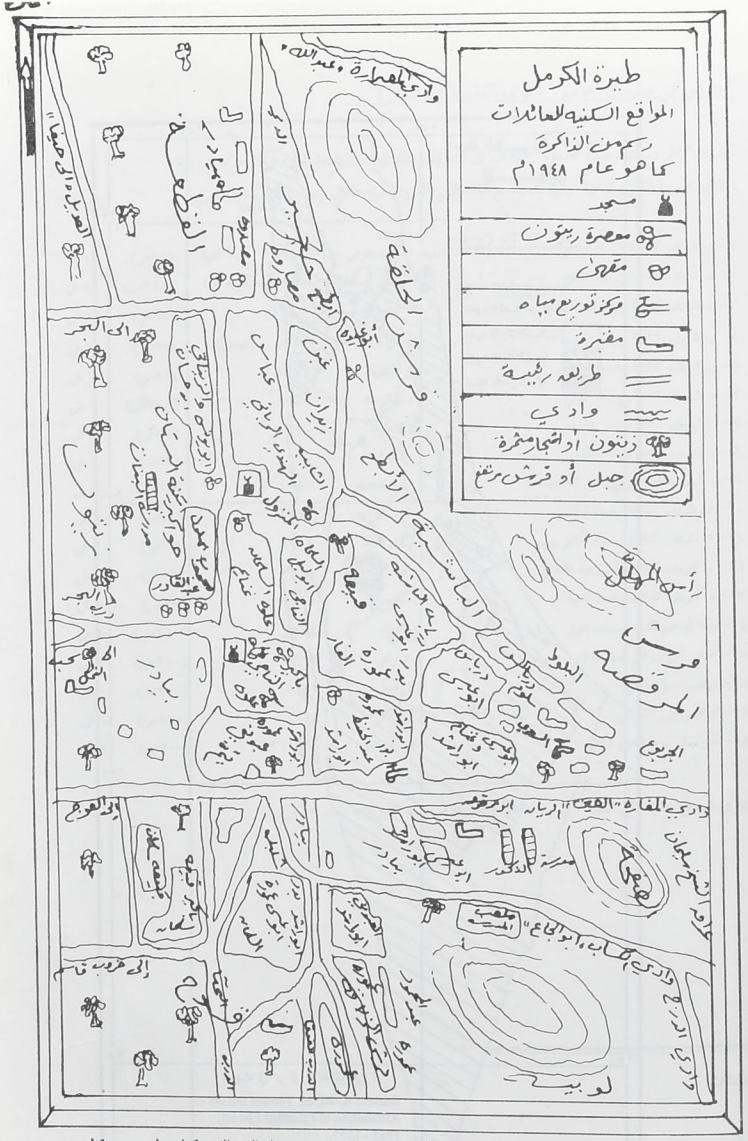

خريطة المواقع السكنية للعائلات (رسم من ذاكرة بعض اهالي القرية ارسلت من قبل عبد الرحمن مصباح البطل) .

Digitized by Birzeit University Library

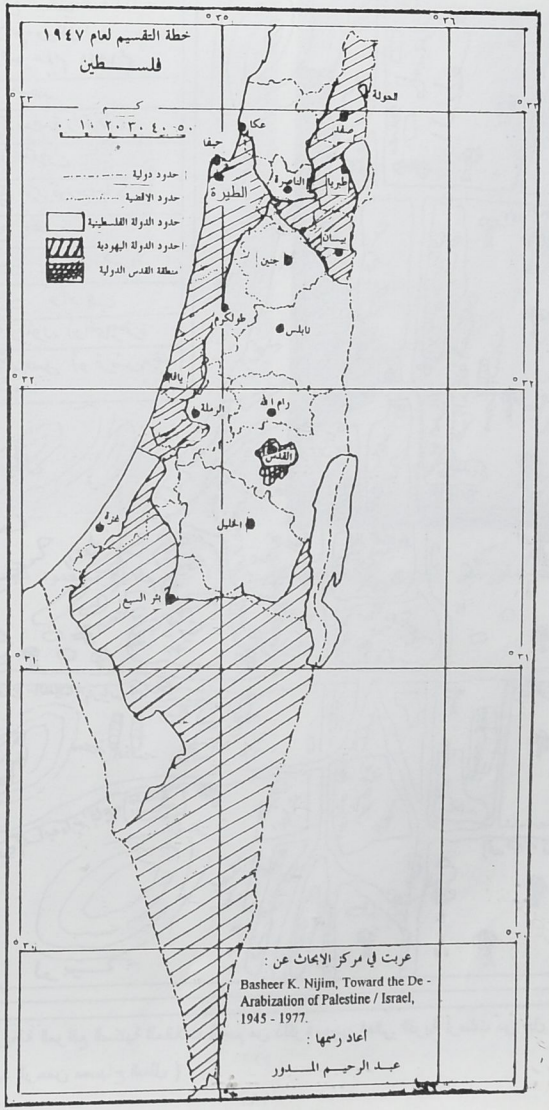

• صدر من سلسلة أبحاث " القرى الفلسطينية المدمرة" :-

سلسلة " القرى الفلسطينية المدمرة " تهدف الى التعريف بالقرى الفلسطينية التي دمرت عام ١٩٤٨ وتقديم صورة انثروبولوجية تراثية للمجتمع الفلسطيني القروي من خلال منهجية التاريخ الشفوي.

١- د. شريف كناعنة وبسام الكعبي	: عين حوض	١٩٨٦	طبعة ثانية	(٥٨ص)	١٠ ش
٢- د. شريف كناعنة ورشاد المدني	: مجدل عسقلان•	١٩٨٦	طبعة ثانية	(٢٢٥ص)	١٠ ش
٣- د. شريف كناعنة ولينى عبد الهادي	: سلمه •	١٩٨٦		(٨٣ص)	١٠ ش
٤- د. شريف كناعنة ونهاد زيتاوي	: دير ياسين	١٩٨٧	طبعة ثانية	(٦٧ص)	١٠ ش
٥- د. شريف كناعنة ومحمد اشتيه	: عنابة	١٩٨٧		(٥٨ص)	١٠ ش
٦- د. شريف كناعنة ورشاد المدني	: الفالوجة	١٩٨٧		(١١٨ص)	١٠ ش
٧- د. شريف كناعنة وعمر محاميد	: اللجون•	١٩٩٠		(٧٥ص)	١٠ ش
٨- د. شريف كناعنة ورشاد المدني	: الكوفخة	١٩٩٠		(٦٣ص)	١٠ ش
٩- د. شريف كناعنة ولينى عبد الهادي	: أبو كشك	١٩٩٠		(٦١ص)	١٠ ش
١٠- د. شريف كناعنة وبسام الكعبي	: مسكة	١٩٩١		(٨٥ص)	١٠ ش
١١- د. شريف كناعنة وبسام الكعبي	: كفر سابا	١٩٩١		(٧٥ص)	١٠ ش
١٢- د. شريف كناعنة ولينى عبد الهادي	: لفتا	١٩٩١		(٥٢ص)	١٠ ش
١٣- د. شريف كناعنة ومحمد اشتيه	: كفر برعم	١٩٩١		(٥٥ص)	١٠ ش
١٤- عبد الرحيم المـــــدور	: قالون	١٩٩٤		(١٦٠ص)	٢٠ ش
١٥- حيدر يعقوب ابو غـــوش	: عمواس	١٩٩٤		(٢٥٠ص)	٢٠ ش
١٦- ابراهيم جميل مرعي	: زرعين	١٩٩٤		(٢٥٠ص)	٢٠ ش
١٧- ابراهيم يحيى الشهابي	: لوبيا	١٩٩٤		(١١٠ص)	١٥ ش
١٨- نصر يعقوب و فاهوم الشلبي	: ابو شوشة	١٩٩٥		(٣٠٠ص)	٢٠ ش

يجري العمل حاليا على انجاز ٣ قرى جديدة (الشيخ مونس، الدوايمة، بيت جبرين).

• نفدت .

Digitized by Birzeit University Library